

فريد الفالوجى

العملية 007

اغتيال الطيارين العراقيين الثلاثة وهروب أول طائرة حربية عربية لإسرائيل



مكتبة مدبولى


منتدى إقراء الثقافي

العملية -007-

النـاشر

مكتبة مدبولي

العنوان: ٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة

تليفون: ٥٧٥٦٤٢١ ـ **فاكس:** ٥٨٧٢٨٥٤

الكتاب :العملية - 007 -

اغتيال الطيارين العراقيين الثلاثة

وهروب أول طائرة حربية عربية لإسرائيل

الكاتب : فريد الفالوجى

الأخراج والتنفيذ : مكتب النصر للجمع التصويرى

القاهرة ـ تليفونن : ٧٨٦٣١٩٩

رقم الإيداع : ١٦١٦٠ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى : ISBN - 977 - 208 - 405 -8

الطبعة الأولى : ٢٠٠٣

عربية للطباعة والنشر

العنوان : ٧ & ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين

تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٢٥١٠٤٣ ـ فاكس : ٣٢٩١٤٩٧

من ملفات الجاسوسية

فريد الفالوجى

العملية -007-

اغتيال الطيارين العراقيين الثلاثة

وهروب أول طائرة حربية عربية لإسرائيل

الناشر
مكتبة مدبولى
2003



إهداء

إلى الشيماء ..

وردة القلب ..

وياسمينة الروح ..

زوجتى .. التى ظلت دائمًا بجوارى

تمنحنى الحب ..

والحنان ..!!

فريد



تقـديم

حكايات غريبة .. وقصص واقعية فى ذاكرة الأمة لن تُمحى .. لأنها جزء كبير من التراث السياسى .. والنضال ضد هؤلاء الذين يحاولون دائمًا أن يتسللوا إلينا عبر المنافذ السرية داخل الكيان الإنسانى .

تلك قصة هذا الجاسوس الذى أُسر فكريًا ووجدانيًا .. وإنساق فى إثر الموساد الإسرائيلى .

وهنا يكشف الكاتب فريد الفالوجى عن شخصية هذا الجاسوس العربى .. الذى هرب بطائرته الحربية إلى إسرائيل تدفعه الطموحات المادية .. والإغراء بحياة جديدة حافلة بالمتع والدهشة .

ويبدو الهدف الحقيقى من فتح هذه الملفات أن الكاتب يُعرّى المواقف بكل جرأة .. ويكشف عن أعمق مواطن الخلل فى الذهنية العربية .. التى كانت تقود الأمة خلال تلك الفكرة .. بغية التوصل إلى أهداف جديدة .. وتحديد نظريات فكرية مبتكرة .. تتلاءم مع الواقع المعاصر الذى يعانى الاضطهاد .. والقهر .. ويستباح من قبل أعداء أمتنا .

وكذلك .. إنه تراثنا السياسى بكل ما ينوء به من ظلال الفساد أو الجريمة .. علينا أن نتفحصه .. وننقب فى أوراقه الصفراء لدراسة الشخوص .. وأفكارها .. وأحلامها .. ومدى انتماءها إلى الوطن والعقيدة والذات .

إن القضية هنا هى إعادة بناء الذات من الداخل .. فقد تحطمت معانى فى داخلنا .. وتهدمت أحلام جميلة .. وأصبحنا الآن نصافح الأيدى المخضبة بدماء شهداء الحروب .. ونتحاور معهم .. ولكن هناك خلف الحوار مازالت كلمات تنزف .. وفى العيون مازالت تبرق نوايا خفية تحلم أن تلتهم الشطآن والضفاف وتبيد فى أعماقنا وردة النضال والتمرد والثورة . ولذلك ..

نحتاج إلى إعاد بناء الذات العربية .. وأن نُعمق هذى العلاقات الإنسانية بين العرب وأخيه العربى .. حتى يصبحا معًا قوة روحية ومادية فى مواجهة الآخر المتحفز للانقضاض دومًا .

إن الكاتب يسرد الوقائع .. أموال .. دماء .. اغتيالات .. مطامع عدو يحيا فى حياتنا .. ويحاول أن يزحف إلينا ويغزو الفكر .. ويخلخل البنى الاقتصادية ويدمر الكيان الاجتماعى ويسلبنا هويتنا .

وقد يلجأ فى ذلك إلى تحويل الإنسان كشيئ يُباع ويُشترى ويتاجر فى أحلام الآخرين .. حتى يتلصص على إنجازاتنا الحضارية وقدراتنا العلمية ويخرب حتى النهاية .

ربما سقط البعض فى براثن تلك الشباك الجاسوسية للموساد الإسرائيلى .. ولكن هناك من يقف يفكر .. ويتأمل .. ويتدبر .. ويناضل ضد القمع الإسرائيلى والفكر المخرب .

إن الكاتب قد تخصص حقًا فى تسجيل قصص الجاسوسية .. وتميز ببراعة أسلوبه الشيق والتحليل الدرامى للأحداث .. وكذلك الصدق فى التوثيق وطرح الرأى المستنير والفكرة العلمية الجديرة بالدراسة والبحث .

وهنا فى هذه القصة الدرامية الخطيرة .. يشهر الكاتب سيف الإدانة ليس إلى الموساد الإسرائيلى وحده .. وإنما أيضًا إلى بعض الأنظمة العربية .. التى تمارس سيطرة القمع على أبناءها فتشق بذلك جسور الولاء .. وتحطم فى الروح قوى الانتماء العريق .. فيصبح الفرد مشوه الروح .. مجهول المستقبل .. يمشى فى أرض من ظلام وظلم .. ويصبح من السهل أن يبيع ذاته ليس لإسرائيل .. وإنما أيضًا لشيطان الإرهاب والدمار .

الكاتب فريد الفالوجى لا يسرد حكايات الجاسوسية لتشعر باللذة الذهنية .. أو تُسجى وقت فراغك .. وإنما لتصحو .. وتدرك .. وتبحث .. وتعرف .. وتكون على حذر دائمًا أن تقاوم فى الداخل شياطين الظلم والإرهاب .. لتصبح أكثر قدرة على النضال من أجل وطنك ضد الأعداء فى الخارج . ولو حولوا الثرى تحت أقدامك إلى ثراء .. فأنت عظيمًا فى رفضك .. وقويًا فى مواجهتك .. وانتماءك إلى تراثك .. وأرضك .. وبلادك ..

هذا ما يبحث عنه الكاتب أن يعيد إلينا صدر الماضى .. وصفحات التاريخ لنتألم .. ونفكر ونتعلم الكثير والكثير .

أتمنى أن أكون قد استطعت تفسير ملامح هذه الكتابات .. التى تعد بحق سلسلة من الكتب السياسية الباحثة فى أعماق الإنسان بصورة عامة .

وتحية حب صادقة لهذا المجهود الرائع الذى يثرى المكتبة العربية

علي عبد الفتاح

صحافى . وناقد .



مدخل

فى الستينيات من القرن العشرين ، كان الصراع على أشده بين القوتين العظميين ، الاتحاد السوفييتى وأمريكا ، ولم تكن هناك فرصة ، ولو ضئيلة ، لالتقاط الأنفاس داخل أجهزة مخابرات البلدين .

كان هناك أيضًا سباق محموم فى تكنولوجيا التسلح ، لأجل السيطرة ، والتفوق، والتميز، والهيمنة .

فالسوفييت يلعبون بأوتار أحلام دول العالم الثالث ، وتطلعاتهم نحو الاستقلال الاقتصادى والرخاء . والأمريكان ، والغرب من خلفهم ، يسعون للحد من المد الشيوعى ، خاصة فى منطقة الشرق الأوسط ، ويعملون على التغلغل داخل رءوس قاطنى الكرملين ، هؤلاء الكهول ذوى الوجوه الجامدة الغامضة .

وكان من المنطقى ، تبعًا للعبة المصالح ، أن يتحول التنافس بينهما إلى حرب خفية ، يديرها رجال أذكياء مهرة ، لاستكشاف نقاط الضعف والقوة ، وصنع المستحيل للوصول إلى أسرار الخصم .

فمنذ أن ضرب الأمريكان اليابان بالقنبلة الذرية ، والروس لا ينامون أو يستقر لهم بال ، وسعوا بشتى السبل للحصول على أسرار تلك القنبلة ، وتصنيعها ، إلى أن تمكن روز نبرج ، الشيوعى الأمريكى ، مقابل ألف دولار ، وبمعاونة زوجته ، من سرقة ملف كامل عن المعادلات الكيميائية المعقدة ، وتصاميم القنبلة ، وسلمه للروس عام ١٩٥٣ إبان حكم ستالين ، ووفر عليهم بذلك سنوات طويلة شاقة من العمل والبحث والتجريب .

ولكى نتخيل ماهية أجهزة المخابرات فى الاتحاد السوفييتى وأمريكا ، ومدى ضراوة الحرب السرية بينهما ، وأخطبوطية القوة فيهما ، يجب أن نتعرض أولاً لإمكاناتهما البشرية والتقنية، وقدرة كل منهما على اختراق الآخر ، وبالمقارنة بينهما ستتضح لنا الرؤية الحقيقية فى النهاية .

فجذور المخابرات السوفييتية ترجع لأيام القياصرة ، الذين أنشأوا ما يسمى بـ « البوليس السرى » القيصرى – شيبيكا – لحماية العائلة والنظام ضد الأعداء ، وهم الشيوعيون ، ثم انقلب الأمر بعد الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ ، إذ انحصرت مهمة «شيبيكا» فى مطاردة بقايا الأسرة القيصرية ، وأعداء الشيوعية فى الداخل ، ومعارضيها الذين تمكنوا من الهرب إلى الخارج .

ففى الداخل ، تحولت البلاد إلى ما يشبه معتقل كبير ، وفُرضت حياة ونُظُم ومبادئ وجب على الجميع احترامها ، وغص سجن « لوبيانكا » بالمغضوب عليهم ، وفى أقبيته وسراديبه كان المسجونون يغرَّزون بالإبر تحت الأظافر ، وفى الأماكن الحساسة ، وكذا تخلع الأسنان بالكماشات ، ويحبسون داخل أقفاص حديدية تتحرك قضبانها بواسطة تروس ، فتضغط الأجساد وتطحنها عصرًا ، وتُقذف أوصالهم للكلاب .. وكان الجلادون يفخرون بقدرتهم على انتزاع اعترافات السجين بسهولة ، حتى ولو طلب منه أن يعترف بأنه « ملك السويد » ، أو رئيس الولايات المتحدة .

وفى عام ١٩٥٤ جرى تطوير جهاز البوليس السرى وتطهيره ، وتصنيف إدراته وأقسامه، وأطلق عليه جهاز المخابرات السوفيتية .K.G.B ، وتضاعفت أعداد مخبريه وأفراده ، للدرجة التى قيل أنه من بين خمسة أفراد كان يوجد « مخبرًا » ، وبلغ عدد الموظفين به إلى نصف مليون موظفًا ، وأكثر من مليون عميل وجاسوس . أما الميزانية السرية للجهاز فقد تجاوزت وقتها العشرة مليارات دولار ، للإنفاق على العملاء والعمليات والتطور التقنى المذهل .

لقد سبقت الـ .K.G.B سائر أجهزة المخابرات العالمية ، وتفوقت عليها فى تقنية التجسس ، وأساليب التخابر ، وفن الجاسوسية الذى يدرس فى أكاديميات متخصصة ، وكانت المخابرات الأمريكية C.I.A دائمًا تسعى للحاق بها ، وتستنزف فى مواجهة نشاطها المضاد ، واختراقاتها الأسطورية ، إذ كانت الـ C.I.A تحظى دائمًا بالاهتمام الأعظم ، وبالأولوية فى عمل ونشاط الـ .K.G.B التى زرعت بأمريكا نفسها آلاف الجواسيس والعملاء ، الذين امتزجوا بالنسيج الأمريكى فى مهارة ، جعلتهم ينقلون لبلادهم ابتكارات وتقنيات وأسرار استراتيجية غاية فى الخطورة .

ولسنوات طويلة ، اشتعلت حرب المخابرات والجاسوسية بين القوتين العظميين ، وكان لا يكاد يمر شهر دون أن تقوم واشنطن بطرد دبلوماسيين سوفييت ، تبين تورطهم فى عمليات تجسسية ، فترد موسكو بذات الأسلوب . بل إن عواصم الدول الغربية ، تحولت هى الأخرى إلى ميادين حرب سرية بين الجهازين العملاقين ، وبرع رجال الـ K.G.B. فى اختراق نظم السرية والأمن ، للسفارات الأمريكية فى العديد من الدول ، بواسطة نساء جميلات بارعات ماهرات ، أقمن علاقات مع الحرس الأمريكان ، فتحولوا إلى جواسيس على سفاراتهم .

وعملية اختيار الجواسيس فى الـ K.G.B. تعتمد على تفريخ عدة معاهد متخصصة ، تقوم بتأهيلهم نفسيًا وبدنيًا وتقنيًا ولغويًا على أعلى مستوى ، ويكون اختيارهم للعمل داخل الدولة ، أو خارج حدودها ، طبقًا للمؤهلات الثقافية والعصبية لكل عميل .

أما المخابرات المركزية الأمريكية C.I.A ، فلم يكن لها وجود قبل الحرب العالمية لثانية ، إذ كان هناك ما يعرف بمكتب الخدمات الاستراتيجية ، وكان دوره محدودًا وقاصرًا ، ويفتقد إلى الرجال الأكفاء والخبرة والتقنية ، للدرجة التى أدت باليابان إلى ضرب الأسطول الأمريكى فى « بيرل هاربور » عام ١٩٤١ ، فمرغت كرامة أمريكا ، التى لجأت لاستخدام القنبلة الذرية انتقامًا لكرامتها .

حينذاك .. لم تكن هناك تقارير تحليلية ، أو تنبؤات محتملة ، أو حتى أجهزة إنذار مبكر ، ولذلك ، أصيبت أمريكا بشلل تام فى العقول ، والتفكير ، على غرار ما حدث فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، وجاء الرئيس الجديد هارى ترومان (١٩٤٥ - ١٩٥٣) ، فأسس جهاز الـ C.I.A [1] ، فى سبتمبر ١٩٤٧ ، وولى « آلان دالاس » رئاسته ، فقفز به فى غضون سنوات معدودة ، إلى قائمة أشرس أجهزة الاستخبارات على سطح الأرض ، وأقواها .

فماذا فعل دالاس [2] .. ؟

(١) يقع مقر الـ C.I.A فى ضاحية «لانجلى» بولاية فرجينيا، على بعد خمسة عشر كيلو مترًا من واشنطون.
(٢) آلان دالاس - أبو المخابرات الأمريكية C.I.A بحق ، وهو شقيق جون فوستر دالاس وزير خارجية أيزنهاور ، والشقيقان ابنان لأحد القساوسة . عمل آلان لمدة ٥٠ عامًا جاسوسًا محترفًا للولايات المتحدة ، منذ كان موظفًا فى سفارة أمريكا فى فيينا فى الثلاثينيات عقب تخرجه من كلية الحقوق ، واستعان به الرئيس ترومان لتنظيم المخابرات الأمريكية والإسرائيلية ، فقد عينه والتر بيدك سميث (ثانى رئيس للـ C.I.A ١٩٥٠ - ١٩٥٣) رئيسًا لقسم التجسس والتجسس المضاد ، ثم قفز لرئاسة الـ C.I.A من ١٩٥٣ حتى ١٩٦١ حيث طرده كنيدى عقب فشل عملية خليج الخنازير فى كوبا .

لقد تم اعتماد ميزانية ضخمة[1] ، سمحت للجهاز بتوسل التكنولوجيا المتطورة العالية ، واستيعاب ٢٥٠ ألف موظف وعميل ، انتشروا فى سائر المعمورة فحسَّنوا من فاعلية الجهاز وقوة تأثيره ، لِيُسْقِطَ حكومات فى جواتيمالا والكونغو وقبرص وإندونيسيا وإيران ، وتندرج تحت أعماله « القذرة » تصفيات جسدية لرؤساء الدول ، الذين « انحرفوا » عن الركب الأمريكى ، فقد تم إعدام الرئيس الدومينيكانى « رافائيل تروجيللو »[2] أمام قصر الرئاسة ، بواسطة متفجرات حوتها الحقائب الدبلوماسية المغلقة ، ومشى « هنرى ديروبورن » القنصل الأمريكى – مخطط العملية – وراء نعش القتيل نيابة عن الرئيس جون كيندى ، الذى فى عهده أيضًا ، أغتيل الرئيس الفيتنامى « نجودين دييم »[3] بذات الوسيلة ، بعد محاصرته فى قصره ، لأنه عارض تدخلات أمريكا فى شئون بلده .

الرئيس جون كيندى نفسه ، لم يسلم أيضًا من جبروت جهاز مخابراته ، إذ اغتيل جهارًا نهارًا وبتخطيط شيطانى ، مازالت أسراره مكتومة إلى اليوم . حتى الزعماء الذين نادوا بالاستقلال وبالحرية ، طاردتهم المخابرات المركزية وتعقبتهم ، وحدث ذلك فى بوليفيا للزعيم الأشهر « تشى جيفارا »[4] ، بينما نجا « فيدل كاسترو » من عشرات المحاولات لاغتياله ، كذلك العقيد معمر القذافى الذى تحدى غطرسة الأمريكان والحصار الطويل .

ومن أبرز أعمال الـ C.I.A القذرة ، تعقب « العقول » وتصفيتها ، كما جرى مع عالمة الذرة المصرية « سميرة موسى » عام ١٩٥٢ ، والكاتب المكسيكى المشهور « إلما بويل بوينديا » الذى هاجم الدور الأمريكى المشبوه فى أمريكا الوسطى ، واشتراكها مع الموساد فى اغتيال الطيار العراقى نقيب شاكر يوسف ، وزميله حامد ضاحى ، اللذين رفضا خيانة وطنهما برغم شتى الإغراءات . « سيجئ تفصيل ذلك بعد قليل » .

---

(١) بلغت ميزانية الجهاز فى عهده إلى ستة مليارات دولار .

(٢) أسقطت الـ C.I.A أيضًا حكم الجنرال بوش الوطنى عام ١٩٦٢ بواسطة انقلاب عسكرى دموى أطاح بـآلاف القتـلى فى الدومينيكان ، وعادت للتدخل مرة أخرى فى البلاد للقضاء على الثورة الشعبية التى عمت البلاد من أجل التحرر من السيطرة الأمريكية واستغلال موارد البلاد .

(٣) كانت المخابرات المركزية هى التى نصبته رئيسًا لفيتنام الجنوبية بصفته عميلاً لها ولما انقلب عليها اغتالته أيضًا .

(٤) الدكتور تشى جيفارا كان قد استقال من منصبه كوزير للصناعة فى كوبا وسافر إلى جبال بوليفيا ليساهم فى الثورة الشعبية التى قامت هناك للإطاحة بالحكم العميل للنظام الأمريكى . فتعقبته المخابرات الأمريكية إلى أن ألقت القبض عليه وتعذيبه بقطع أصابعه ثم قتله عام ١٩٦٨ . وعرف العالم القصة الوحشية لمصرع جيفارا من خلال وزير الداخلية البوليفى الذى هرب بعد ذلك إلى كوبا .

وبامتلاك الاتحاد السوفييتى القنبلة الذرية ، والرءوس النووية للصواريخ عابرة القارات ، وأسرار حربية يجهلها الأمريكان ، سعت الـ C.I.A لإماطة اللثام عن الابتكارات العسكرية السوفييتية ، والوقوف على مراحل ومدى القدرة العسكرية والاقتصادية لروسيا ، واشتدت حروب العقول السرية بين الدولتين لتصل إلى الذورة فى أول مايو عام ١٩٦٠ ، عندما وقع حادث غريب هو الأول من نوعه .

ففى ذلك العام أسقط السوفييت طائرة تجسس أمريكية طراز U-2 [١]، التى تضم أحدث ما وصل إليه العلم من ابتكارات ، أهمها كاميرات غاية فى التعقيد ، تلتقط الصور على ارتفاع آلاف الأميال بدقة متناهية وبوضوح مذهل ، بينما تطير بسرعة ألف كيلو متر فى الساعة .

---

(١) عندما فجَّر السوفييت القنبلة الهيدروجينية عام ١٩٥٣ ظهر خلل كبير فى ميزان التسلح لدى الأمريكان، وبعدها بأشهر معدودة ، شاهد المراقبون الأجانب فى العرض العسكرى السوفييتى ، قاذفات جديدة ذات مدى بعيد – وهى من نوع M4 وتوازيها فى أمريكا B-52 التى أنتج منها طائرة واحدة فقط ، وسمى هذا النوع بالفجوة فى مجال القاذفات . ورأت الولايات المتحدة وقتها أنها بحاجة ماسة إلى معلومات حول حقيقة مستوى إمكانيات القاذفات السوفييتية ، ومدى تقدم برنامج الصواريخ ، وتبين صعوبة تكشف معلومات موثوقة عن مجتمع مقيد . وأمام هذه المشكلة برز التجسس الأمريكى على السوفييت من الجو . وكان لدى الأمريكان طائرة تجسس من نوع RB47 لكن مشكلتها أنها كبيرة الحجم وأقصى ارتفاع لها هو ٤٠ ألف قدم مما يجعلها هدفًا سهلاً للصواريخ المضادة للطائرات ، بالإضافة إلى أنها لا يمكنها الاقتراب من الأهداف الحيوية جدًا ، كمراكز تجارب الصواريخ البالستيكية العابرة للقارات ، والتى تخبأ بعيدًا داخل الاتحاد السوفييتى . فماذا كان السوفييت يفكرون ..؟ هل كانوا يخططون لضربة مفاجئة ضد الولايات المتحدة ..؟

هذا ما كان يشغل الرئيس الأمريكى أيزنهاور ، لذلك أنشئت هيئة للضربة المفاجئة التى أوصت بأسرع ما يمكن بالتجسس من الجو فوق الاتحاد السوفييتى ، وعهد إلى المهندس كليرنس جونسون بشركة لوكهيد ، بابتكار طائرة تقوم بتلك المهمة .. على أن يكون الارتفاع الشاهق هو الأساس فى التصميم ، بحيث لا يقل عن ٧٠ ألف قدم (حوالى ٢٥ كيلو مترًا) حيث كان السوفييت لا يملكون صواريخ أرض / جو لأكثر من ٥٠ ألف قدم ، أو طائرات حربية نفاثة تصل لهذا الارتفاع . وعلى مدار سنوات بداية من نوفمبر ١٩٥٤ ، ظلت U-2 تتجسس على السوفييت دون أن تقدر دفاعاتهم على إسقاطها ، حتى طور السوفييت أسلحتهم وأسقطوا الطائرة فأربكوا الأمريكان ، وقال قائد الطائرة – بورز – فيما بعد أنه أصيب بصاروخ انفجر بالقرب منه ، واعتقد البعض أن الطائرة ميج هى التى أصابته ، ولم يكن معروفًا وقتها أن هناك طائرة سوفييتية حربية تستطيع أن ترتفع لـ ٧٠ ألف قدم ، لذلك دهش الأمريكان وجن جنونهم .

كان قائد الطائرة – النقيب فرانسيس جارى بورز – مطمئن للغاية وهو يحلق فى أجواء الاتحاد السوفييتى ، فقد طمأنه رؤسائه أن لا الصواريخ ولا المدفعية المضادة تستطيع أن تلحق بطائرته الأذى . وبالرغم من ذلك ، شملت أدواته إلى جانب المسدس ، كبسولة صغيرة معبأة بالسم ، طلب منه أن يتناولها عند اللزوم . لكن بورز لم يفكر بالانتحار ، وهو يقفز بالباراشوت ويمسك به الأهالى ، ويعترف للسوفييت بأنه طار فوق أجوائهم مرات عديدة من قبل ، وكانت مهامه الأساسية هى الحصول على صور لمواقع الصواريخ ، والمطارات التى ترابض بها طائرات « ميج ٢١ » .. بالذات . (!!) .

وكان السؤال :

لماذا الطائرات ميج ٢١ ..؟

ولماذا لا تكون طائرات السوخوى الاعتراضية Su-11 ..؟

أو طائرات سوخوى المقاتلة STOL ..؟

أو قاذفات توبولوف TU-16 ، التى طار تشكيل منها مكون من ٥٤ طائرة فوق موسكو يوم الطيران السوفييتى عام ١٩٥٩ ..؟

وفى الولايات المتحدة كان حادث إسقاط الطائرة U-2 [1] محيرًا ، فالطائرة بارتفاعها الشاهق كانت بعيدة عن صواريخ السوفييت الأرضية ، وعن مجال صواريخ طائراتهم الاعتراضية أو القاذفة ، ذات المدى المحدود فى ذلك الوقت .

---

(١) الطائرة U-2 مركبة غريبة المنظر ، لها فتحة جانبية بعرض ٨٠ قدمًا بحيث تظهر كأنها جناح واحد طويل بدون جسم ، ولها محرك واحد فقط وضع فى الذيل ، وكان مظهرها يخفى الكثير من إمكانياتها التى تفوق الوصف . إذ كانت خفيفة جدًا ويمكن تفكيكها ووضعها فى صندوق شاحنة ، وقد استغنى تصميمها عن كل ما يُزيد من وزنها ، كالأجهزة الهيدروليكية مثلاً للعجلات ولغطاء الكابينة ، وكانت الطائرة – وهذا هو الأغرب – ذات عجلتين فقط ، فى الأمام والخلف ، كالدراجة الهوائية تمامًا ، ولكى لا تميل على أحد جناحيها أثناء الإقلاع ، زودت بعصى مع عجلات فى الطرفين ، وكان رجلين من الطواقم الأرضية يتعلقان بجناحى الطائرة ، حتى عندما تصل إلى سرعة معينة ، يقفز الرجلان إلى الأرض فترتفع الطائرة . أما فى الهبوط ، فلابد للرجلين أيضًا أن يقفزا إلى طرفى الجناحين ، بطريقة شبه بهلوانية ، لوضع أجهزة التثبيت من جديد . وقد أعطيت الطائرة اسم Utility-2 فى البداية ، واختصر إلى U-2 ، وأطلق المهندسون اسم الملاك Angle على الطائرة من أجل تأمين السرية المطلقة ، واسم Skunk works على مستودع التصنيع ، وهو اسم حيوان أمريكى نتن الرائحة .

وبرغم تشكك الأمريكان فى قـدرة السـوفييت العسكرية ، ظنوا بأن الطـائرة ميج ٢١ – المجهولة بالنسبة لهم – أدخل عليها السوفييت تقنيات جديدة معقدة ، فتفوقت بذلك على طائراتهم سكاى هوك SKY HAWK والفانتوم PHANTOM ، بل وعلى الطائرات الفرنسية ميراج ٣ MIRAGE-III-C الجبارة .

وفى الوقت الذى تأزمت فيه العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، خاصة بعدما قرر الرئيس الأمريكى « دوايت أيزنهاور » – (١٩٥٣ – ١٩٦١) – أن الطيران فوق الاتحاد السوفييتى هو من صميم السياسة الأمريكية ، كانت المخابرات المركزية تسعى للتوصل إلى أسرار تلك الطائرة الخرافة – ميج ٢١ – مهما كلفها ذلك . وكان من صميم عمل الـ C.I.A أن تظل الولايات المتحدة فى الصدارة عسكريًا ، وسياسيًا ، واقتصاديًا ، وعلميًا . لكن التفوق السوفييتى فى مجال الطائرات الحربية ، كان يشكل كابوسًا مزعجًا ، ليس لأمريكا فحسب ، بل لدول حلف الأطلسى ، ولإسرائيل أيضًا .

فبينما تمد أمريكا إسرائيل بأحدث مبتكراتها التسليحية ، لتكون لها اليد الطولى فى الشرق الأوسط ، زوَّد السوفييت كل من مصر وسوريا والعراق بالطائرة – ميج ٢١ – فقلبت بذلك ميزان القوى عن آخره فى المنطقة ، ولوَّح العرب بقوتهم وسيطرتهم على الأجواء ، وبأن يدهم ستطول إسرائيل ، وتقذف بها إلى البحر .

هكذا تحولت منطقة الشرق الأوسط إلى حلبة صراع بين القوتين العظميين ، واستعراض للقوة التسليحية بين الشرق والغرب .. حيث كانت هناك رغبة ملحة ، وجامحة ، للحصول على إحدى طائرات الـ « ميج ٢١ » ، تهديها إسرائيل لأمريكا ، من خلال تجنيد طيار عربى مغامر ، يقبل الهرب بطائرته إلى إسرائيل مقابل مليون دولار .

لكن .. قبلما نخوض فى الخطط المخابراتية المشتركة بين الموساد والـ C.I.A لاختطاف الميج ٢١ ، أرى أنه من الأصوب أن نستعرض أولاً تلك الطائرة اللغز ، وقدراتها القتالية والمهارية الخارقة ، التى حيرت العقول فى أمريكا وإسرائيل ، ودول حلف الأطلسى .

فالطائرة المقاتلة – MIG-21 – حقق بها السوفييت أرقامًا قياسية لم تكن مألوفة من قبل ، واعترفت بها المنظمة العالمية للطـيران ، إذ طار الكولونيل جورجى مرسولوف بطـائرة

من طراز – E-66 – وحقق بها معجزة عالمية للسرعة فى أكتوبر ١٩٥٩[١] ، مقدراها ٢٣٨٨ كيلو مترًا فى الساعة ، طوال مسافة ١٥ إلى ٢٥ كيلو متر . وكانت الطائرة مزودة بمحرك توربينى نفاث ، من نوع TDR MKR 37F .

وفى ٢٨ أبريل عام ١٩٦١ تمكن موسولوف أيضًا أن يصل إلى ارتفاع خارق ، حطم به الأرقام العالمية ، وبلغ ١١٣,٨٩٢ قدم ، أى ٣٤,٧١٤ كيلو متر – وهو رقم تعجيزى لم يتحطم أبدًا لسنوات طويلة – عندما زُوِّدت الطائرة بمحرك صاروخى إضافى مساعد . وخلال عرض جوى بمطار « دوموديدوفو » ، قامت الطائرة ببيان عملى للإقلاع ، وتفجرت مفاجأة صاعقة للعقول العسكرية فى الغرب ، عندما أقلعت الطائرة بعد مسافة جرى على الممر ١٥٠ مترًا فقط ، فى حين أن الطائرتان الأمريكيتيان سكاى هوك وفانتوم ، تلزمها على لتوالى مسافة ١٤٤٥ ، ١٥٢٥ مترًا للإقلاع ، أما المقاتلة الفرنسية – ميراج ٣ – التى كانت تتباهى إسرائيل بامتلاكها ، فكانت تحتاج لمسافة ١٦٠٠ مترًا لكى تقلع .

ليست هذه فقط كل ميزات الطائرة السوفييتية ، فقد حققت أرقامًا قياسية أخرى مثيرة، اعتمدتها المنظمة العالمية للطيران ، كالرقم القياسى للطيران بسرعة ٢٠٦٢ كم / ساعة فى دائرة مغلقة طولها ٥٠٠كم ، بقيادة الآنسة « مارينا سو لوكيافا » ، ورقم قياسى آخر للطيران بسرعة ١٢٩٨كم / ساعة ، فى دائرة مغلقة طولها ١٠٠كم حققته الطيارة « لدازا يتسيفا » . وبلغت أقصى سرعة مستوية للطائرة ٢ ماخ[٢] ، وكانت بمقدار النصف ، فى ذلك الوقت ، عند السكاى هوك ، و ١,٤ للفانتوم ، و ١,٥ للميراج .

---

(١) فى ذلك التاريخ لم يكن بمقدور الطائرات السوفييتية الطيران لارتفاع يمكنها من إسقاط الطائرة U-2 ، برغم ظهورها على شاشات الرادار ، وفى صمت استطاعوا تطوير الميج بشكل مفاجئ مكنهم من الارتفاع العالى وإسقاطها فى أول مايو ١٩٦٠ . لذلك فقد كانت هذه الاستعراضات الجوية أحد أنواع استعراضات القوة بشتى أشكالها ، للجم الأمريكيين والغرب على السواء ، وإشعارهم بعجزهم .

(٢) الماخ « سرعة الصوت » مقداره ٧٣٨ ميلاً / ساعة .
والميل = ١٦٠٩,٣٤ مترًا .. أى أن السرعة مقدارها ٢٣٧٥ كم/ساعة .

أما قياسات الطائرة الميج ٢١ ، فكانت أبعادها بالإضافة لإمكاناتها المذهلة – نقطة أخرى تضاف إلى ميزاتها ، ولغز تصنيعها العبقرى المحير . إذ كان عرض أجنحتها ٧,٦٠ متر ، وطول جسمها ١٦,٧٥ ، وهو ما لم يتوافر لطائرات الولايات المتحدة العاملة أو طائرات فرنسا .

لكل ذلك .. تحولت الميج ٢١ السوفييتية إلى لغز الألغاز ، وتقف طائرات حلف الأطلسى أمام جبروتها عاجزة ، مريضة ، لا تقو على مجابهتها ، أو الالتحام معها فى معركة جوية . فالطائرة صممت كطائرة قتال قاذفة واعتراضية ، يتمكن طيارها المتمرن من التحليق بها خلال ثلاثون ثانية فقط ، واعتراض طائرات العدو والاشتباك معها بعد ارتفاعها مباشرة عن الأرض ، وتمتلك قدرة عجيبة على الدوران فى سرعة خارقة ، وفى أى اتجاه ، مما لا يتوفر لأية طائرة أخرى ، بالإضافة إلى سرعة انقضاضها المذهلة مع دقة الإصابة .

لكل هذه الميزات التى كانت موضوعة بين أيدى الطيارين العرب ، وتفتقد إليها إسرائيل، كانت هناك رغبة عارمة ، وتصميم أكيد ، على تكشّف أسرار الميج ٢١ عن قرب ، فقد رجحت كفة العرب بامتلاكها ، واختل ميزان القوى فى المنطقة ، وتصور حكام إسرائيل أن نهاية دولتهم أصبحت وشيكة ، إذا ما أقدم جيرانها على ضربها .

فهل رضيت أمريكا بعجزها أمام التفوق السوفييتى فى تكنولوجيا الطيران ..؟ وهيمنة العرب بالتالى على الأجواء فى الشرق الأوسط ..؟

بالطبع لا .. فالصراع ما بين الشرق والغرب على الغلبة والتميز والسيطرة ، صراع شرس لا يهدأ ، وانتصار العرب على إسرائيل بالسلاح السوفييتى ، معناه دحر السلاح الأمريكى والغربى ، وهذا ما لم تقبله أمريكا .. أبدًا .

لذلك .. كان هناك تنسيق مستمر بين الـ C.I.A والمخابرات الإسرائيلية ، لاختطاف إحدى طائرات الميج ٢١ العربية ، للوقوف على خفايا قوتها ، ونقاط الضعف فيها ، بمَا يضمن تلاف خطرها ، والعمل على تحديث تكنولوجيا الطيران لزيادة الكفاءة ، والارتفاع بمستوى الفعالية القتالية إلى مراحل متقدمة ، تفوق النجاح السوفييتى وأدمغة خبرائه . وأخذت الحرب السرية تشتعل ضراوة وقسوة ، خاصة بعد حادث إسقاط طائرة التجسس الأمريكية 2.U فوق روسيا ، وتزامن كل هذا مع واقعة غريبة حدثت فى القاهرة .

كان ذلك فى نهاية عام ١٩٦١ ، عندما أعدم الجاسوس المصــرى جان ليون توماس[1] – وهو أرمنى الأصل – وأعلن حينها عن تجسسه لصالح الموساد ، واعترافه أثناء محاكمته أن الإسرائيليين أغروه بمكافأة ضخمة ، فى حالة تمكنه من تجنيد طيار مصرى ، يقبل الهرب لإسرائيل بطائرته الميج ٢١ ، مقابل مليون دولار . وأن قائد سلاح الجو الإسرائيلى – عيزرا وايز مان – يلح فى الحصول على هذه الطائرة التى يرعب بها العرب إسرائيل ، وإهدائها سليمة للأمريكان لفحصها . لكنه – أى توماس – فشل فى العثور على طيار مصرى خائن ، برغم الإغراءات الإسرائيلية التى كانوا يلاحقونه بها باستمرار .

لقد وضعت فى إسرائيل تصورات لعدة طرق مختلفة ، اشترك فيها رؤساء أجهزة الاستخبارات والخبراء المعنيون ، وبعض ضباط الـــ C.I.A ، للحصول على الميج ٢١ المتقدمة، طرحت من بينها فكرة اعتراض طائرة مصرية أو سورية ، وإجبارها على الهبوط فى إسرئيل ، لكن رُفضت الفكرة ، لأن إسرئيل لا تمتلك طائرات تماثل الميج ٢١ قوة ، وعرضت آراء توضح أن الطيارين العرب تمرنوا على قيادة الميج بمهارة ، تضمن لهم التفوق والغلبة فى حالة اعتراض تشكيل جوى إسرائيلى ، وبالتالى ستكون الخسارة فى الطائرات الإسرائيلية وطياريها ، هزيمة ساحقة سيتغنى لها العرب .

وكانت الفكرة الثانية ، فكرة غبية ، يستحيل تنفيذها على أرض الواقع ، وهى السعى لزرع عميل طيار فى أحد أسلحة الجو العربية ، وبعد مناقشات حامية ، رفض الاقتراح أيضًا ، فقد كانت نسبة نجاحه لا تتعدى ١٪ ، بالإضافة إلى أن الأمر قد يستغرق سنوات طويلة ، وهذا ليس فى صالحهم .

---

(١) فى ٢٥ أكتوبر ١٩٦١ أصدرت محكمة أمن الدولة العليا ، التى تشكلت بالقرار الجمهورى رقم ٧١ لسنة ١٩٦١ ، حكمها بإعدام ثلاثة من المصريين ، بينهم جان ليون توماس ، وبالأشغال الشاقة على آخرين ، عملوا لصالح المخابرات الإسرائيلية . وكانت جلسات المحاكمة الــ «٨٣» قد استغرقت ستة أشهر وبلغ عــدد صــفحات القضية ستة آلاف صفحة ، وأدلى ٩٥ شاهدًا بأقوالهم منهم الخبراء والفنيين . أما عدد المتهمين فى قضية التجسس التى عرفت باسم «شبكة توماس» فبلغ ١١ متهمًا مصريًا ، و٦ من الأجانب ، ودافع عنهم ٣٣ محاميًا .

وفى إســرائيل تشكلت لجنة تحقيق ، لدراسة أسباب سقوط شبكة توماس ، التى كانت تمثل وقتذاك مصدرًا حيويًا لتدفق المعلومات الاستراتيجية لإسرائيل ، وأيضًا ، الأمل الوحيد المتبقى لإسرائيل للحصول على الميج ٢١ من مصر .

تفاصيل شبكة توماس جاءت بكتابنا « جواسيس الموساد العرب ، أشهر ٢٥ جاسوسًا » .

لم يكن أمامهم إذن إلا اقتراح واحد ، أجمعوا عليه بلا استثناء ، وهو تجنيد طيار عربى وإغراؤه بمبلغ كبير ، للهرب بطائرته إلى إسرائيل . كان الأمر يحتمل النجاح بنسبة ٢٥% ، لكن المشكلة كانت فى عامل الوقت ، فالمنطقة العربية كانت فى حالة غليان ، والحرب قد تقع فى أية لحظة فجائية ، إذا ما أنهى عبد الناصر حرب اليمن منتصرًا ، وعادت قواته إلى الجبهة أكثر تمرسًا ، وعطشًا إلى الحرب ، تساعدها السيطرة الجوية ، والتفوق العددى ، والروح المعنوية العالية الإحساس بنشوة الجهاد .

من هنا .. اتفق الجميع فى إسرائيل من رجال المخابرات العسكرية ، والموساد ، وخبراء العمليات الحرجة ، وضباط الـ C.I.A ، على ضرورة التنسيق المعلوماتى والاستخباراتى ، من أجل تحقيق الهدف الحلم .

ولم يكن الأمر سهلاً البتة ، إذ واجهت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية مشكلة إغراء طيار عربى ، نظرًا لأن الحكومات العربية توفر لطياريها حياة هادئة ، وتمنحهم وأسرهم تسهيلات عديدة فى التعليم والعلاج ، وتضمن لهم راتبًا عاليًا يفوق أقرانهم الضباط فى الأسلحة الأخرى ، فأبعدتهم بذلك عن أية توترات ، تتصل بالمعيشة أو بالمستقبل ، وأغدقت عليهم رعاية خاصة ، ووضعية تحيطها هالة من وقار ، سدّت بها كل الحيل أو الثغرات التى يمكن الوصول إليهم من خلالها .

وبالرغم من الصعوبة القصوى التى واجهت أجهزة مخابرات إسرائيل ، إلا أن رجالها لم ييأسوا فى السعى إلى مبتغاهم ، لإنجاح التصور الأخير الذى كانت نسبة نجاحه الكبيرة مغرية ، إذا ما توافرت عدة أشياء حيوية للغاية ، أهمها جمع أكبر قدر من المعلومات ، الاجتماعية والسلوكية ، عن الطيارين العرب فى مصر وسوريا والعراق ، واللعب على وتر الأقليات والعقائد .

هكذا نشطت لديهم الفكرة ، وشرعوا فى البحث عن كل معلومة – ولو كانت تافهة – عن طيارى الدول الثلاث ، من خلال عملائهم فى العواصم العربية ، ومن خلال ما تنشره الصحف العربية فى صفحات النعى والاجتماعيات .

ولأجل هذا .. استحدثت المخابرات الإسرائيلية بشتى أجهزتها ، وإمكاناتها ، أجهزة كمبيوتر جبارة ، حوت ملفات عن مئات من الطيارين العرب ، حتى أن المسئولين عن هذه الملفات ، أجادوا تصنيفها ، بالشكل الذى يتمكنون بواسطته من تحليل هؤلاء الطيارين نفسيًا ، وأيديولوجيًا ، واجتماعيًا ، والتغلغل إلى أعماقهم فى سهولة ، من خلال فريق عمل يضم أبرز أساتذة علم النفس .

وحمى وطيس المعركة .. فتعالوا نقلب معًا ملف الحرب السرية ، ونتعرف على غرائب ذلك العالم الغامض ، عالم المخابرات والجاسوسية ..!!

فريد الفالوجى

القاهرة ، مدينة نصر ،

٠١٢/٧١١٢٦٦٢

فاكس : ٠٢/٤١١٤٥٢١

الفصل الأول

□□ تلك الخرافة الملعونة .. نريدها.. نريدها سليمة فى أزهى ثيابها وحُلّيها .. لنزيل بها حاجز الخوف القابع بصدور طيارينا .. ونتحسس ملَكاتها الأسطورية التى يخيفنا العرب بها .

فبامتلاكها .. سوف نضمن الغلبة لإسرائيل .. ونؤمّن بذلك مستقبل دولتنا .. وأولادنا .. إلى الأبد ..!! □□

« ديفيد بن جوريون »



بين هاريل وعاميت

فى بداية الستينيات من القرن الماضى ، كانت أجهزة المخابرات الإسرائيلية تعانى خللاً متصاعدًا منشؤه تعارض المهام والاختصاصات ، ذلك أن رئيس الموساد – ايسير هاريل – والمقـرب جدًا لرئيس الوزراء ، كان يفـرض هيمنته أيضًا على جهـاز المخابرات العسكرية – أمان – ، فى الوقت الذى كانت فيه « أمان » تعانى من مشكلات أخرى عديدة ، تعوق نشاطاتها وتحد من انطلاقها .

فحتى ذلك الوقت ، كان قد تولى رئاستها أربعة جنرالات ، استبعد ثلاثة منهم وأجبروا على التخلى عن المنصب ، أيسير بيرى كان أولهم عام ١٩٤٩ لانتهاكات حقوق مدنية ، وجاء من بعده بنجامين جيبلى عام ١٩٥٥ ، الذى أبعد إثر فضيحة لافون فى مصر ، ومن بعده ياهو شافات هاركابى عام ١٩٥٨ ، لسوء إدارته فى عملية تعبئة لاحتياطى الجيش .

أما رئيس أمان الرابع ، الجنرال حاييم هيرتزوج[1] ، فقد فضل أن ينسحب بعدما فشل فى إبعاد هاريل عن جهازه ، محتجًا على سكوت رئيس الوزراء – بن جوريون – إزاء تدخلات هاريل .

وباستقالة هيرتزوج فى فبراير ١٩٦٢ ، فكر بن جوريون فى مائير عاميت ، الذى كان وقتها جنرالاً فى جيش الدفاع ، ورأى أنه الأنسب لرئاسة المخابرات العسكرية ، بيد أن أيسير هاريل اعترض بشدة ، ربما لمعرفته بمكانة عاميت ونفوذه داخل الجيش ، وربما أيضًا لتخوفه من نوايا بن جوريون ، حيث اتجهت ظنونه إلى أنه يعده خلفًا له ، خاصة وأن علاقته برئيس الوزراء آنذاك كانت قد تضاءلت ، وأحاطها الفتور .

وباستماتة حاول هاريل إقناع رئيس الوزراء بخطورة اختيار عاميت ، كجنرال عسكرى يفتقر خبرة رجل المخابرات ، لكن بلا فائدة .

من جهته ، انتاب عاميت القلق المصحوب بالتوتر ، ذلك لأن جهاز أمان كان فى حالة من عدم الاتزان ، وتسوده العلاقات الخاصة والمصالح ، مما أثر على مهامه فى خدمة الدولة ،

(١) تولى رئاسة أمان مرتين ١٩٤٩ : ١٩٥٠ ، ومن ١٩٥٩ : ١٩٦٢ .

ونأت به إلى مهام أقل أثرًا بسبب نفوذ هاريل ، فضلاً عن أنه – أى عاميت – كان يفضل الحياة العسكرية ، والزى العسكرى ، ولم يتعود بعد على الحياة بالزى المدنى ، قابعًا خلف المكاتب والأوراق .

لكن ما إن تولى عاميت منصبه ، حتى سعى للالتقاء بهاريل فى محاولة جادة لتوطيد علاقته به ، لتخفيف حدة الكراهية والتنافس بين الجهازين .

وفى اجتماع مطول ضمهما ، أكد عاميت[1] على ضرورة نبذ الخلافات ، والتنسيق المشترك بينهما فيما يتعلق بأمور الدفاع عن الدولة ، موضحًا أن عمل الجهازين يصب فى النهاية فى بوتقة واحدة ، تخدم أمن إسرائيل ومصالحها ، وتوجا الاجتماع بالاتفاق معًا على ضرورة التعاون الوثيق ، لتحقيق حلم امتلاك طائرة ميج ٢١ عربية .

لكن الخلافات ما لبثت أن اشتدت بين رئيسى الجهازين ، وهى خلافات بعيدة عن الهدف المرسوم ، سببها التعارض فى أسلوب التطبيق الفعلى للعمليات .

فهاريل رئيس الموساد كان منسقًا بارعًا ، ومحللاً فذًا ، بينما كان عاميت عبقريًا فى الاستراتيجية العسكرية . لذلك اصطدمت رؤيتيهما الخاصة لمعالجة الحدث ، وبدا كلاهما مختلفًا فى معايير الدراسة والتخطيط ..

ففى حين انشغال عاميت بفهرسة قوائم الطيارين العرب ، وتحليل البيانات والمعلومات التى يتوصل إليها أولاً بأول ، آثر هاريل أن يجوب عواصم أوربا بحثًا عن طفل يهودى مختطف[2] ، وينام داخل سيارته يرتجف من البرد ، معرضًا أمنه الشخصى للخطر ، وهو

(١) الجنرال مائير عاميت : من مواليد طبريا عام ١٩٢٦ ، تطوع فى منظمة الهاجاناة الإرهابية عام ١٩٤٦، وحارب الجيوش العربية عام ١٩٤٨ وجرح فى جنين ، واستولى مع أحد الفصائل على إيلات ، وكان قائد معركة الجنوب فى حرب السويس ١٩٥٦ ، وأصيب وقتها برصاص المصريين وظل يعالج ستة عشر شهرًا فى أمريكا ، وقبلما يتولى رئاسة (أمان) كان قائدًا لوحدة مشاه ودبابات ، واشتهر عنه بأنه الذى طور مبدأ (اتبعونى) أى أن القائد العسكرى يجب أن يكون فى المدقمة أثناء الحرب لا العكس ، واسمه الأصلى مائير سلوتزكى ، وهو أول رجل من خارج الموساد يتولى رئاستها (١٩٦٣ – ١٩٦٧).

(٢) يوسيل شوماخر : طفل يهودى اختطف وهو فى الثامنة من عمره فى نوفمبر ١٩٥٩ بواسطة جده الأرثوذكسى المتعصب، الذى هربه إلى أوربا بهوية طفلة تحمل اسم كلودين ، خوفًا على تربيته العلمانية فى إسرائيل. وعلى مدى عامين ونصف ظل هاريل ورجاله ينقبون عن الطفل فى عواصم أوربا، فى عملية أطلق عليها اسم «النمر». وكانت مأساة الطفل قد انتشرت، وأذيعت الأغنيات الحزينة عنه، وصاحب ذلك سخرية لاذعة من جهاز الموساد، إلى أن عثر على يوسيل فى نيويورك وأعيد إلى إسرائيل فى يوليو ١٩٦٢ .

يقود فريقًا من أكفأ رجاله دون أدنى أمل ، مهملاً أمورًا أعظم أهمية تتطلب وجوده فى إسرائيل ، إلى أن تفجرت قضية العلماء الألمان فى مصر ، عندما ألقى القبض فى سويسرا على عميلين للموساد[1] هددا ابنة عالم ألمانى يعمل فى القاهرة ، وكانت فضيحة مدوية ، بسببها تهددت العلاقة الدبلوماسية بين بون وتل أبيب ، ووقعت الكارثة على رأس هاريل كالصاعقة .

وفى ٢٦ مارس ١٩٦٣ ، كان عاميت فى مهمة خاصة ، عندما طُلب منه أن يتصل على وجه السرعة برئيس الوزراء ، وبعد ثلاث ساعات وصل عاميت لمكتب بن جوريون فى كيريا بتل أبيب ، فصافحه ببشاشة وأطلعه على استقالة هاريل وبموافقته عليها ، ودون أن يسأله عن رأيه فاجأه بقوله :

« أنت رئيس الموساد المقبل ، وسوف تكون مسئولاً فقط عن التجسس فى الخارج . أما مكافحة التجسس فى الداخل فمن مسئولية الشين بيت[2] » .

لم يكن مائير عاميت يصدق ما يسمعه ، إذ ألجمته الدهشة ولم يعلق سوى بهمهمة غير مفهومة ، ثم تمالك زمام نفسه أخيرًا ، وتعهد لرئيس الوزراء بأنه سيقوم على مهامه بأمانة وإخلاص ، وسيولى موضوع الطائرة الميج ٢١ أهمية خاصة وزائدة من أجل اقتنائها فى أسرع وقت .

---

(١) فى ٨ مارس ١٩٦٣ ، ألقى القبض فى سويسرا على عميلى الموساد الدكتور أوتو جوكليك النمساوى الجنسية ، والإسرائيلى يوسف بن غال ، وهما يهددان هايدى جوركى ابنة الخبير الإلكترونى د. بول جوركى الذى يعمل فى القاهرة ، حيث قصدا من تهديدها ابتزاز والدها وإقناعه بمغادرة مصر .

وفى ١٥ مارس أعلنت سويسرا رسميًا نبأ اعتقال العميلين ، واتضح أن جوكليك أحد علماء الصواريخ الذين عملوا فى مصر ، وتم تجنيده من قبل الموساد للحصول على معلومات حول المشروع السرى الذى يقيمه عبد الناصر . وأدى القبض على العميلين إلى إثارة أزمة دبلوماسية حادة بين سويسرا وإسرائيل ، وبفشل العملية التى أطلق عليها (داموكليس) استقال ايسيرها ريل من رئاسة الموساد .

(٢) الشين بيت – أو كما يسمونها رسميًا – شاباك – اختصار من « شيروت بيتاشوت كلاتى » أى الإدارة الرسمية للأمن (جهاز الأمن الداخلى) ومهمته مكافحة الجاسوسية داخل إسرائيل ، ومراقبة العرب الذين يعيشون فى الداخل ، وقد تولى أيسير هاريل رئاسة الجهاز ابتداء من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٦٣ ، بالإضافة إلى رئاسته للموساد ١٩٥٢ – ١٩٦٣ ، ومن أهم عمليات الشين بيت خارج إسرائيل ، المشاركة فى اختطاف أدولف إيخمان من الأرجنتين فى مايو ١٩٦٠ ، والبحث عن يوسيل شوماخر الطفل اليهودى المخطوف . وتولى رئاسة الشين بيت بعد هاريل ، آموس مانور لستة أشهر تقريبًا .

كان عاميت أول رئيس للمخابرات العسكرية الإسرائيلة ، يتولى رئاسة جهاز الموساد ، لذلك فقد استبشر به بن جوريون خيرًا ، وتوقع أن يتحسن آداء الموساد على يديه ، تعززه القدرة على التنسيق نتيجة خبرته ، ودوره المزدوج فى الموساد وأمان .

هذا أيضًا ما توقعه كبار رجال المخابرات والجيش . بيد أن الأمر لم يكن سهلاً تمامًا أمام آميت ، فهو أول رجل من خارج الموساد يتولى رئاستها ، خاصة ، وقد جاء بعد أيسير هاريل ، الذى مكث أكثر من ربع قرن يجمع الموساد والشين بيت بين أصابعه ، حتى أطلق عليه « بطريك المجتمع السرى » .

وفى مقر الموساد ، لم يكن استقبال عاميت مطمئنًا ، فقد كان مايزال يرتدى زيه العسكرى الذى يعتز به ، وفوجئ بهاريل بالمكتب يجمع أوراقه ، فتصافحا فى فتور ، ثم خرج هاريل مكتئبًا ، بينما انهمرت دموع سكرتيراته الثلاثة . وواجه عاميت مأذق الاستقالات الجماعية لأنصار هاريل ، مستهلاً عمله فى جو مشحون بالتوتر ، والمرارة ، ولكنه نشط فى حماس فى فتح ملف الميج ٢١ ، يملؤه إصرار عميق على إنجاز مهمته .!!

خائن بالصدفة

كان مائير عاميت مؤمنًا بتسلسل القيادة العسكرية ، فإذا ما سقط قائد فى معركة أو رحل فإنه يستبدل على الفور . ومن هذا المفهوم ، وجه ضربة عنيفة لأنصار هاريل الذين أظهروا سخطهم ، ودفع بدماء جديدية داخل شرايين الجهاز السرى ، وطار إلى أوربا للتنسيق مع رجاله هناك .

وبينما كان بباريس ، استقال فجأة رئيس الوزراء ديفيد بن جوريون ، وتولى ليفى أشكول الذى كان وزيرًا للمالية مكانه . وأبدى عاميت تخوفه للتغيرات التى حدثت ، لكنه رأى فى رئيس الوزراء الجديد رجلاً محبًا لأعمال المخابرات ، ولأنه يفهم الأمور المالية فقد خصص ميزانية أكبر للموساد ، ومكّن عاميت بذلك من استحداث الكثير من معداته وأدواته، ومن الإنفاق باطمئنان على معامل البحوث الفنية ، للارتفاع بمستوى التقنية فى الجهاز ، مستعينًا بالكفاءات من رجاله فى « أمان » وضمهم إلى الموساد ، وبالوحدة « ١٣١ » – ذراع العمليات المثلى لأمان – فضمن تنظيم هيكل الموساد بأسلوب مثالى جديد ، استعدادًا للمرحلة الحاسمة المقبلة ، التى يتأهب لها فى دهاء .

كان أيضًا بحاجة إلى مكان أوسع .. لذلك نقل عاميت مقر الموساد[1] إلى مبنى حديث فى وسط تل أبيب ، واستعان بأجهزة كمبيوتر حديثة لتخزين المعلومات وتسهيل استدعائها ، وعنى بجمع المعلومات العسكرية والسياسية والاقتصادية عن الدول العربية ، مستفيدًا من طابور طويل من الخبراء فى تحليلها ، وبذل جهودًا غير طبيعية فى البحث عن المتميزين من ذوى الكفاءات والمهارات ، ليس فى الجيش الإسرائيلى فحسب ، بل فى الأكاديميات ، والجامعات ، والمؤسسات ، وفى عالم الفن والتجارة والصحافة ، فأرسى بذلك الكثير من المبادئ ، التى أسبغت على الموساد صفة الأداء الدقيق المنظم ، وساعدت على أن تعمل شتى الأقسام بتخطيط علمى متقن .

وأمام رغبة القيادة السياسية ، وإلحاح قائد سلاح الطيران ، عيزرا وايزمان ، فى الحصول على الميج ٢١ ، وكانت وهى أيضًا رغبة القيادة السياسية فى أمريكا ، لم يدخر عاميت جهدًا فى إطلاع عملاء الموساد فى كل من مصر والعراق وسوريا ، وحثهم على ضرورة البحث عن طيار عربى لتجنيده .

وبعد مرور أقل من عام على تولى عاميت أمر الموساد ، وفى انتظار تحقيق المعجزة ، حدثت مفاجأة غريبة لم تخطر ببال .

ففى عام ١٩٦٤ ، هرب الطيار المصرى المختل عباس محمود حلمى إلى إسرائيل ، بواسطة طائرة تدريب سوفييتية قديمة من طراز (ياك ١٥) ذات مقعدين .

وبرغم خيبة الأمل التى أصابت الإسرائيليين بسبب نوع الطائرة ، إلا أن الطيار المشوش العقل استقبل بحفاوة بالغة فى إسرائيل ، واستغل حادث هروبه[2] أسوأ استغلال فى التشهير

---

(١) كان المقر القديم يقع داخل ثكنة عسكرية ، بجوار وزارة الدفاع ، بمنطقة كيريا فى تل أبيب ، أما الآن فالمقر بشارع الملك شاؤول .

(٢) حادثة هروب الطيار عباس حلمى لم تكن الأولى من نوعها فى مصر ، ففى عام ١٩٤٠ هرب الضابط الطيار سعودى حسين فى طائرة حربية من طائرات سلاح الطيران الحربى المصرى ، وكان برفقته على الطائرة مساعده رضوان محمد سالم ، وتبين فيما بعد أنهما فى ألمانيا ، وأكد ذلك الجاسوس الألمانى هانز جيبلر الذى اعتقل فى مصر عام ١٩٤١ ، وكان قد وصل القاهرة سرًا فى طائرة خاصة تحمل شارة سلاح الجو البريطانى وهبط بها فى الليل بصحراء الأهرام ، وكانت مهمته التجسس على القوات الإنجليزية فى مصر ، وتمكن من الالتحاق بإحدى فرق الجيش البريطانى كضابط من ضباطها حتى اكتشف أمره ، وأعدم بالرصاص فى القاهرة خلال شهر يناير ١٩٤٢ .

المثير للدهشة .. أن الجاسوس الألمانى هانز جيبلر كان قد جاء إلى مصر عام ١٩٣٤ ، وتطوع للخدمة العسكرية بالجيش المصرى باسم « حسين جابر » من سكان شبرا ، وكان يحمل أوراقًا رسمية بذلك ، وكان أيضًا يتحدث باللغة العربية وباللهجة العامية فى طلاقة ، وبقى فى خدمة الجيش المصرى حتى سنة ١٩٣٩ ، عندما قامت الحرب العالمية الثانية ، ثم قفل راجعًا إلى ألمانيا ، ليجىء هذه المرة التى أعتقل فيها وأعدم بواسطة الإنجليز .

بالنظام فى مصر ، فقد ادعوا أن عباس حلمى هرب احتجاجًا على تدخل مصر فى اليمن ، وضرب القوات الملكية هناك بالغازات السامة ، وبالأسلحة الغير مشروعة دوليًا ، مما أثر على أعصابه وعلى إيمانه بالقومية العربية ، وبالعروبة .

أخضع عباس حلمى لاستجواب دقيق ، وسئل مئات الأسئلة ، ولم يكن بمقدروه ادعاء الجهل بأشياء كثيرة تتعلق بأدق التفاصيل عن الميلج ٢١ ، فقد كان أحد طياريها ، وأدرك بعد فوات الأوان ، أنه ارتكب جريمة الخيانة العظمى فى حق وطنه ، لذا ، فقد كان عليه أن يستغل معلوماته العسكرية للحصول على الأمن والحماية أولاً ، ولتحقيق أكبر عائد مادى ثانيًا ، بما يكفل له حياة مستقرة فى وطنه الجديد .

لقد كانت لدى رجال الموساد شكوك حول العملية برمتها ، وكبر لديهم هاجس تحسبوا له كثيرًا ، وهو أن المخابرات العسكرية المصرية ربما تقوم بخدعة كبرى ، وأن إرسال عباس حلمى بطائرة عتيقة لا تساوى شيئًا ، لعبة مهارية خارقة من المصريين ، لتسريب معلومات مغلوطة عن الميج ٢١ ، تربك بها حساباتهم ومعلوماتهم « الغير يقينية » عن بعض أسرار الطائرة ، ونقاط تميزها .

لذلك .. أعيد سؤال عباس حلمى ذات الأسئلة مرات ومرات ، وحيرتهم كثيرًا إجاباته الدقيقة التى لم تكن تتغير ، ومع إصراره العنيد على أنه لا يقول إلا الصدق ، عرضوه على جهاز الكشف عن الكذب .

وبينما الأسلاك الملتصقة برأسه وصدره تتصل بأجهزة رسم المخ ، وقياس الذبذبات والنبض ، كان ستة من الخبراء الفنيين دفعة واحدة يعكفون على استجوابه ، فلا يكاد الواحد منهم يلقى بسؤاله حتى ينطلق آخر بسؤال جديد ، وهكذا دواليك لمدة ساعتين ونصف الساعة ، حتى تفككت قواه ، وبكى بحرقة فى يأس طالبًا منهم أن يعيدوه إلى مصر ، فإعدامه هناك أرحم من العذاب الذى يلاقيه عندهم .

وما كان لهم أن يعيدوه ثانية إلى مصر ، وما كان لهم أيضًا أن يتيقنوا من صدقه مائة بالمائة ، فبرغم الرسوم الكهرومغناطيسية للجهاز الأمريكى الصنع ، والتى أثبتت أنه لا يكذب، قال بعضهم إن الطيار المصرى ربما أعد إعدادًا محكمًا لتلك المهمة ، وأنه قد دُرب عليها عشرات المرات قبل أن يبعثوا به إليهم .

لقد كانت دائرة الشكوك داخل الموساد تضيق وتتسع ، ومع ذلك ، فقد اعتبر عاميت فرار الطيار المصرى ثروة هائلة ، ستدفع ربما بأحدهم من طيارى الميج ٢١ إلى تقليده ، والهرب بطائرته الأسطورية لإسرائيل وعلى هذا ترك مصير الطيار المذعور إلى أن يقول الأمريكيين رأيهم النهائى .

وحينما تلقت الـــ C.I.A تقريرًا وافيًا بما تم التوصل إليه ، حتى اتصل رئيس المخابرات المركزية[1] بعاميت ، يطلب منه مساعدة فريق من الفنيين ، سيبعث به إلى تل أبيب لاستجواب الطيار المصرى ، واستبيان صدقه من عدمه .

كانت الـــ C.I.A هى الأخرى ، تحمل قدرًا كبيرًا من الشكوك تجاه الحدث ، وتعلقت بأذهان رجالها صور الخداع التى مورست بأساليب تمويهية خارقة أيام الحرب العالمية الثانية ، وأيضًا التطور الشاسع لجهاز الاستخبارات السوفييتى ، والذى قد يكون وراء العملية كلها ، لأسباب استراتيجية بحتة ، لإحكام إحدى العمليات المخابراتية مع نشوب الحرب الباردة بين الدولتين العظميين .

ومن مطار اللد فى تل أبيب ، اتجه فريق الفنيين الأمريكى إلى مقر الموساد الجديد ، حيث العشرات من خبرائها انعزلوا عن العالم المحيط بهم ، وعكفوا على دراسة وتحليل كل كلمة تفوه بها عباس حلمى ، ومراجعة قياسات جهاز كشف الكذب من جديد .

هكذا جئ بالطيار المصرى فصافحه الأمريكان بود ، وأوصلوا رأسه وصدره مرة ثانية بجهاز حديث استقدموه معهم ، كان بحجم حقيبة السفر ، وذو قياسات تحليلية أفضل . وسألوه مباشرة :

- أى نوع آخر من الطائرات طرت بها بخلاف الميج ٢١ ..؟

أجاب دون تردد :

- السوخوى .. السوخوى الاعتراضية SU-9 ، والسوخوى SU-7B ذات المقعدين .

سئل :

- ما الفرق بينهما طولاً وعرضًا ..؟

---

(١) كان جون ميكون وقتها هو رئيس المخابرات المركزية من ١٩٦١ - ١٩٦٥ .

أجاب :

– لا فرق فى الطول بينهما فطول كلاهما ١٧ مترًا ، وأقصى عرض للأولى ٨ متر ، والثانية ٩ متر ، والجناح مسحوب للخلف .

سئل :

– ما تسليح السوخوى SU-9 من الصواريخ ..؟

أجاب :

– عادة صواريخ ANAB جو / جو ، التى توجه راديًا وبالأشعة دون الحمراء ..!!

سئل :

– بما تحلل تساوى مساحة الدرع الواقى من انفجار الطلقات على جانبى جسم الطائرتين ..؟

أجاب :

– السؤال به خطأ ، ففى السوخوى SU-7B التى أنتجت مؤخرًا زيادة فى مساحة الدرع الواقى بجوار المدفع « وهذا يدل على أن المدفع المركب بها ، إما أن تكون سرعة الطلقة عند فوهة الماسورة عالية ، أو أن معدل كثافة النيران مرتفع جدًا » .

سئل :

– كم فرملة هوائية فى كل طائرة ..؟

أجاب :

– فرملتان فى SU-7B وأربعة فرامل فى الطائرة SU-9 فى أزواج على جانبى مؤخرة الجسم .

سئل :

– ارسم شكلاً لعدادات الطائرة السوخوى SU-9 مبينًا عداد سرعة الانهيار بدون قلابات ، وعداد معدل التسلق على مستوى سطح البحر .

وبعدما رسم أشكالاً مختلفة لعدادات الطائرة ، وأذرع التشغيل ، طلب منه أن يرسم الأشكال نفسها الخاصة بالميج ٢١ ، وتوضيح عدادات التحميل ، وأذرع القنابل والصواريخ والمدافع ، ومبيّنات الأجزاء الهيدروليكية ، والرادار وخواصه التكتيكية والفنية ، وهوائى الرادار وكيفية تلاشى الإعاقة ، وزاوية تشغيله يدويًا وهيدروليكيًا ، وعمله فى التفتيش والمسح الواسع ، والمسح الضيق فى نطاق ٤٥ درجة ، وكذا شاشة المرسل النبضى ومبينات الاستعداد للهجوم ، ومقدمات القذف الصاروخى والتشغيل .

وبتفصيل فنى شديد طلب منه أيضًا رسومات توضيحية لمفاتيح المناورة الحادة ، والاشتباكات الجوية والقصف جو / جو ، وجو / أرض ، ووضع الاقتراب الدقيق والتتبع ، وتقنيات الشاشات الملاحية الرادراية والتليفزيونية ، ورادار قياس الارتفاعات ووصف المبين ، ولوحة البيان بأقسامها العشرة العلوية والسفلية ، وشاشة الخطر .

وجاءوا به فى صندوق

هكذا عُصر الطيار المصرى عصرًا بواسطة خبراء الطيران فى الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد ستة ساعات تقريبًا أنهوا استجوابهم ، وأكدوا للإسرائيليين أنه من المستحيل أن يكون مدسوسًا عليهم ، فهو طيار ماهر جدًا ، وحاصل على دورات تدريبية عديدة فى موسكو ، ولا يمكن أن يضحى المصريون بطيار فى خبرته ، من أجل عملية مخابراتية خداعية .

وبإخضاع عباس محمود حلمى للتحليل النفسى بواسطة متخصصون ، وجد أنه أصيب بصدمة عصبية حادة[1] ، انهارت لها أعصابه وبلغت مرحلة الخور Asthenia ، نتيجة انحدار مقاومته وإرادته ، أوصلت به إلى حالة مرضية عقلية – يمكن علاجها – تسمى علميًا « تبدلات الطبع » Alterations in character ، وهى حالة تدفع بالمريض إلى الاكتئاب والإهمال فى العمل ، وعدم الاهتمام بأسرته أو مظهره ، وقد يرتكب سرقات خفيفة أو يستعرض نفسه .

---

(١) يطلق البعض على هذه الحالة اسم « الفصام » ، والفصام كلمة من أصل يونانى معناه : تشقق النفس Splitting of the psyche ، وتكون أكثر شيوعًا فى الفترة من ١٨ : ٣٠ عامًا نتيجة الصدمات الفجائية العنيفة ، ومن بين أعراضه انفصال أو ضعف الارتباطات ، مع اضطراب حاد بالعالم الواقعى والعلاقات الوجدانية ، والميل للانسحاب من المجتمع ، وإظهار السلوك العدوانى والتصرفات الاندفاعية .

.. بيد أن قصة هروب الطيار المصرى[1] إلى إسرائيل ، أشارت إليها فى حينها بعض وسائل الإعلام الغربية ، المنحازة لإسرائيل ، على أنها عملية مخابراتية بارعة ، خططت لها الموساد فى واحدة من أروع عملياتها ، التى دفعت بها إلى نهايتها . وَرُوِّجت أقاويل شتى عن كفاءة المخابرات الإسرائيلية ، التى تطول عملياتها عمق النسيج العربى ، وتخترق إجراءاته الأمنية الصارمة .

ورد مسئول مخابراتى إسرائيلى على تلك الأقاويل بالنفى القاطع ، مؤكدًا أن هروب عباس حلمى كان لسبب أيديولوجى بحت لا دخل فيه لإسرائيل ، وأضاف معلقًا بأن الحكومات العربية تروج لشعارات قومية كاذبة ، لا يصدقها عقلاء ، لأن لا وجود لها على أرض الواقع ، وأن إسرائيل هى واحة الديموقراطية فى المنطقة ، وأبوابها مفتوحة لكل إنسان حر شريف ، يسعى إلى حياة مطمئنة تفيض بالأمن والرخاء .

وقال المسئول الإسرائيلى أيضًا ، أن الطيار المصرى والمئات غيره من المواطنين العرب ، الذين اختاروا اللجوء لإسرائيل ، يعيشون بين أهليهم فى وطنهم الجديد فى دعة واطمئنان ، وبرغم كون إسرائيل دولة صغيرة المساحة ، إلا أن سكانها ، وهم ينتمون إلى خلفيات عرقية ودينية وثقافية واجتماعية متباينة ، ذوى التزام خلاق فى إعطاء زخم ديناميكى لاستمرار تطور المجتمع ، وفقًا لمبادئ الصهيونية وهى الحركة القومية للشعب اليهودى .

وعلق مسئول بوزارة الخارجية قائلاً :

إنه منذ حققت إسرائيل الاستقلال السياسى ، توافدت على البلاد جماعات كبيرة من البشر ، مما أدى إلى تغيير التركيبة الاجتماعية الإسرائيلية ونسيجها ، وكانت النتيجة أن تبلورت تركيبة جديدة ، هى بمثابة مزيج من القيم ، والأسس الاجتماعية لتكون الدولة التى واجهت مشاكل أمنية معقدة ، نجمت عن إصرار الجانب العربى على رفض الاعتراف بإسرائيل .

(١) كان عباس حلمى شابًا عابثًا ، متعدد العلاقات النسائية ، يشاركه أحد أصدقائه عبثه ومجونه ، وتردد أن فتاة جميلة من أسرة مشهورة ارتبط بها النقيب طيار عباس حلمى ، وأحبها لدرجة الجنون ، وخطبها . حتى فوجـئ بها ذات يوم خلال إحدى أجازاته ، عارية فى فراش صديقه الذى لم يكن يعرف أنها خطيبته ، فلم يـتحمل عقلـه الصدمة ، ورجع إلى قاعدته الجوية فى حالة يرثى لها من الاكتئاب والانزواء ، وعندما أقلع بالطائرة لتجربتها بعد صيانة أجريت لها ، هرب لإسرائيل .

ومع ذلك .. فنحن نرحب بكل من يلجأ إلينا من إخواننا العرب ، للانضمام إلى نسيج المجتمع الإسرائيلى ، الذى يحترم الأديان ويساوى بينها .

أما فى القاهرة ، فلم يعلق الجهاز الإعلامى المصرى على الحدث علنيًا ، بينما التزم رئيس المخابرات العامة – صلاح نصر[1] – الصمت .

هذا الصمت كان يحمل كل دلالات الترقب للانقضاض والانتقام ، ويخفى وراءه أشرس معركة سرية ، تعد بحق من أروع أعمال البطولات الخارقة لمخابراتنا ، عندما خطط صلاح نصر ورجاله لاستعادة الطيار الهارب ، وكانت الأوامر واضحة وحاسمة : لابد من اختطاف عباس حلمى ومحاكمته فى القاهرة ، مهما تكلف الأمر .. (!!) إنها رغبة عليا وواجب وطنى ، ومعركة .

وهذا ما حدث بالفعل بعد ذلك بقليل ، إذ جئ به فى صندوق من الأرجنتين[2] ، حيث تم تعقبه من إسرائيل حتى هناك ، بالرغم من العمليات التجميلية التى أجراها له الإسرائيليون لتبديل ملامحه ، والدروس الأمنية فى الإخفاء والتمويه لتحصينه ضد الوقوع فى خطأ يؤدى إلى كشفه ، بالإضافة إلى الهوية الجديدة التى تخفى وراءها .. وكانت عملية اختطافه من القارة البعيدة لطمة صاعقة لأجهزة مخابرات إسرائيل .

كيف تم ذلك .. ؟ هذه هى المعجزة العبقرية لرجال مخابراتنا العربية ، الذين يعملون صامتين فى مبناهم المنيف ، تحيطهم السرية ، ولا تفرحهم الضجة الإعلامية لبطولاتهم ، فهم لا يفكرون سوى بأمن مصر ، وعزتها .. !!



(١) صلاح نصر : عين نائبًا لرئيس المخابرات العامة المصرية فى ٢٣ أكتوبر١٩٥٦ ، ثم رئيسًا للمخابرات فى ١٢ مايو ١٩٥٧ خلفًا لعلى صبرى، وأقيل فى ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ ، إثر أزمة المشير عامر وانتحاره، ومات مصابًا بالعمى والشلل فى ٥ مارس ١٩٨٢ . وكان قد حكم عليه بالسجن ١٥ عامًا فى قضية انحراف المخابرات ، وصدق رئيس الجمهورية على الحكم فى ٢٢ أغسطس ١٩٦٨ ، ويفرج عنه السادات بعد سبع سنوات فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٤ .

(٢) أسباب هروبه وكيفية اختطافه وإعدامه فى القاهرة ، تجئ تفصيليًا فى كتابنا المعد للنشر :
« الطيار المصرى الهارب .. الذى جئ به فى صندوق من الأرجنتين .. ملف ينشر لأول مرة » .



الفصل الثاني

□□ سحب حزام بنطلونه وأخذ يضربها بعنف .. وكان يتعجب لأن ضرباته كانت تزداد قوة .. فى حين أن صراخها يكاد ألا يُسمع ..

وفى غمرة ثورته انفتح باب الغرفة فجأة .. وأطلق زملاؤها رصاصات مسدساتهم الكاتمة للصوت .. فسقط الطيار العراقى .. وعيناه ترمقان فى حسرة وألم .. أبناء وطنه الثلاثة ..!! □□



الأعصاب المرتجفة

كان الجو مشحونًا بالغضب ، ينبؤ بعاصفة عاتية قد تحيل الاجتماع إلى معركة ، فمائير عاميت ببذته العسكرية يتفرس وجه مساعده ياكوف كاروز[1] بنظرات نارية ، بينما كاروز تنطلق منه الكلمات كالمدافع ، معارضًا فكرة رئيسه فى اللجوء إلى عملائهم فى موسكو ، لرصد الطيارين العرب المتواجدين هناك ، فى دورات تدريبية .

عزز كاروز معارضته بسرد طويل لأعمال المخابرات السوفييتية ضد إسرائيل ، والتى بدأت حتى قبل إعلان الدولة عام ١٩٤٨ ، مستشهدًا بآخر الفضائح المأساوية التى هزت إسرائيل وزلزلتها ، بانكشاف خيانة إسرائيل بير[2] .

انطلق كاروز يفند أسباب معارضته ، بينما لم يبعد عاميت عن عقله كون كاروز من أقرب المتعاطفين مع عدوه إيسير هاريل ، وأكثرهم حنقًا لاحتلاله منصبه . فبرغم اختياره مساعدًا له لامتصاص غضب أشياع هاريل ، إلا أنه كان كثير الولاء لسلفه ، وكان يجاهر بذلك فى وقاحة .

---

(١) ياكوف كاروز (يعقوب) : كان رئيس دائرة الارتباط والعمل السياسى للموساد فى باريس أيام إيسيرهاريل ، ومن أخص خلصائه ومؤيديه ، وكان يعمل مع الموساد (كدبلوماسى بديل) منذ ١٩٥٣ ، وشارك فى عملية اختطاف إيخمان عام ١٩٦٠ . اختاره عاميت مساعدًا له وفى ١٩٦٥ فرض عليه عاميت قيودًا فى الاطلاع على الوثائق السرية ، لأنه كان مايزال (خادمًا مطيعًا) لهاريل .

(٢) إسرائيل بير : ولد فى فيينا عام ١٩١٢ وهاجر فى ١٩٣٨ إلى إسرائيل ، وترقى فى المناصب العسكرية سريعًا ووصل إلى منصب رئيس قسم التخطيط فى الجيش ، ثم عمل بالدراسات العسكرية وعنى بالنشر فى الصحف ، واختاره بن جوريون مساعدًا له وكلفه بكتابة التاريخ الرسمى لحرب ١٩٤٨ ، وتمتع بير بالاطلاع على الأرشيف السرى للدولة ، وكان مكتبه فى مبنى وزارة الدفاع . ألقى القبض عليه فى يناير ١٩٦١ بتهمة التجسس لصالح السوفييت وتوفى بالسجن فى مايو ١٩٦٦ ، وكان قد سرق مذكرات بن جوريون وسرب وثائق غاية فى الأهمية ، وعام ١٩٧٥ أعلنت القاهرة أن بير كان يعمل لصالح مصر ، وأن المخابرات العامة المصرية كانت تمده بالمال عن طريق عشيقته ديانا ذهابى .

قال كاروز :

– كانت المخابرات السوفييتية دائمًا تتجسس علينا ، وتعتبر أن إسرائيل ذات أفضلية فى عمل الاستخبارات ، معتمدة فى اختراقها لأمننا على العدد الكبير من المهاجرين السوفييت ، والكتلة الشرقية ، الذين وصلوا إلى البلاد منذ الاستقلال . وفى نهاية عام ١٩٤٧ شكلت مجموعة خاصة من الـ K.G.B لتدريب هؤلاء المهاجرين اليهود للعمل فى « فلسطين » – أقصد – قبل إعلان دولة إسرائيل – وترأس إحدى هذه المجموعات المقدم فلاديمير فيرتيبركوف، وكذلك العقيد الكسندر كوروتكوف ، ونظرًا لتميزهما رقيا إلى رتبة جنرال ، وأصبح فيرتيبركوف رئيسًا للمخابرات السوفييتية فى تل أبيب ، مستخدمًا اسم «العم فولوديا» بين أصحابه .

وقال الرئيس الأسطورة – إيسير هاريل – (يقصد مضايقة عاميت) بعد ذلك : (كان المهاجرون يخبروننا حال وصولهم ، ونقول لهم إهدأوا ، والآن بعدما أخبرتمونا ، ما هى مماسكهم عليكم ..؟ إذا ضغطوا عليكم الآن قولوا لهم فلتذهبوا إلى الجحيم) .

وأضاف كاروز فى انفعال :

– نشر فى كتاب (الدم والنفط والرمال)[1] : (على رغم الغربلة الشديدة ، فقد تضمنت موجات المهاجرين السوفييت إلى إسرائيل ، رجالاً ونساءً كرسوا أنفسهم للإطاحة بالحكومة الإسرائيلية ، وإنشاء دولة شيوعية فى قلب الشرق الأوسط) .

لقد تخلى الكرملين عن دعمه لنا ، ولجأ إلى إقامة علاقات صداقة مع العرب ، مخططًا لعزل الأقلية اليهودية فى الاتحاد السوفييتى .

وكأنه ممثل يؤدى دورًا على المسرح :

ألا تذكر يا سيدى الرئيس حالة القلق التى انتابت الروس ، إزاء الاستقبال الحاشد الذى نظمه يهود موسكو لجولدا مائير ، أول ممثل لإسرائيل فى الاتحاد السوفييتى ..؟ لقد أخذتهم المفاجأة يومها وأدهشتهم .

ألا تذكر أيضًا « زئيف أفنى »[2] موظفنا فى السفارة الإسرائيلية ببلغراد ، وماذا فعل معه الروس .. ؟ أليس هذا دليلاً على نوايا السوفييت تجاه دولتنا ..؟

---

(١) الدم والنفط والرمال : كتاب للمؤلف الأمريكى « راى بروك » نشر فى نيويورك عام ١٩٥٢ .

(٢) زئيف أفنى : يهودى ولد فى سويسرا واشتهر باسم جولد شتاين ، وهاجر فى ١٩٤٨ لإسرائيل وعمل كخبير اقتصادى ثم كملحق تجارى فى أوروبا ، وجنده السوفييت عام ١٩٥٦ لصالحهم إلى أن كشف المخابرات الإسرائيلية أمره ، وحكم عليه بالسجن ١٥ عامًا .

وهل نسينا قضية « أهارون كوهين »[1] أيضًا ، لكى نجئ اليوم ونناقش عملية كهذه فى بلد يعمل كل شعبه جواسيس ومخبرين لصالح جهاز مخابراتهم ..؟

صرخ عاميت محتدًا :

– كفى .. كفى .. أتعطى تلامذتك محاضرة يا كاروز ..؟ ألم تتعب من الكلام ..؟

علق كاروز غاضبًا :

– إننى أحاول أن أبرهن بالأدلة ، أننا لن ننجح قط فى موسكو ، وبدلاً من إضاعة الوقت هباء ، علينا أن نعتمد على رجالنا فى فرنسا ، ونطلب منهم تسخير جهودهم فى البحث عن طيارين عرب ، يتلقون دورات فى أكاديميات أوروبا ، أو يقومون بزيارات سياحية هناك .

انفجر عاميت فى مساعده :

– أنت تضايقنى بغبائك أيها الأبله ، أوتظن أننى أجهل نواياك الخبيثة ، لا تنتظر منى أن أبعث بك إلى باريس ، وقد أكل قلبك الحنين إلى مواخيرها . إن رجالنا فى كل أوروبا يجوبون كل شبر ، يتشممون كالكلاب البوليسية رائحة كل عربى ، وينقبون فى الفنادق والمتاجر والمطارات عن ضالتنا ، التى لم تظهر بعد . ترى هل وجودك هناك سيؤدى إلى نتيجة أفضل ..؟ لا أعتقد .. لكننى على ثقة من أن صمتك خير علاج لغرورك ..

وبينما الاجتماع العاصف منعقد ، دخل أحد الموظفين وناول عاميت ورقة ، ما إن قرأ كلماتها القليلة حتى تهلل وجهه ، وضرب بيده المكتب بقوة وهو يصيح :

– مدهش .. عظيم جدًا .

هتف أحد الضباط :

– ما الخبر سيدى الجنرال ..؟

---

(١) أهـــارون كوهـــين : كان أحد قادة حزب مابام وخبيرًا فى الشئون العربية ، اتهم عام ١٩٦١ بالتجسس لصـــالح الروس وحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات ، وأثيرت ضجة إعلامية وسياسية بسببه ، خففت بعدها العقوبة إلى نصف المدة .

انتصب عاميت واقفًا ثم اتكأ على الطاولة وهو يحدق فى الوجوه المترقبة ، وبصوت خفيض وصلت حروفه واضحة لكل أركان قاعة الاجتماعات ، وقال :

– أيها السادة .. أبشركم بوصول إحدى طائرات الميج ٢١ قريبًا .

ألجمت عبارته كبار ضباطه .. ومرت لحظات صمت كانوا أثناءها يستوعبون الخبر الذى انتظروه طويلاً قبلما يستفسر أحدهم :

– بالله عليك يا سيدى إن أعصابنا تغلى .. هلا أطلعتنا على التفاصيل ..؟

أمسك عاميت بالورقة وراح يقرأها بإمعان من جديد ، وكأنما هيئ إليه هو الآخر أنه لا يصدق ما تحويه الرسالة .. وسأل :

– ليقل لى أحدكم ما الاسم الشفرى لجيمس بوند[1] ..؟

أجاب أحدهم فى دهشة :

– 007 ..

فأزاح الورقة ناحية كاروز وهو يردد :

– يجب أن نخطط الآن للعملية 007 .. لأنها ستكون فخر إسرائيل لعقود قادمة .

كانت الأنظار قد تعلقت بشفتى كاروز ، فقرأ جملة صغيرة لا تعنى للبعض منا شيئًا ، لكنها رجرجت عقول كبار رجال الموساد ، فقاموا يتعانقون فرحين مستبشرين ، وانعقد فى التو اجتماع طارئ لوضع الخطوط الرئيسية للعملية ، ودراسة جوانبها المختلفة .

أما البرقية المثيرة فقد بعثها « جون ميكون » مدير جهاز المخابرات المركزية ، وزيلها بإمضاء « بوب » ، فقد جاء فيها :

---

(١) جيمس بوند : أو العميل السرى 007 .. شخصية وهمية تحمل صفات رجل المخابرات البريطانى الذى يحمل تصريحًا بالقتل Licence to Kill ، ويعتمد على التقنية العملية العالية فى تنفيذ العمليات السرية ، مبتكر الشخصية هو إيان فليمنج (١٩٠٨ – ١٩٦٤) وهو ابن أحد ضباط الجيش البريطانى ، درس فليمنج فى الأكاديمية العسكرية وعمل مراسلاً صحفيًا فى موسكو ثم فى المخابرات البحرية البريطانية ١٩٤٥ – ١٩٥٩ ، ثم مديرًا لصحيفة Times وكان أول فيلم عن إحدى رواياته قد نجح نجاحًا مبهرًا وهو « كازينو رويال » عام ١٩٥٤ ثم « مع حبى من روسيا » ، و « دكتور نو » ، وآخر أفلام جيمس بوند التى كتبها فليمنج هو « سوف تعيش مرتين » فى ١٩٦٤ ، وبعد وفاته استمرت سلسلة أفلام جيمس بوند باشتراك مجموعة من المؤلفين فى صياغة الروايات على غرار أسلوب مبتكرها وطريقته .

« افتتحنا مدرسة لتعليم اللغة المنغولية[1] .. ونريد تعاونكم » .

لم يقو عاميت على الانتظار ليحصل على قسط من الراحة بعد الاجتماعات التى أهلكته طوال النهار ، وفضل أن يطير إلى نيويورك على وجه السرعة للقاء ميكون ، وما أن ارتمى على مقعده بالطائرة ، حتى أغمض عينيه وأرخى مسند كرسيه عن آخره ، واستسلم لسلطان الكرى .

لقد أضفت الدعاية الإعلامية الصهيونية المركزة على العمليات الاستخباراتية الإسرائيلية الأخيرة ، أشكالاً أسطورية خارقة رفعت من اسم الموساد ، ووضعته على قائمة أجهزة المخابرات فى العالم . وكان معنى طلب الـ C.I.A التعاون والتنسيق ، هو الثقة العالية التى يوليها جهاز المخابرات المركزية فى الموساد، وفى قدرة رجالها على ابتداع أعجب الحيل ، وأشدها غرابة لإنجاز مهام صعبة معقدة .

فعملية اختطاف النازى الأسبق – أدولف إيخمان – من الأرجنتين ، وبالطريقة المثيرة التى رسمتها الدعاية ، تحير أمامها كبار رجال المخابرات فى شتى الأمم ، واعتبرت العملية لغرابتها ولدقة الرصد والتنفيذ والتمويه ، عملاً مخابراتيًا عبقريًا لا ترقى أجهزة الاستخبارات الكبرى لمستواه .

لكل هذه الاعتبارات ، كان مائير عاميت يدرك مدى ثقة رجال المخابرات الأمريكية بالموساد ، وحاجتهم إليها فى الوصول لأسرار الميج ٢١ ، ونظرًا للتعاون الوثيق بينهما وتشابك المصالح والاهتمامات ، فقد كانت الرغبة مشتركة يحدها هدف واحد ، وإيمان عميق بالأمن والتفوق .

وفى مكتبه بضاحية لانجلى[2] ، استقبل جون ميكون ضيفه – عاميت – بحفاوة ، وأطلعه على تقرير السفير الأمريكى فى بغداد ، عن رغبة الحكومة العراقية فى إرسال ستة عشر طيارًا حربيًا لأمريكا ، لنيل دورات تدريبية فى زيادة الكفاءة وقيادة التشكيل ، وقال لعاميت بأن الطيارين العراقيين سيتدربون لأربعة أشهر فى قاعدة تكساس الجوية ، وأن وصولهم للبلاد سيكون فى مستهل العام الجديد ، ١٩٦٥ .

---

(١) المنغولية : Mongol اسم من أسماء الطائرة السوفييتية ميج ٢١ ، أطلقه عليها حلف الأطلسى ، بالإضافة إلى اسـم : Fish bed – . والـبرقية تعنى وجود طيارين عرب من قائدى الميج ٢١ بالولايات المتحدة الأمريكية ، فى دورة تدريبية ، ومطلوب التنسيق المشترك من أجل إنجاز المهمة ، وتحقيق الرغبة المشتركة .

(٢) يقع مبنى المخابرات المركزية الأمريكية فى ولاية فرجينيا ، على مساحة شاسعة بضاحية لانجلى ، التى تبعد عن واشنطن العاصمة حوالى ١٥ كيلو مترًا فقط .

وأوضح ميكون ، أنه اقترح لتدريبهم قاعدة تكساس[1] بالذات لدواع أمنية تساعد كثيرًا على استقطاب أحدهم وتوريطه . ولما أطلع عاميت على قائمة أسماء الطيارين ، قرر العودة على الفور لإسرائيل لجمع المعلومات عنهم ، من خلال ما يتوافر لديهم من معلومات ، ومن خلال عملائهم ببغداد .

وبرغم برودة الطقس فى ديسمبر ١٩٦٤ ، كانت الحرارة مرتفعة بشرايين الموساد ، فتذيب جليد الجمود فى أجهزة الكمبيوتر الحديثة التى طورها « بنمان »[2] وخصصت حجرة خاصة لبعضها ، حوت ملفات دقيقة عن الطيارين العرب فى مصر وسوريا والعراق .

الـزلـزال

منذ تولى عاميت قيادة الموساد ، وكان يضع آمالاً كبيرة فى جاسوسين لإسرائيل فى كل من مصر وسوريا ، وقد كانا وقتذاك فى أوج نشاطيهما التجسسى فى خدمة الصهيونية ، داخل أهم بلدين عربيين يهددان أمن إسرائيل ويطوقانها .

ففى مصر .. زرع وولفجانج لوتز[3] ، وبواسطة الساتر الذى اتخذه لنفسه — تربية الخيول وتعليم الفروسية — تغلغل داخل طبقات المجتمع الراقى ، ووطد علاقاته ببعض ضباط الجيش ورجالات السياسة والدبلوماسيين ، وبمعاونة زوجته « وولترود » فى التجسس ،

---

(١) تكساس أكبر ولاية أمريكية وتقع أقصى جنوب الولايات المتحدة الأمريكية ، واغتيل بها الرئيس الأمريكى جون كنيدى فى ١٩٦٣/١١/٢٢ بمدينة دالاس .

(٢) البروفيسور يوفال بنمان تقنى متخصص فى الإلكترونيات ، وهو برتبة كولونيل ، وكان قد تلقى تعليمه الهندسى فى أمبريال كوليدج فى لندن ، وله دور فعال فى ابتكار أنظمة الحاسب الآلى وتطويره ، وكذا أجهزة التنصت الإلكترونية التى ذرعتها إسرائيل على طول حدودها ، ولاعتراض الاتصالات العربية .

(٣) ولد يوهان وولفجانج سيجموند لوتز عام ١٩٢١ فى مانهايم بألمانيا ، أمه يهوديه وأبوه ألمانى مسيحى ، هربت به أمه إلى إسرائيل وبدلت إسمه إلى زيف جور أرييه ، وكلمة زيف بالعبرية تعنى وولف .. أى : ذئب . درس فى مدرسة الزراعة بتل أبيب ولحبه للخيول أطلق عليه لقب : سوس .. وهى تعنى بالعبرية : حصان . أرسل إلى مصر للتجسس عام ١٩٦٠ كألمانى يهوى الخيول .. وكان يبث رسائله بواسطة جهاز إرسال يخبئه بكعب حذاء الفروسية .. وفى يونيو ١٩٦١ تزوج من ألمانية شقراء أحبته وعاونته فى التجسس واعتقلا فى ١٩٦٥/٢/٢٢ وحكم عليهما بالمؤبد ، ثم تمت مبادلتهما عام ١٩٦٨ ببعض الأسرى المصريين . الغريب أن لوتز لم يعترف بأنه يتجسس لصالح إسرائيل ، وظل على اعترافه بأنه يتجسس لصالح ألمانيا ، ولكى يؤكد ذلك ، خلع ملابسه الداخلية وكشف عورته ، وتبين أنه لم يختتن ، وبهذه الحيلة أنقذ نفسه من الإعدام ، ذلك لأن الاختتان أمر مقدس وشرعى فى الديانة اليهودية ، ويلتزم به اليهود التزامًا لا يقبل المناقشة .

استطاع أن يمد الموساد بمعلومات حيوية خطيرة ، وأن يسهم بشكل ملحوظ ، فى عملية إرهاب العلماء الألمان فى مصر ، وكان بحثه دءوبًا لتصيد طيار مصرى ، وعلى مدى خمس سنوات فى القاهرة ، فشل فى ذلك فشلاً ذريعًا ، وكانت إجاباته دائمًا : « إن الطيارين المصريين من الصعب اقتحامهم واللعب بعقولهم ، فهم يحيون حياة معيشية رغدة ، ويعاملوا باحترام زائد يفوق الوصف » .

أما فى سوريا .. فكان هناك إيلى كوهين[1] الجاسوس الداهية الذى أطلق عليه فى إسرائيلد « سيد جواسيس الموساد » . كان إيلى كوهين أيضًا على اتصال بالضباط السوريين وبقيادات عليا فى قصر الرئاسة ، على رأسهم الرئيس السورى اللواء أمين الحافظ .

وطوال ثلاثة أعوام وثمانية أيام فى دمشق ، صادفه أيضًا الفشل فى الإيقاع بطيار سورى ، يقبل الهرب بطائرته الميج ٢١ لإسرائيل .. وساق لرؤسائه فى الموساد الأسباب نفسها التى ساقها لوتز .. وكان ذلك الأمر يؤرقه كثيرًا .. فقد وصلت ثقته بنفسه فى سوريا إلى درجة الهوس .. تلك الثقة التى هى دائمًا مكمن الخطر .. وعلامة لقرب لحظة السقوط .

أما فى العراق .. فبرغم ازدياد النشاط التجسسى الإسرائيلى ، واجه عملاء الموساد فى بغداد صعوبات كبيرة فى تجنيد طيار عراقى .. وكثف « عزرا ناجى زلخا »[2] – أكثر جواسيس الموساد دموية – جهده لذات الغرض بلا فائدة .. لكنه أمد إسرائيل بما لم تحلم به

---

(١) ولد إيلى كوهين بالإسكندرية عام ١٩٢٤ ، وهاجر عام ١٩٥٦ إلى إسرائيل ، وانضم هناك إلى الوحدة ١٣١ فى المخابرات العسكرية والتى ضمها عاميت إلى الموساد عندما تولى رياستها .

وفى ٣ مارس ١٩٦١ أرسل بكوهين إلى الأرجنتين يحمل اسم : كامل أمين ثابت بغية التجسس على سوريا ، حيث تعرف بالسوريين هناك وكان من بينهم أمين الحافظ الذى تولى الرئاسة فى سوريا بعد ذلك . وفى ١٠ يناير ١٩٦٢ وصل إلى دمشق ومارس عمله فى التجسس على أوسع نطاق وسافر إلى إسرائيل للمرة الأخيرة فى نوفمبر ١٩٦٤ ينتظر مولوده الثالث من زوجته ناديا وهى يهودية عراقية ، واعتقل فى ١٨ يناير ١٩٦٥ وفشلت جهود دولية وأكثر من مائة وساطة لإنقاذه ، لكن أمين الحافظ أصر على إعدامه .. وأعدم شنقًا فى ١٨ مايو ١٩٦٥ بساحة المرّجة فى دمشق ومكث أربعة أيام معلقًا فى المشنقة للتشفى ، حتى انتفخ بطنه وفاحت رائحته النتنة .

(٢) عزرا ناجى زلخا – يهودى عراقى ولد عام ١٩٢٧ وحصل على عمل بوزارة التجارة ، وتزوج عام ١٩٥٣ من « روان » اليهودية الساحرة ، التى دفع مهرها وثيقة خيانته للعراق ، وتدرب على يد عميل للموساد « إيرانى الجنسية » وكانت مهامه فى البداية العمل على تهجير اليهود ، ثم انخرط هو وزوجته فى البحث عن الأسرار العسكرية والعسكريين ، وبواسطة زوجته مارس نشاطًا تجسسيًا واسعًا حيث تمكنت وحدها من تجنيد ١٣ عراقيًا سيطرت عليهم بفتنتها ، وسقطت شبكة عزرا عام ١٩٦٦ حيث أعدمت معه زوجته بالشنق إضافة إلى تسعة آخرين ، وبالرصاص لخمسة ضباط عسكريين .

أبدًا أو تصدقه ، فقد استطاع الحصول على معلومات وصور وخرائط لشبكات الصواريخ العراقية ، ومرابض الطائرات الحربية وعنابرها ، وعبأ كيسًا بالخلطة الأسفلتية للممرات ، بخلاف الوثائق واللوحات الهندسية للقواعد الأرضية والجوية ، وهجَّر أكثر من مائة وأربعون يهوديًا إلى إسرائيل عبر إيران .

وحين عاد مائير عاميت إلى تل أبيب ، يفيض بهجة ونشوة ، صفعته الفاجعة ومادت به الأرض ، وتقوض منبع الأسرار الذى كان يتدفق من دمشق .

ففى الثامن عشر من يناير ١٩٦٥ ، سقط إيلى كوهين فى قبضة أحمد السويدانى[1] مدير فرع المخابرات السورية ، وارتطمت آمال الموساد بالخوف . فها هو سيد الجواسيس فى الأغلال ، وها هى ناديا كوهين – زوجته – تصم صراخاتها الآذان ، فيهرع إليها بن جوريون وكبار رجال الدولة ، وهزت المأساة إسرائيل هزًا من الأعماق ، فأمين الحافظ الذى خدعه كوهين كان على قمة السلطة فى سوريا ، وحتمًا سينتقم لكرامته .

لذلك نسى عاميت – مؤقتًا – أمر الميج ٢١ وانشغل بإيلى كوهين ، وبجواسيس الموساد الآخرين الذين بثوا رسائلهم المليئة بالخوف والهلع ، وكان على عاميت ورجاله مسئولية تهدئتهم ، وتسكين روعهم . فسقوط جاسوس يصيب زملاءه الآخرين فى ذات البلد بالرعب ، وهذا مدعاة لأن يعرضهم للسقوط السهل السريع .

ومع المحاولات الدولية العديدة لإنقاذ كوهين ، رفض السوريون مجرد مناقشة الأمر ، وطرد وزير الداخلية السورى من مكتبه أحد المسئولين الدوليين ، عندما تقدم بعروض مغرية مقابل إنقاذ رقبة كوهين .

كانت سحابات القلق تخيم على الموساد ، وتتوالى الرسائل إلى سائر العملاء تأمرهم بالتوقف عن العمل ، وتوخى الحذر واتباع وسائل الأمن لحماية أنفسهم ، لكن يبدو أن بعضهم فقد أعصابه ، وأصبح عرضة للسقوط المدوى ، السريع .

---

(١) العقيد أحمد السويدانى ، رئيس مكتب الشعبة الثانية فى دمشق « المخابرات » وكان حاد الذكاء فطن ومهووس بالعمل الاستخباراتى ، ذهب بنفسه إلى موسكو ليجىء بسيارة ذات تقنية عالية ، مزودة بأجهزة التتبع لترددات اللاسلكى ، وصدقت شكوكه فى كامل أمين ثابت « إيلى كوهين » ، الذى رصدت السيارة رسائله اللاسلكية إلى إسرائيل ، وعندما اقتحم شقته مع رجاله ، تمكن من ضبط جهازى إرسال ، وسائر أدوات التجسس الأخرى .

وبدلاً من أن يزف رئيس الـ C.I.A ، جون ميكون ، لنظيره عاميت ، قرب وصول الطيارين العراقيين فى ١٨ فبراير ، أخبره عن كارثة سقوط جاسوسيسن سوريين[1] ، يعدان من أمهر رجالهم فى دمشق ، وكانت الضربات المتتالية تزيد عاميت تآكلاً ، وهو الذى يبحث عن ضربة هائلة ، تصنع له تاريخًا فى الموساد ، كما فعل إيسير هاريل من قبله .

لكن عاميت لم يكن يدرى ما تخبئه له الأقدار ، وكانت تنتظره « ضربة » بالفعل ، سحقت بقية ما لديه من جلد ، وجرفته إلى جُب مظلم عميق يأخذ بمجامعه .

فبعد خمسة وثلاثون يومًا فقط من سقوط إيلى كوهين ، وفى ٢٢ فبراير ١٩٦٥ ، سقط وولفجانج لوتز فى القاهرة ومعه زوجته ، وبسقوطهما تسقط أيضًا عزيمة جواسيس بنو صهيون فى كل مكان ، وتغوص إرادتهم إلى الحضيض ، ويستدعى رئيس الوزراء عاميت ويوَّبخه بشدة ، ويتهمه بالكسل والغباء ، واصفًا إياه بأنه شتينكزم[2] جدير بالإزدراء ، ويبدى ليفى أشكول ندمه الشديد لأنه وثق به ، مهددًا صراحة بطرده كالكلب الأبرص والمجئ بإيسير هاريل ثانية مكانه .

لم يكن عاميت يكره أحدًا أكثر من هاريل ، إنه الخصم اللدود الذى يتربص به ، ويتحين الفرصة للانقضاض عليه فى أية لحظة ، وها هى الضربات المؤثرة تتلاحق ، وتكاد تعصف بمستقبله ، وتعجل بالاستغناء عن خدماته ، ليضيف هاريل مجدًا جديدًا إلى أمجاده ، ويسطع نجمه من جديد فى الآفاق ، فيثوب عاميت غيظًا وغضبًا ، وهو يكاد يفقد عقله ، واتزانه .

---

(١) فى اليوم التالى لاعتقال إيلى كوهين ، اعتقل السوريون الجاسوسين : فرحان الأتاسى وعبد المعين حاكمى ، وكانـا يعمـلان لصالح المخابرات الأمريكية ، ونشطا فى التحرى عن أسرار سلاح الصواريخ فى الجيش السورى ، وفى محاكمة سريعة حكم عليهما بالإعدام شنقًا ، وخلال المحاكمة وبعدها ، حاولت الدبلوماسية الأمريكـية إنقاذ الأتاسى ، الذى كان يحمل الجنسية الأمريكية بالزواج ، ورفض وزير الخارجية الدكتور حسان مريود مقابلة السفير الأمريكى ، رغم إلحاحه الدائم ، ورغم تدخلات سفراء آخرين ، وقال حسان مريود أنه من حق كل دولة أن تدافع عن أمنها ، وأن تحكم على الخونة والجواسيس بالعقوبات التى تراها مناسـبة . وكـان هـذا الرد أكثر مما تتحمله الغطرسة الأمريكية ، وفى ١٩٦٥/٢/٢٤ ، أعدم الأتاسى والحـاكمى شنقًا بميدان المرجّة فى دمشق على مرأى من الجماهير ووسائل الإعلام المحلية والعالمية ، وطرد دبلوماسى أمريكى اسمه ستيدون من سوريا ، كان أحد رجال الـ C.I.A المتورطين فى عملية التجسس .

(٢) شتينكزم – كلمة عبرية مستعارة من الكلمة الإنجليزية STINKING وتعنى : النتن ، أو الشخص الحقير ذو الرائحة القذرة .

.. لذلك .. أسرع يائسًا مهمومًا إلى صديقه ميكون ، المهموم أيضًا ، يتلمس عنده بعض الأمل ، ويتدارس مع مساعده ، رأى كلاين ، خطوات العملية 007 ، خاصة وقد وصل الطيارين العراقيين لأمريكا بالفعل ، يحيط بهم سياج من الأمن العراقى ، المستتر فى هيئة طباخين وإداريين .

هذه المرة .. رجع عاميت إلى تل أبيب ، يحمل صورة فوتوغرافية لكل طيار عراقى من أعضاء البعثة ، وملف متكامل عن كل واحد منهم ، فيختصر بذلك مساحة واسعة من الوقت فى البحث والدراسة والتحليل .

وفى واحدة من أشرس المعارك السرية التى خاضها عاميت ، عزم على اللعب بكل الأوتار ، والسبل ، وما كان يملك من هذا ولا ذاك سوى لعبة واحدة .. أجادت الموساد استخدامها وكانت نتائجها مدهشة .

إنها لعبة الجنس ، فلا شئ سواها يلين لها الحديد وينصهر ، فنساء الموساد الفاتنات فى انتظار إشارة البدء ، بعدها يطبقن نظريات الإثارة التى أجدنها ، واحترفنها بمهارة تفوق الوصف ، وكان المطلوب أولاً مراقبة الطيارين العراقيين فى أمريكا ، وملاحظة سلوكهم ، واختيار اثنين منهم فقط يتم التركيز عليهما ، والدفع بصواريخ بشرية تفجر فيهما المقاومة ، والإرادة ، وتنـــزع منهما جذور خلايا العقل والرشاد .

وبعد دراسات تحليلية ساعد على بنائها خبراء متخصصون ، نتيجة مراقبات دقيقة للطيارين العراقيين ، استقر الرأى حول ثلاثة منهم ، هم :

★ النقيب طيار شاكر محمود يوسف ..

وكان مغامرًا ، ينتهز أجازاته لتصيد الفتيات فى أماكن اللهو ، ويعشق الجنس إلى حد الإدمان ، بالرغم من زواجه فى بغداد . لهذا السبب وقع الاختيار عليه ، لكونه صيد سهل امتلاكه .

★ الملازم أول طيار حامد ضاحى ..

وكان متدينًا خجولاً لا يصاحب الفتيات .. ولا يقيم علاقات جنسية .. لكنه لم يكن انطوائيًا منعزلاً .. بل كان يرتاد البارات ونوادى الليل وإن كان لا يشرب الخمر .

وقع الاختيار عليه أيضًا لأنه يفتقد إلى الخبرة فى العلاقات الخاصة ، ويسهل تطويعه بواسطة فتاة رومانسية حالمة .

★ النقيب طيار منير روفا ..

وهو الطيار الوحيد المسيحى بين الطيارين العراقيين ، وكان على رأس القائمة فى بداية الفرز الأولى ، بسبب سهولة استغلال لعبة العقائد والأقليات فى عالم الجاسوسية .. لكن لوحظ انكماشه الملفت وملازمته للقاعدة الجوية حتى أنه لا يغادرها فى أجازاته الأسبوعية ، والتصاقه الدائم بقائد البعثة لكى يحظى بتقرير ممتاز فى السلوك ، مما يمنحه فرصًا أكبر مستقبلاً فى الميزات والترقى .

وظل منير روفا المطلوب رقم واحد لوقت طويل ، لكن لما فشلت تقريبًا كل الفرص المتاحة كى يتحرر روفا بعض الشئ ، أو يبتعد عن الرقابة المفرطة التى تحاصره ، استبعد من القائمة ، وانحصر الاختيار فى النهاية على زميليه شاكر وحامد .. وكانا أيضًا – كروفا – من طيارى الميج ٢١ ، حيث يسعى شاكر للحصول على دورة قائد تشكيل ، ويتدرب حامد لزيادة كفاءته كقائد طائرة حربية نفاثة .





الفصل الثالث

□□ كتبت تقريرًا ضَمَّنته فشلها ، وطلبت من رؤسائها سرعة نقلها لأن عقلها يكاد يُجن .. فهى المرة الأولى التى تفشل فيها فى السيطرة على رجل .. رجل استباح جسدها لأكثر من شهرين بلا ثمن .. وبلا فائدة ..!! □□



فى وكر الحية

ولد شاكر محمود يوسف سنة ١٩٣٦ ، لأسرة ثرية بقرية محلة حسن جديد باشا بضواحى بغداد ، وبعد حصوله على الثانوية العامة اتجهت رغبته إلى العسكرية ، فالتحق بأحد المعاهد العسكرية ، وسافر إلى موسكو للدراسة بالكلية الجوية عام ١٩٥٤ .. وفى إحدى القواعد الجوية بكييف تعلم شاكر قيادة الطائرة السوخوى(١) ، وتفوق فى استخدام الارتفاعات المنخفضة فى تنفيذ الهجمات الجوية ، وطرق اعتراض الأهداف والتعامل معها ، وتكتيكات المعركة الجوية .

تفوق أيضًا ، وهو الذى أجاد التحدث باللغة الروسية ، ملاطفة الفتيات ومصادقة عدد كبير منهن ، وانجذبن كلهن إليه لوسامته كشاب شرقى ، يجيد التحدث بلغتهن ، وإضفاء جو المرح بكل مكان يرتاده معهن ، أما رجولته فكانت إحدى أهم ميزاته فى رأيهن . لذلك تسابقن إليه وتنافسن فى حبه ، واستخدمن دلال الأنثى ونعومتها فى الاستئثار به ، لكنه كان يشبه النحلة إلى حد كبير ، إذ كان يقطف من كل زهرة منهن الرحيق ، ويبحث عن ثانية واثقًا أنه سيجدها بلا مشقة .

وهكذا كانت سنوات دراسته فى روسيا ، تفوق لا يقبل الشك ، سواء فى علوم الطيران والملاحة الجوية ، أو فنون جذب الإناث والإيقاع بهن .

وبعدما تخرج شاكر يوسف بدرجة ملازم طيار ، رجع إلى العراق وانخرط فى العمل بإحدى القواعد الجوية جنوبى بغداد(٢) .ورقى إلى رتبة ملازم أول بعد أقل من عامين ونظرًا لكفاءته العالية فى التعامل مع السوخوى .

---

(١) صمم الطائرة المهندس ميخائيلوف سوخوى ، وهو عبقرى سوفييتى معروف ، ساعد فى تصميم الطائرة ANT-25 وكان له نصيب فى بناء الطائرة RODINA قبل الحرب العالمية الثانية ، كما أن طائرته الهجومية سوخوى – 2 – استخدمت إبان الحرب ، وفى ٢٤ يونية ١٩٥٦ ظهرت طائرات سوخوى ذات أجنحة مائلة للخلف ، وأخرى مثلثة الجناح وكان ذلك فوق مطار توشينو ، وهى من تصميم المهندس سوخوى الذى كرمته الدولة ، وأطلقت اسمه على شوارعها بسائر أنحاء المدن الروسية .

(٢) أشارت بعض المصادر أنها « قاعدة الرشيد الجوية » .

وبحلول فبراير عام ١٩٥٩ ، خطبت له الأسرة فتاة رائعة الجمال من الموصل تقيم أسرها ببغداد ، وكانت فتاة وديعة حنونة مهذبة ، وجد فيها صفات مغايرة ، جعلته يشعر براحة نفسية تجاهها منذ اللقاء العائلى الأول ، ويتعجل اليوم الذى يجمعهما معًا بيت واحد ، وحياة أسرية جديدة .

ومع الربيع زفت إليه ، وعاش مع عروسه بشقته بحى الكاظمية الراقى ، لكنه كان بالرغم من ذلك صياد ماهر يهوى القنص ، ولا يكل من مطاردة الحسان فى شوارع بغداد ومنتدياها ، والإيقاع بهن بسهولة ، وقد انبهرن ببزته العسكرية الأنيقة ، وشارة الطيران ذات البريق الملفت على صدره .

وللمرة الثانية أوفد إلى موسكو فى أكتوبر ١٩٦٠ ، فى بعثة مدها أربعة أشهر لنيل دورة تدريبية متخصصة ، فى العمليات القتالية على ارتفاعات عالية جدًا[1] ، وفى موسكو هذه المرة أيضًا مارس شاكر هوايته ، وأقام علاقات نسائية متعددة ، معتمدًا على راتبه الضخم ومكافآته المجزية التى كان يتحصل عليها كطيار متفوق .

لقد أخطأت كثيرًا الحكومة العراقية عندما أوفدت طياريها إلى أمريكا ، وهى تعلم بأنها المؤيدة لسياسات إسرائيل فى المنطقة العربية ، لكن العملية برمتها كانت من تخطيط المخابرات المركزية الأمريكية ، عندما عكف الملحق العسكرى الأمريكى فى بغداد ، على إقناع العسكريين العراقيين بمدى التطور الكبير ، والأساليب الحديثة فى تدريب الطيارين ورفع مستوى مهاراتهم القتالية .

ففى الوقت الذى استقر فيه التركيز على شاكر يوسف وحامد ضاحى ، وضعت الموساد أمام الـــ C.I.A كافة التقارير التى وصلتها عن النقيب شاكر ، من خلال عميلها فى العراق عزرا ناجى زلخا[2] وزوجته روان، تلك التقارير الهامة التى تُشرِّح أعماق الطيار العراقى ونُزُقه، حيث أفاد عزرا بأن روان التقـــت وشاكر ، وحاولت خلال حفل ضمهما أن توقع به ، لكنه

---

(١) عســـكريًا تعـــرف بـــدورة الستراتوسفير STRATOSPHERE « والمقصود الجزء الأعلى من الغلاف الجوى » .. والطاير الذى يتفوق فى استخدام الارتفاعات والانخفاضات يكون أكثر حرفية ومهارة .

(٢) تفاصيل محاولة تجنيد النقيب طيار شاكر يوسف فى العراق ، جاءت بكتابنا : (جواسيس الموساد العرب) فى الفصل الثانى منه (ص ٣١٣ : ٣٣١) .

– برغم جمالها الذى لا يقاوم – تجاهلها فى البداية ، ثم عاود الالتقاء بها وانقطع عنها فجأة بسبب سفره إلى الدورة التدريبية بأمريكا .

ولما كان من السهل إحكام السيطرة عليه بأمريكا ، بسبب نقطة ضعفه ، جئ له خصيصًا بفاتنة أمريكية يهودية طاغية الأنوثة ، يعجز الرجال عن مقاومة فتنتها الخيالية .

إنها كروثر هلكر ، التى استدعيت على وجه السرعة من فيينا ، حيث تعمل لصالح المخابرات الأمريكية كممرضة بالمستشفى الأمريكى .

كانت هلكر فى منتصف العقد الثالث من عمرها ، ملفوفة القوام متوسطة الطول ، ذات وجه مستدير ناصع البياض يزيده شعرها الحريرى الفاحم جمالاً ، وفم أملود دقيق الشفاه ، تعلوه عينان نجلاوان بريقهما يخلب العقول ، ورثتهما عن أمها الإيطالية ، وورثت معهما أيضًا حرارة الجنوب الإيطالى المشهور بدفء نسائه .

انخرطت هلكر فى عملها المخابراتى فى أوروبا وسنغافورة ، وأثبتت كفاءة نادرة فى المهام التى كلفت بها ، فهى عميلة مدربة على أمور السيطرة بواسطة الجنس ، وتجيد بمهارة استخدام « مصيدة العسل »[1] فى تطويع الخونة وسحق مقاومتهم . وكانت برغم صغر سنها ، تدير دفة العمليات السرية دائمًا إلى النجاح الأكيد .

أطلعت العميلة الذكية على مهمتها الجديدة ، ودققت كثيرًا فى صورة النقيب شاكر الفوتوغرافية ، وتبسمت فى خبث وهى تقول :

« لن يستغرق وقتًا طويلاً معى .. فنظراته – بحكم خبرتى – تؤكد ذلك . » .

وأرسلت إلى تكساس كمشرفة على نادى الضباط بالقاعدة الجوية ، وهناك التقت به ، وبهرته منذ النظرة الأولى ، واتبعت معه أسلوب التجاهل ، فأكثر من محاولاته للفت انتباهها ، فما كانت تهتم به سوى بالقدر الطبيعى فى التعامل ، حيث الابتسامة الرقيقة ولا شئ غير ذلك .

---

(١) مصيدة العسل – HONEY TRAP – مصطلح مخابراتى لعملية الإيقاع بأحد الضحايا بغرض السيطرة عليه ، من خلال عميلة مدربة وشقة مجهزة فنيًا بأجهزة التصوير وتسجيل الصوت ، وتفوقت الموساد فى هذا الأسلوب فى أغلب عمليات تجنيد العملاء والجواسيس العرب ، حيث يكون الجنس هو مفتاح السقوط السريع فى جُب الخيانة ، والاستسلام .

لكن الصياد المشاغب لم يكن ليرضى بالهزيمة ، فقد شغلته « الأنثى » الدفيئة ، وأرهقته لهفة ورغبة . ولكى ترضى غروره أكدت له هلكر مدى نجاحه ، بأن خصَّته بابتسامة ندية كإطلالة الربيع ، يجول بها طعم النشوة اللذيذ .

من بعدها أخذت العلاقة تنمو بينهما يومًا بعد يوم ، حتى استفحلت ووصلت إلى قمتها فى مدى زمنى قصير .

كانت الفرصة للإسـرائيليين أكثر من رائعة ، فوجـود الطيارين العرب فى بيت الذئب – أمريكا – كان مدعاة لأن يطمئنوا ، ويخططوا بهدوء للفوز باستقطاب أحدهم ، اعتمادًا على دراسة دقيقة تشتمل على تحليل نفسى لشخصية كل منهم « وبالأخص شاكر وضاحى » وعاداته ، وتصرفاته السلوكية اليومية ، وميوله ، ومعتقداته ، وتكوينه النفسى ، وتدينه ، ودرجة امتزاجه الاجتماعى بالآخرين ، وعلاقاته بالزملاء ، وهواياته ، وقراءاته ، وهواياته المفضلة . فكل تلك الأمور أخضعت بواسطة خبراء التحليل النفسى والسلوكى ، وما كان ليتسنى لهم التغلغل داخل أعماقهم ، إلا بمراقبات مستمرة على مدار الـ ٢٤ ساعة .

ولأن المخابرات العربية تعلم بكل تلك الألاعيب ، فهى لا تتوانى عن « تحصين » FORTIFYING أبناءها الطيارين الموفدون فى بعثات إلى الخارج ، حيث تقوم بفرزهم وانتقائهم بعناية تبعًا للتقارير السرية فى ملفاتهم ، كى لا يقع أحدهم أمام أية خدعة ، أو يضعف لابتزازات قد تؤثر على قدراته . فأجهزة الاستخبارات الأجنبية ، عادة ، تنظر إلى أعضاء البعثات العربية ، على أنهم أناس قدموا من بلاد تعانى الجوع الجنسى ، وتحكمها ، عادة ، ظروف الدين والتقاليد والأعراف .

لعبة المصير

وفى الوقت الذى كان فيه النقيب شاكر تحت سيطرة كروثر هلكر ، كانت اللعبة تدور أيضًا حول الملازم أول حامد ضاحى ، إذ قذفوا إليه بفتاة جذابة ، رومانسية الملامح ، عذبة التقاطيع .

كان ضاحى شابًا طموحًا فى مستهل السادسة والعشرين من عمره ، وسيم ، هادئ ، ملتزم ، من أسرة ثرية معروفة فى بغداد ، أتم خطبته على ابنة عمه قبل سفره لأمريكا بأيام ، وتعد الأسرة عش الزوجية انتظارًا لعودته .

بدأت محاولات تجنيده كالعادة، وكما هو معروف، بفتاة رقيقة التقت به كما لو أن الأمر صدفة . وكان يومها مع بعض رفاقه يستمتعون بعطلتهم الأسبوعية ، فتعارفا وهما يرقصان بشكل سريع ، وأفهمته بأن والدها لبنانى طلق أمها واختفت أخباره .

تعاطف معها الشاب الشرقى ، وأفهمها بأنه عراقى ويستطيع مساعدتها من خلال صديق له ببيروت ، فى الوصول لوالدها إذا ما كان بلبنان . وبشهامة العربى طلب منها آخر عنوان لوالدها ، فاعتذرت قائلة إن أمها تعرفه ، وكان من الطبيعى أمام هذا الموقف ، ألا ينتابه الشك عندما دعته الفتاة لزيارة بيتها خلال أجازته القادمة ، حيث ستقدمه لأمها ويتعرف منها على عنوان الأب المختفى .. ووافق ضاحى على زيارتها .

كان كل شئ قد تم ترتيبه على وجه الدقة ، الأم المزيفة ، والفيلا الرائعة البديعة ، والأجهزة الفنية المتقدمة التى ملأت الصالون ، وحمام السباحة فى الخلف .

يومها .. حاول زملاء ضاحى أن يثنوه عن تلك الزيارة ، لكنه ثار عليهم وقال لهم أنه وعدها ولا يحب أن يخلف وعده ، وعلى ذلك تركوه يذهب وحده إلى « فتاته » ، يسبقه حياء شاب شرقى يزور أناس لأول مرة .

استقبلته « زينب » باهتمام وترحاب ، وقادته إلى الصالون فمشى وراءها فى أدب ، وسرح بفكره قليلاً فى خطيبته « فدوى » وأجرى بلا قصد مقارنة بينها وبين مضيفته ، فقد دفعه إلى ذلك مالاحظه من احتشام الفتاة ، ووداعة ملاحتها الحالمة المريحة ، ونظرة الحزن الخفى التى تتخلل شعاعاتها الوادعة ، حسرة على الأب الذى تجهل مصيره . لحظتئذ ، أحس فى قرارة نفسه بالشفقة على الفتاة البائسة ، حتى تمنى لو أنه يستطيع إسعادها ، وإدخال البهجة إلى قلبها الصغير المعذب .

لم تنس الموساد أو الـــ C.I.A أية ثغرة تافهة إلا وأغلقتها ، وأوجدت لها حلاً مقنعًا لا يقبل الظن . إذ اختارت للفتاة اسمًا[1] يحبه المسلمون فى الشرق ، واختلقت قصة إنسانية وهمية تثير الشجن والعطف ، وتخيرت للمهمة فتاة فى الثانية والعشرين من عمرها ، تزحف أنوثتها البضَّة المبكرة تحت الثياب ، وتترجرج معلنة عن نفسها على استحياء ، يزيدها جمالاً وجهًا يقتحم القلب بلا صعوبة ، وينخر فى أغواره .

---

(١) زينـــب ليس اسمها الحقيقى بالطبع ، فاسمها الحقيقى « جين بولان » ، وهى متدربة حديثة بإحدى مدارس فنون المخابرات ، وكانت هذه أولى المهام التى كلفت بها .

هكذا امتزجت الأنوثة بالبراءة ، وارتسمت صورة مثالية لفتاة كاملة النضوج ، حيَّرت عقل الشاب الأغر وهزت مشاعره ، وعظم تعلقه بها بعدما جلس إلى الأم ، فقد كانت بحق سيدة وقور تخلط إنجليزيتها بعربية ركيكة لذيذة .

ترقرقت الدموع بعينيها وهى تقص عليه حكايتها ، منذ البداية ، فأدمعت عينا الطيار الأغر ، وما كان يتصور أن يتصرف هكذا بتلقائية شديدة ، عندما قام إلى السيدة واحتضنها ، وكان نشيجها المؤلم إفراز لمأساة تعتصرها .. فيتشقق لها قلب الفتاة الرقيقة ، وتنـــزلق حبات لؤلؤ من أروع عينين صادفهما . فيمسحها بمنديله فى حنان ، وبداخله رغبة فى احتوائها بين أحضانه ، عطفًا وشفقة ، بعيدًا عن الأمر « الخبيث » .

انفردت به السيدة « مارجريت » فى الصالون الأمريكى الفخيم ، وأسرت له بأنها قلقة بشأن ابنتها ، فهى مسلمة وسط مجتمع غير مسلم ، وتخشى عليها أن تقترن بشاب أجنبى ، لذا فقد ألحت عليه أن يسعى لمساعدتها فى التوصل إلى أبيها فى بيروت ، لكى يتحمل مسئوليتها قبلما تموت ، وتتركها وحيدة مع أموال طائلة (لاحظ الإغراءات المنمقة) ستتركها لها .

ثم عرجت الحية الشوهاء البارعة التقمص إلى ناحية ثانية ، وطلبت من الطيار الشاب أن يهتم ، خلال وجوده بأمريكا ، بابنتها ، لأنها فتاة رومانسية جدًا ، تؤرق حياتها حكاية أبوها الذى تفتقده ، ورجته ألا يصدم مشاعرها بقسوة (لاحظ أيضًا) إذا اعترفت بحبها له ، ذلك لأنها تخشى على ابنتها من تجربة الفشل فى الحب ، خاصة إذا وقعت فى حب شاب مثله ينوى العودة إلى وطنه ، تاركًا المسكينة تتمزق وجعًا .

وقالت أيضًا أنها – أى زينب – تحدثت عنه كثيرًا منذ التقت به ، وكانت تنتظر لحظة زيارته بلهفة ، بما ينم عن مدى اهتمامها وتعلقها به .

أقبلت زينب فجأة وكانت ترتدى البُرْنُس ، وهتفت فى ضاحى وأمها :

– ألم يحن الوقت بعد للسباحة .. ؟ هيا لنستحم ونسبح .

دهش ضاحى وقال لها متعجبًا :

– تسبحين .. ؟ أنسيت أننا فى نهاية مارس ..؟

أجابته زينب وهى تبتسم فى وداعة :

– أوه .. إن قاعة السباحة مُكَيفة يا عزيزى والمياه دافئة .. ألا تحب السباحة معى قبل الغداء ..؟

أحس ببعض الخجل وقال :

– نعم .. نعم .. ولكن ..

وبذكاء أكملت وهى تشير باتجاه ما :

– اشتريت لك مايوهًا بالأمس .. ستجده فى حجرة الملابس (!!) .

وعندما خرج بالمايوه ، تجمد مكانه وثقلت عليه خطاه ، فتلك المرة الأولى فى حياته ، التى يرى فيها جسد أنثى عاريًا ، جسد ينوء بأنوثة بضَّة غضَّة ، تفوح منها رائحة الرغبة ، ومذاقات اللذاذات الشهية المسكرة الممزوجة بالشبق .

تركتهما السيدة مارجريت لتعد الطعام ، وانغمس الشاب الخجول فى لهوه ، وهو يعترف بينه وبين نفسه أن نواياه كانت سيئة ، وغير شريفة . ففى لعبة التسابق فى الماء كان ينتهز فرصة التصاق جسديهما ، ويتحسس اللحم الناعم ، ويكاد يعتصره ، ويضغطه بقوة ، بشكل بدا عفويًا ، لكن الأفعى الصغيرة المدربة ، لم تكن إحساساتها تخيب فى ترجمة نظراته الولهى ، ولمساته « البريئة » .. وبعد الغداء استقبلت الأم مكالمة هاتفية ، غادرت على إثرها البيت تاركة الذئب والحَمَل .. والحَمَل دائمًا فى عالم المخابرات معروف ، ذلك أنه الرجل .

ففى ذلك اليوم ، الذى ما مر مثله بحياة ضاحى من قبل ، انزلق لآخره فى بوتقة النشوة ، وتذوق صنوفًا منها أسكرته ، وأغرقته الفتاة المدربة فى محيط شاسع فوَّار ، لم يستطع أمام ضربات أمواجه الضارية المسعورة أن يتوقف ، فأخذ يجدف فى الأعماق وقد أنهكت مقاومته ، وخارت قواه ، تمامًا .

ولما أفاق من نوبة الغرق اللذيذ ، هجمت على عقله مشاعر الندم التى آلمته ألمًا شديدًا ، إذ أحس بمدى قذارته عندما خان دينه وحبيبته فدوى ، وتملكته نوبة من بكاء مجنون ، غادر على إثرها الفيلا محزونًا كئيبًا ، وقد أقسم ألا يعاود الخطأ ثانية أبدًا ، مهما كانت الظروف .

★ ★ ★

سأموت هدرًا

كان شاكر يوسف قد استمرئ علاقته بالحية الأمريكية كروثر هلكر ، وقلما جاء يوم أجازته الأسبوعى وهو بعيد عنها ، فهو يوم ملكها وحدها ، سرعان ما يمر نهاره فى لحظات لا يحس بها .

وبرغم اعتياده التنوع والتعدد ، إلا أنه أمام هلكر بدا جائعًا أبدًا ، فالفتاة الخبيرة كانت تمنحه ما لم يألفه ، وتذيقه ما لم يرشفه ، فبات دائمًا فى حالة جوع مستمر ، وعطش لا ينقطع . وتركها تقذف إليه بمشاعرها فياضة جارية ، دون أن يجاريها لهفة الأحاسيس التى تصبها صبًا فى أذنيه .

ولما تجرأت ذات مرة وعرضت عليه الزواج ، ثار فى وجهها :

- زواج .. ؟ أجننت هلكر ..؟
- ولما لا ..؟ أنا أحبك ولست بقادرة على الابتعاد عنك .
- تعرفين أن لى زوجة بالعراق .. وابن .
- أعرف .. لكن ما ذنبى أنا .
- وما ذنبى أنا أيضًا ..؟ وما ذنب زوجتى التى تنتظرنى ..؟
- أتحبها أكثر منى يا شاكر ..؟
- هى زوجتى أم ابنى .. وأنت عشيقتى .
- شاكر ..
- هلكر .. أتذكرين أول لقاء بيننا ..؟ أتذكرين ماذا قلت لك ..؟
- أرجوك .. لقد كنت بشعًا .. لا أريد أن أتذكر .
- لا .. يجب أن تعترفى .. لقد قلت لك يومها أننى زوج وأب .. وأحب زوجتى وابنى وبيتى .. وما بينى وبينك مجرد صداقة غير ملزمة .. أنسيتِ ..؟
- لم أكن أعرف أننى سأحبك بجنون .. لم أكن أعرف .

– لكن علاقتنا استمرت على ما اتفقنا عليه .

– أكنت تستمتع بى طوال هذه المدة كأنك تعاشر مومسًا لا مشاعر لها ..؟

– أنت كنت تستمتعين أيضًا .. وإلا ما كنا معًا الآن .

– شاكر لا تعاملنى كامرأة ساقطة .. أرجوك .

– إذًا لا تطالبينني بحق ليس لك .

– شاكر .. سأموت بدونك .. أقسم لك على ذلك ..

– ستنسين كل شئ عندما أغادر إلى العراق .

– لن تغادر أمريكا إلا بعدما تحضر جنازتى .

– هلكر يا عزيزتى .. إن ما بيننا ليس حبًا .. بل هو نزوة .. رغبة .. احتياج رجل لامرأة هى الأخرى تريده .

– هذا ما تدعيه أنت .. أما أنا فلا .. فحبى لك أكبر من أن أصفه لك ..

– الأيام الرائعة التى جمعتنا يجب أن تكون ذكرياتها أيضًا رائعة . كفى بكاء لأننى لا أحب بكاء المرأة .

– حبيبى .. لدى رصيد ضخم بالبنك من ميراث والدى .. وشقة جميلة كنت دائمًا تحسدنى عليها .. فلنتزوج .. وسأضمن لك عملاً ممتازًا هنا وراتبًا خياليًا .

– عزيزتى ليس هذا ما يغرينى أو يشغلنى ، فأنا راتبى ضخم أيضًا .. وأسرتى ثرية جدًا ولا أعانى ماديًا فى بلدى .

– شاكر أنت تضيِّع فرصة كبيرة تنتظرك ومستقبل و ..

– كفى .. كفى .. لقد ضقت ذرعًا بكلامك المكرر .. وأخشى أن أكرهك فكفى أرجوك .

– أهكذا تعامل امرأة تحبك ..؟

- لقد وطّنت نفسى على ألا أحب سوى زوجتى .. وقلت لك هذا مرارًا .. فلا داعى لمضايقتى ..

- لماذا إذن خنتها وعاشرتنى ..؟ إن مبادئك كاذبة .

- إنك تضيعين الوقت هباء .. سأنصرف .

- شاكر .. أيها الحبيب انتظر ..

- ....
- ....
- ....

وفى القاعدة الجوية تعمد شاكر تجاهلها بعد ذلك .. وتحول حديثه العابر معها إلى حديث فاتر .. أشعرها بخيبة الأمل .. وأقلق رجال المخابرات الذين ينتظرون سقوطه بفارغ الصبر .. وكتبت هلكر تقريرًا ضمنته فشلها ، وفيه طلبت من رؤسائها سرعة نقلها لمكان آخر لأن عقلها يكاد يجن .. فهى المرة الأولى التى تفشل فيها فى السيطرة على رجل ، رجل استباح جسدها لأكثر من شهرين بلا ثمن .. وبلا فائدة .

لكن رؤسائها رفضوا سحبها من القاعدة الجوية ، على أمل أن تستدرجه من جديد .. وطالبوها ببذل الكثير من الجهد لاحتوائه ، وأن تكون أكثر لطفًا معه قدر الإمكان ، لعل وعسى .

ومع الإخفاق المبدئى مع النقيب شاكر ، تكثفت الجهود لكى لا يفلت حامد ضاحى هو الآخر .. وبدلت زينب أسلوبها هى الأخرى ، بما يتفق ورغبة الطيار النادم فى ألا يعاود الخطأ معها ، لذلك أحاطته بمشاعر حب كاذبة .. مجتهدة قدر استطاعتها فى تقريبه إليها عاطفيًا ، مستغلة أحاسيس الندم التى تملكته للعب عليها .

وفى لقاء لهما بحديقة الفيلا ، ارتبك ضاحى عندما سمعها تقول فجأة :

- ضاحى .. لقد قررت ارتداء الحجاب (!!) ..

- حجاب ..؟ هنا فى أمريكا .. ؟ ولم ..؟

- أريد أن أشعر بأننى مسلمة .. أصلى .. وأصوم .. وأستغفر ..

- بإمكانك أن تفعلى كل ذلك بدون الحجاب .
- ألا تشغر بالندم مثلى ..؟
- إننى أبكى فى كل صلاة وأدعو الله أن يغفر لى ..
- لقد كرهت جمالى واشمئززت من نفسى بعدها .. وتمنيت أن أكون دميمة على أن أكون حقيرة مذنبة .
- زينب .. الحمد لله الذى هدانا .
- أنت إنسان صادق حقًا .. أتمنى من الله أن أكون دومًا إلى جوارك .
- ....
- ستترك لى أمى هذه الفيلا لأتزوج بها .. وستمنحنى خمسمائة ألف دولار لأبدأ مشروعًا خاصًا بى أنا وزوجى .. وهذا الأمر يقلقنى كثيرًا ..
- فيما القلق إذن ..؟
- أنا لا أضمن من سأتزوجه .. فالبشر عادة لا يتساوون فى العدل أو الطموح .. أو الأمانة .. هذه أمور شائكة ومتباينة .
- اختيار الزوج لابد وأن يكون مدروسًا ..
- وكيف لى أن أضمن ..؟ وبأية وسيلة أقنعك ..؟
- أقتنع بماذا ..؟
- ....
- لم سكوتك ..؟ أقتنع بماذا يا زينب ..؟
- بأن نتزوج .
- نتزوج ..؟ هذا مستحيل .. ألف سبب يمنع ذلك ..
- ألف سبب .. ؟

- نعم .. فأولاً أنا طيار حربي عراقى .. ثانيًا أهلى فى العراق .. ثالثًا .. خطيبتى فدوى .. رابعًا ...

- وما المشكلة فى كونك طيار عراقى ..؟ بالعكس .. فهذه ميزة كبيرة جدًا .. لأنك ستعمل هنا كطيار أيضًا .. وبراتب لا تتوقعه ..

- ولو أن ذلك حقيقى وواقع .. فما ذنب أهلى وخطيبتى .. ووطنى .. ؟!!

- سنعيش هنا معًا حياة محترمة .. وسأكون سعيدة لأننى أحبك وأثق بك ..

- زينب .. هذا لن يروق إلا لعاطل يبحث عن المال ..

- ومن منا يكره أن يكون ثريًا .. إن أمى ستمنحنى ...

- دعك من كل هذا .. أنت فتاة طيبة جدًا .. ولو أننى كنت قد قابلتك قبل التحاقى بالكلية الجوية لتغير الأمر .. لكن لا فائدة .

- الأمر سهل جدًا يا ضاحى .. فأنت ستعمل هنا طيار أيضًا .. أعدك بذلك .. بل وأضمن لك ما هو أكثر من ذلك بكثير ..

- أتعرفين .. إن أنا وافقت – وهذا بالطبع مستحيل – ماذا سيحدث لى ..؟ ستتعقبنى شعبة الاستخبارات العراقية .. وسأموت هدرًا ..

- مستحيل أن يحدث لك ذلك .. فرجال مخابراتنا سيُؤمِّنون حياتك هنا .. بل وسيدفعون لك بسخاء إن وافقت .. (هنا أخطأت العميلة) .

(بارتياب) :

- سيدفعون لى ..؟ كم مثلاً ..؟

- أنا لا أعرف بالضبط .. لكنه مبلغ كبير على ما أتصـــور (تأكيدها كان خطئًا ثانيًا) .

(كان ما يزال مرتابًا) :

- مقابل ماذا ..؟ أن أهرب من العراق إلى أمريكا ..؟ أم أختبئ هنا ولا أعاود الرجوع ثانية إلى بغداد ..؟

– أنا لا أعرف .. لكنى أستطيع أن أخمن أنك ستصير مليونيرًا .

(مرتبكًا) :

– أتعرفين يا زينب ..؟ لو لم تكونى عربية مسلمة لظننت بك الظنون .. ؟!!

– ضاحى أنا لا أفهم فى السياسة .. فقط أنا أعرف أننى أحبك .. أحبك أكثر من نفسى فلم لا نتزوج ..؟

– ....

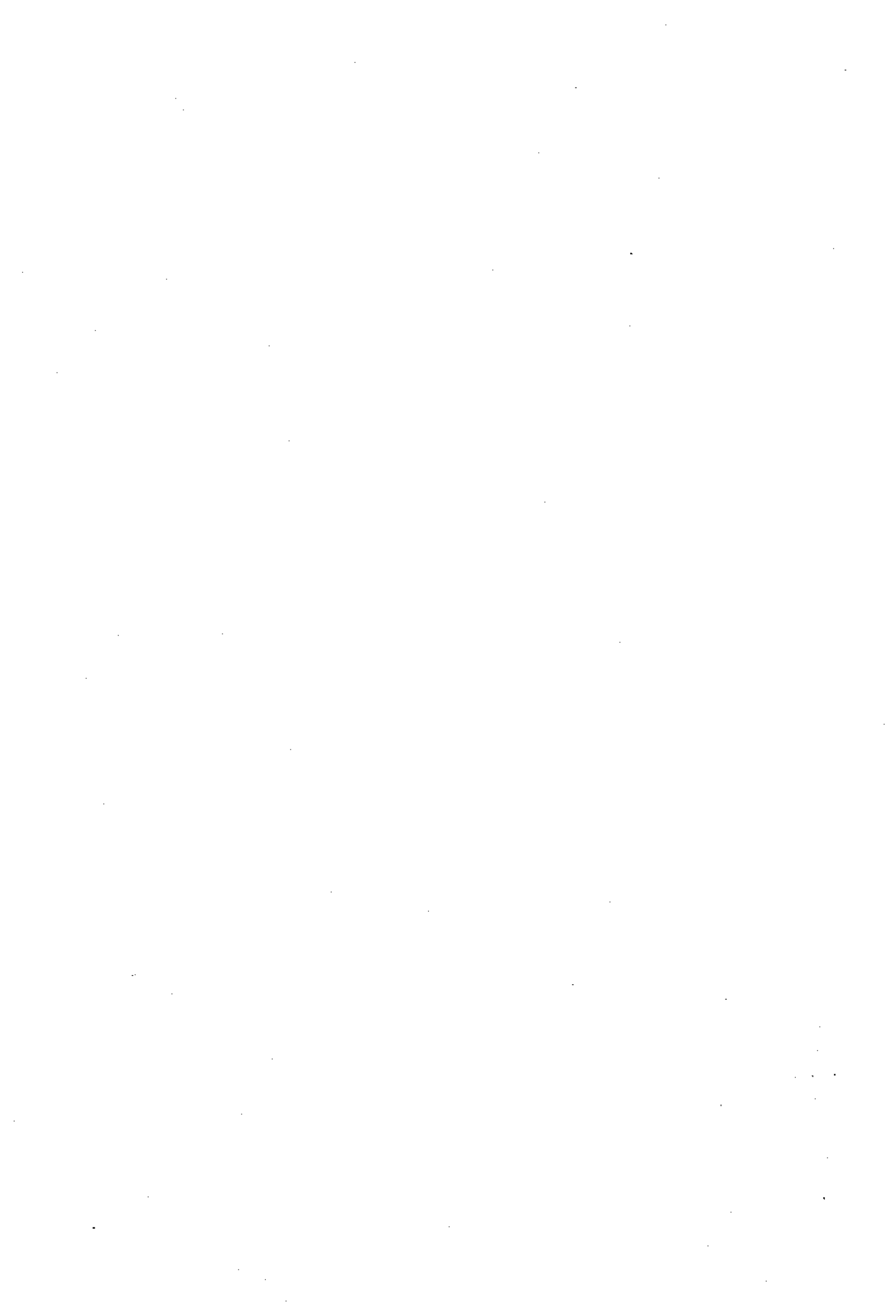
– ....

– ....

– ضاحى ..؟ إلى أين أنت ذاهب ..؟ أنت لم تجيبنى ..

– إنس ما دار بيننا الآن .. لقد تأخر بى الوقت .





الفصل الرابع

□□ كان رئيس الموساد ، عاميت ، رومانسيًا .. هادئ الطباع .. يقرأ فى الأدب الفرنسى ويحب الموسيقى الهادئة .. وأكثر ما كان يحزنه فشله فى الإنجاب .. وهكذا انعقد مصيره على أن يبقى طوال حياته بلا أولاد .. كشجرة بلا جذور.. سرعان ما يعطب جذعها .. ويتهاوى ..!! □□



حــرباء تكساس

كان ثلثى مدة الدورة التدريبية قد مرا ، وكتبت زينب / جين فى تقريرها[1] المفصل ، أنها حاولت كثيرًا مع حامد ضاحى ، مستعينة بكل ما تملك من أدوات وإغراءات ، لكنه بعد ممارسة جنسية واحدة ، صارحها بأنه نادم ، وبأنه أخذ عهدًا على نفسه بألا يلمس امرأة قط . وتضمن التقرير أيضًا ، أنها حاولت إغراؤه بالزواج فرفض ، واشتدت مقاومته لشتى الحيل ، وأنه « بارد محصن » لا يستجيب للجنس معها ، أو العواطف .. واتجه إلى الصلاة والصوم .. ويحب وطنه إلى درجة الهوس وتصعب محاولات استقطابه .

لقد آثر حامد ضاحى الابتعاد عن الفتاة تدريجيًا لينأى عن الخطأ ، لكن مطاردها له زادت عن الحد ، فلم يستطع أمام ذلك إلا أن يخبر رئيسه بالأمر .

- سيدى القائد .. أريد أن أعرض أمرًا ..
- ما الأمر ..؟
- يبدو أننى فى مأزق كبير .. ولا أعرف كيف أبدأ .
- قل كل ما عندك يا حامد .
- لقد تعرفت بفتاة أمريكية .. والدها لبنانى .. والتقيت بوالدتها التى طلبت منى أمرين .. أن أساعدها فى التوصل إلى عنوان والد ابنتها فى بيروت ، وهذا أمر بسيط .. أما الأمر الآخر .. وهو الذى أثار مخاوفى .. أنها كانت لحوحة فى ربط علاقة عاطفية بينى وبين ابنتها ..
- أكمل يا بنى ..
- الابنة عرضت علىّ عروضًا مغرية للبقاء فى أمريكا .. والزواج منها .. وأنها على استعداد .. بل وتضمن لى حياة رغدة فى أمريكا .. لأن جهاز المخابرات سيؤَمِّن لى ذلك .. وسيدفع بسخاء فى حال موافقتى .
- أى مخابرات تقصد أيها الملازم أول ..؟

(١) برغم أجهزة التسجيل والتصوير ، فالعميلة تكتب تقريرها وتوقع أيضًا ، فهى هنا موظفة تؤدى مهمة رسمية (!)

– المخابرات المركزية سيدى القائد .

– المخابرات المركزية ..؟

– انتابتنى الشكوك سيدى القائد .. وابتعدت عنها لكنها الآن تطاردنى باستماتة وتزيد من عروضها .

وعلى الفور ، تحدد سفر إلى العراق بعد ثلاثة أيام .. وجن جنون رجال المخابرات فى الموساد والـ C.I.A ، فقد أوقعهم حظهم العاثر مع شاب وطنى مخلص ، وكان لابد من تصفيته قبل عودته إلى وطنه ، حتى لا يتشكك رجال المخابرات هناك فى نواياهم ، ويكون الرد المتوقع هو حرمان الطيارين الذين كانوا بأمريكا من الطيران مرة أخرى ، تحسبًا لأى خطر أو خيانة ، فضلاً عن التحقيقات التى سيخضع لها جميع زملائه .

وفى مساء اليوم التالى – ١٥ مايو ١٩٦٥ – خرج ضاحى ليمضى آخر سهراته بأمريكا ، وعرج إلى أحد النوادى الليلية برفقة زميلين له ، وبينما الموسيقى الصاخبة ترج المكان ، فتتراقص الأجساد فى جنون ، أطفئت الأنوار فجأة ، ودوت طلقة رصاص واحدة تبعها سقوط جسد ضاحى .. فتدافع الجميع هاربين فى ذعر ، ووسط الظلام .. والزحام ، اندس القاتل بينهم ، وأظهرت التحقيقات الأمنية غموض الحادث ، إذ لم يكن هناك تفسير منطقى لوقوعه .

السفير العراقى فى واشنطن أدلى ببيان قال فيه بأن الحادث غير متعمد ، وأنه كان قضاء وقدرًا .

أما الملحق العسكرى العراقى ، بناء على التقرير الأمنى لقائد البعثة ، فقد اشتم رائحة ما وراء حادث القتل .

وفى قرار فجائى حاسم ، تقرر عودة بعثة الطيارين العراقيين إلى بغداد ، وكان ذلك قبل انقضاء المدة المقررة بشهر تقريبًا .

وطار نسور الجو العرب فى ١٨ مايو[1] إلى العراق ، وطارت فى إثرهم عقول رجال الموساد والـ C.I.A ، وبات واضحًا أن الفرصة الذهبية ، الوحيدة ، التى كانت أمامهم ، ذابت فى محيط عميق ، وبدت كما لو أنها كانت مجرد حلم لذيذ ، سرعان ما انتهى .

---

(١) فى أول ساعات هذا اليوم أيضًا تم شنق إيلى كوهين فى دمشق .

لكن مائير عاميت ، المصدوم ، أنصت باهتمام لمساعده المزعج – كاروز – وهو يقول :

– إن الأمل لم يضيع بعد يا سيدى ، ولازالت هناك فرصة أمامنا .

– « فى دهشة » : كيف .. ؟ لقد غادروا أمريكا منذ خمسة أيام .

– بإمكان كروثر هلكر أن تؤثر على النقيب شاكر يوسف .. فى بغداد .

– بغداد ..؟ أجننت يا رجل ..؟

– لا حل أمامنا سوى ذلك سيدى الرئيس ، فالأفلام والشرائط التى بحوزتنا ستجعله يركع ، خاصة وقد حوَّرنا العديد من الشرائط ، ووضح فيها سبابه لقيادته ولحكومته ، وعند سماعها سينهار بلا قوى .

– وإذا فشلت معه هلكر ..؟

– تبعث معه رسالة إلى السماء[1] .

وبعد دراسة مستفيضة للفكرة ، اقتنع عاميت ، وأقنع ميكون[2] ونائبه رأى كلاين بها ، وجئ بعميلة المخابرات لإفهامها خطوات العملية ، وبأن زملاء لها بالعراق سوف يساعدونها ، فأحست ببعض الخوف ، ذلك لأن النقيب شاكر كان قد تخلص من تأثيرها عليه ، وفقدت بالتالى خيوطها التى كانت تجذبه إليها ، لكنها لم تشأ أن ترفض ، ففى عالم الجاسوسية تسحق المشاعر ، وتختفى رجفاتها الناعمة الجميلة ، ولا يبقى سوى الهدف المنشود ، الذى فى سبيله يتخطى العملاء حاجز الإنسانية والرأفة ، ويتحولون إلى مجرد أشكال صماء كالدُّمَى ، لا روح فيها أو دماء .

---

(١) رسالة إلى السماء مصطلح مهذب لكلمة القتل .

(٢) جـون ميكون : الرئيس الرابع للمخابرات المركزية C.I.A وكان رجل صناعة وتخصص فى بناء السفن قبـلما يعينـه جـون كينيدى رئيسًا للمخابرات بعد دالاس ، حيث تولاها من ١٩٦١ حتى ١٩٦٥ . وقـد أعاد ميكون تنظيم المخابرات مرة ثانية بعد فشل غزو كوبا ، وارتفعت الميزانية فى عهده إلى عشرة ملـيارات دولار ، وبلـغ عدد العاملين ٢٠٠ ألف فى الداخل والخارج من النساء والرجال . وفى عهده حدثـت أزمة الصواريخ السوفييتية فى كوبا وكادت أن تشتعل الحرب ، وفى عهده أيضًا ضرب خرشوف المنصة فى الأمم المتحدة بالحذاء وهو يتهدد الأمريكان .

وعقب اغتيال كنيدى أقاله الرئيس ليندون جونسون ، وحل محله وليام رابون لأربعة شهور فقط . وعمـل ميكون بعد ذلك مديرًا لشركة التليفونات بسنتياجو C.T.T ، وهى الشركة التى تجسست على الرئـيس سلفادور الليندى وساعدت على الإطاحة به فى سبتمبر ١٩٧٣ ، فاقيل ميكون عقب الفضيحة وجاء إلى المملكة السعودية كمستشار لإحدى شركات البترول الأمريكية .

ومن فندق بغداد الدولى اتصلت هلكر تليفونيًا بالنقيب شاكر الذى فوجئ ، وضايقه كثيرًا مجيئها وراءه ، ولكى يأمن المشاكل التى قد تثيرها ، استأجر لها شقة مفروشة ترى دجلة ، بمنطقة الكرادة الشرقية الراقية ، وأخذ يتردد عليها خفية ، لا لأجل الجنس ، وإنما لإثنائها عن فكرة الزواج ، التى من أجلها جاءت إلى بغداد ، فى تبجح أثار قلقه منذ البداية .

كان من الواضح أن العميلة التى كانت تحمل تصريحًا بالقتل ، لم تيأس منه بعد ، ولم تتزعزع عزيمتها ، فإلحاحه عليها لتتركه وشأنه كان يريحها نفسيًا ، ويشفى بداخلها الإحساس المقيت بالفشل معه ، وهى التى ما تعودت أن يقف أحد أمام جبروت جمالها ، فتمادت فى الضغط على أعصابه بكل قواها ، وادعت له كذبًا بأنها حملت منه ، فارتبك الطيار المذعور ، وعرض عليها أن يخلصها من الجنين ، فبكت ، ومثلت دور العاشقة التى لن تغادر بغداد ، إلا ومعها طفلها ، وأنها تفكر كثيرًا فى التصرف بحماقة وأن تبلغ أسرته وزوجته بعلاقتهما ، وبالجنين الذى ببطنها ، لكى تضعه أمام الأمر الواقع ويتزوجها .

- شاكر .. إنه ابننا الذى لا ذنب له .. أريد له أن يجئ إلى الدنيا .. وأن يعرف أبوه .

- قلت لكِ إن صديقى الطبيب سينهى هذا الأمر .

- لكننى أريده .. وأحلم كثيرًا باليوم الذى أكون فيه أمًا .

- هذا أمر يخصك وحدك .. أما أنا فلا أريد منك أطفالاً .

- ألهذا الحد تكرهنى يا شاكر ..؟

- أنا لا أكرهك بقدر ما أكره تفكيرك الغبى .. أتظنين بأن تصرفك هذا سيحل المشكلة .. أو يقربنى منك ..؟

- أنت تعرف منذ البداية بأننى رومانسية .. وساذجة بلا تجارب ..

- عرفت قبلك مئات النساء .. أنت تفوقتِ عليهن جميعًا خبرة فى الفراش .. فكيف تكونين ساذجة ..؟ وبلا تجارب ..؟

- كُنَّ مومسات أما أنا فلا ..

- كروثر أمامك خيارين لا ثالث لهما مهما حاولتِ أو لوحتِ بتهديداتك التى لن تفيد . فإما أن يراك الطبيب .. أو تغادرى بغداد على الفور .. وإلا فسأكون عنيفًا معكِ وأضطر لإبلاغ الأمن بمطارداتك لى ..

– وماذا أيضًا ..؟

– هذا آخر ما عندى .

– ألا تخشى أن أخبر عائلتك ..؟

– تهديدك لن يخيفنى .. وأعرف جيدًا كيف أسوى الأمر مع عائلتى .

ولما رأت منه تصميما على المقاومة ، وأنه سيضطر لإبلاغ السلطات ضدها ، ضحكت وقالت له فلتأت السلطات ، فعلى الأقل ستكون الفضيحة رسمية ، وستتدخل سفارة بلدى ، وستفقد وظيفتك ورتبتك فى الحال .

كانت لهجتها معه قد تحولت من لهجة عاشقة إلى تهديد سافر ، وسألها شاكر عما تمسكه ضده لكى تكون بمثل هذه الجرأة ، أخبرته أنها تملك تسجيلاً بصوته يعترف فيه بأنه يكره العراق ، ويحتقر قيادته فى سلاح الطيران ، ودفعت إليه بجهاز تسجيل صغير ، فاستمع إلى صوته وهو يسب ويشتم ، فامتقع لونه ، واضطربت عضلات وجهه ، وصفعها بقوة أوقعتها على الأرض وصرخ فيها بأن هذا الشريط مزيف ، وبأنه لم يقل ما جاء به ، وصفعها ثانية بشدة ، فتأوهت وقامت متحفزة تكشر عن أسنانها كأنها لبؤة تدفع الخطر عن أشبالها ، وبصوت هو أقرب إلى فحيح الأفعى قالت :

– اشتر حياتك ولا تكن أحمقًا .. إنها الفرصة الأخيرة التى أمنحها لك .. فلنتزوج وتأتى معى إلى أمريكا ، وسيدفعون لك مليون دولار ..

– من هؤلاء الذين تتحدثين عنهم ..؟

– منظمة السلام الدولية ، إنها منظمة تسعى للسلام بين العرب وإسرائيل . صفعها للمرة الثانية وقد تملكه الغضب :

– أيتها العاهرة اللئيمة .. ألهذا إذن جئتِ ورائى ..؟

– مليون دولار يا شاكر .. ستعيش مليونيرًا طوال حياتك ..

– انهال عليها ضربًا فكانت لا تكترث وتردد :

– لا تكن مجنونًا .. سأزيد الثمن إلى مليونًا ونصف .. شاكر ..

– مع من تعملين يا أقذر عاهرة ..؟

– سيقتلون إبنك وعائلتك .. سيدمرونك .. فأعوانهم يملأون بغداد ..

- مازا تريدين بالضبط ..؟
- أريدك أن تنضم إلى المنظمة .. إن المال لا يهمهم .. عشرات الأفلام وأنت تعاشرنى سجلوها لنا .. وشرائط الكاسيت بصوتك وأنت تسب قيادتك بين أيديهم .. سيقتلونك بالبطئ إن رفضت .
- أرفض ماذا يا حرباء تكساس اللعينة ..؟
- الانضمام إلينا ..
- سأبلغ عنك السلطات .. فهذه محاولة لابتزازى وتهديدى .. بل خطة لتجنيدى لصالح جهات أجنبية ، والأفلام العارية التى بحوزتكم أريد منها عدة نسخ لأوزعها على أصدقائى ليروا مدى فحولتى .. !!
- أهذا قرارك الأخير .. ؟
- نعم .. وقبلما أسلمك للأمن .. خذى منى هذا ..

وسحب حزام بنطلونه وأخذ يضربها بعنف .. وكان يتعجب ، فضرباته كانت قوية مؤلمة، فى حين أن صراخها يكاد ألا يُسمع .. وفى غمرة ثورته انفتح باب الغرفة فجأة ، وأطلق عيزرا ناجى زلخا وزميلاه رصاص مسدساتهم الكاتمة للصوت ، فسقط جسد شاكر يوسف ، وعيناه ترمقان أبناء وطنه الثلاثة فى حسرة وألم ..

وبينما كانت كروثر هلكر تعد حقيبة ملابسها على عجل ، انشغل الآخرين بإزالة آثار البصمات ، ثم جَرُّوا جثة ضحيتهم لأسفل السرير[1] ، ملفوفة ببطانية ، « شرشف » ، وغادروا الشقة فرادى .

انتهت بذلك العملية المأساوية ، وبهدوء شديد طارت هلكر إلى لندن مساء اليوم نفسه ، لا تصدق ما حدث ، وكانت خطوط ضربات الحزام على جسدها المتورم تؤلمها ،

---

(١) قتل النقيب شاكر يوسف بتاريخ ١٩٦٥/٧/٦ ، ولدى تغيبه عثر على سيارته قبل شارعين من مكان الجريمة ، وكانت مغطاة ، وجرى مسح المنطقة ، حتى عثر على جثته بالشقة فى حالة تعفن ، وقد ترك الجناة أجهزة التكييف تعمل لكى تسحب الرائحة أولاً بأول ، فلا يتم اكتشاف الجريمة إلا بعد عدة أيام ، ووجد أن القتيل كان يرتدى قميصًا وبنطلونًا ، ولا يحمل مسدسه الذى تركه بشقته . وكان هذا أحد الأخطاء الفادحة التى ارتكبها .

وحرمتها النوم تلك الليلة فى الفندق . حيث طُلب منها الانتظار بلندن ، التى لم تغادرها بعد ذلك أبدًا[1] .

وبفشل عاميت المزرى ، وخيبة الأمل التى منيت بها الموساد والــ C.I.A ، خيم اليأس على الجميع ، وساد طقس مشحون بقتامة حالكة ، تنذر بالتشاؤم ، وتبعت رجفة قلوقة تهز العقول المرتبكة ، التى آلمتها الضربات الفجائية المؤثرة .

حديث المنجمون

لم تكن لعبة حظ أو صدفة غير متوقعة ، تلك الأحداث التى أزهقت مخططات الموساد ، وأفشلتها . فالمخابرات العربية لم تكن بمنأى عن تطورات عالم الجاسوسية ، وحرفية الحروب السرية ، ذلك أن الظروف قد تهيأت لها ، من خلال أدمغة رجال مهرة ، واصلوا العمل متوسلين العلم ، وفنون عالم المخابرات ، واستراتيجيات التكتيك والتحدى ، يحفهم إيمان راسخ بصدق قضيتهم فى مواجهة عدو غاصب ، لم يدخر أية وسيلة إلا واتبعها ، لاصطياد الخونة من ضعاف النفوس ، والدفع بعملائه ذوى الخبرة والتدريب المتمرس ، لاختراق أمن الدول العربية .

وبسقوط إيلى كوهين ولوتز ، والعشرات غيرهما ، خلال فترة محدودة جدًا ، كانت النتيجة المرجوة قد أثمرت ، عندما اهتزت أعصاب جواسيس الموساد ، المبثوثون فى العواصم العربية ، وضباط حالاتهم[2] ، تمامًا كما حدث مع مائير عاميت ، الذى كان يفوقهم ارتباكًا ، وتخبطًا .

---

(١) ذكــرت بعض المصادر (الجزء الأول من المخابرات والعالم) أن الــ C.I.A تخلصت من هلكر فى لندن لتضــع حدًا لهذه القضية الفاشلة ، ووجدت العميلة ميتة بحجرتها بالفندق ، وكأنها منتحرة ، لكى يموت السر معها ، كعادة الــ C.I.A فى التستر على فضائحها ، والتخلص من بعض عملائها بعد إنجاز مهامهم البالغة السرية ، التى تمس أمن الدول وسيادتها . والتى قد يؤدى كشفها إلى أزمات دبلوماسية وفضيحة دولية ، لذلك فقد قامت بتصفية هلكر عملاً بهذا المبدأ .

(٢) ضــابط الحالــة : يكون هو المسئول المباشر المتخصص بتوجيه الجاسوس واستلام التقارير منه أو الوثائق والأفلام والرسائل ، والمنوط بالتعامل معه ماديًا وإعطائه الأوامر ، وتدريبه أحيانًا لزيادة كفاءته ، وتختلف مهــام ضــابط الحالة من جاسوس لآخر . حسب الدولة الموجود بها الجاسوس ، كأن يكون فى بلد معاد أو خلافه .

ففى الوقت الذى توّج فيه اليأس عاميت ، جاءته ضربة جديدة من الداخل ، من إسرائيل نفسها ، عندما رجع إيسيرهاريل إلى السلطة فى سبتمبر ١٩٦٥ ، مستشارًا لرئيس الوزراء فى شئون الاستخبارات ، وقصد ليفى أشكول من وراء ذلك ، أن يحقق تفوقًا على منافسه بن جوريون ، بعودة هاريل إلى الأجهزة السرية ، بعدما ألقى فى كومة النفايات ، ليعيد التوازن الطبيعى بين نشاطات الأجهزة واختصاصاتها ، وليضبط إيقاع النشاذ فى الموساد ، للحد من اندفاعات عاميت الغير مأمونة .

وبشكل صريح ، تجاهل رئيس الوزراء احتجاجات عاميت ، بشأن هاريل ، عندما أعلن رفضه التعامل مع مستشاره الاستخباراتى ، الذى انتقد إدارة الموساد بشدة بسبب عملياتها فى الخارج ، ملقيًا اللوم على عاميت فهو – على حد زعمه – يفتقر إلى خبرة رجل المخابرات المحنك ، ولا يستقرئ الأحداث من قبل وقوعها .

وأمام رفض عاميت التعامل معه ، لجأ هاريل إلى علاقاته الشخصية داخل الموساد ، مستعيرًا ملفاتها السرية ، متصيدًا أخطاء عاميت ، وعرضها على رئيس الوزراء مباشرة ، بعدما يستكتب رؤساء الأقسام تحليلات تقييمية لها ، مركزين على عيوبه فقط .

كان هاريل قد نــدم كثيرًا على استقالته ، فى أعقاب عملية داموكليس[1] الفاشلة عام ١٩٦٣ ، وهى قضية العلماء الألمان فى مصر ، واستنادًا إلى مصادر عديدة ، فقد آلمه اختيار عاميت ليخلفه ، ورأى أنه من الصعب عليه أن يقبل ذلك ، فسعى باستماتة لإزاحة عاميت ، وكان الصراع بينهما – كما قال إسرائيل ليور المستشار العسكرى لأشكول – يشبه إلى حد كبير صراع يأجوج ومأجوج .

لقد كان على عاميت أيضًا أن يناضل ، فهو يريد أن يصنع له تاريخًا ، وأن يتبنى عمليات مخابراتية تردد اسمه على مدى التاريخ ، لكن مساعده ياكوف كاروز – خادم هاريل الأمين – كان يقف له بالمرصاد ، ويسرب أسراره إلى هاريل أولاً بأول ، ليستخدمها ضده فيما بعد .

---

(١) العملية داموكليس Damocles « اسم سيف جاء ذكره فى الأساطير الإغريقية » ، وكانت العملية ترمز إلى « قطع الرقاب » لكل العلماء الألمان الذين جاءوا سرًا إلى القاهرة ، فى أوائل الستينيات ، للمشاركة فى مشروع تطوير الصواريخ بعيدة المدى ، وكان من صميم عمل الجاسوس الإسرائيلى « لوتز » التوصل إلى مــا يفعله الألمان فى مصر ، ومعرفة عناوينهم وتليفوناتهم ، وكان يرسل بنفسه الرسائل المفخخة إليهم لحثهم على مغادرة القاهرة .

ووصلت المواجهة إلى قمتها فى نوفمبر ١٩٦٥ ، عندما انكشفت قضية بن بركة[1] ، وهى من أخطر القضايا التى واجهت المخابرات الإسرائيلية ، منذ فضيحة لافون فى مصر عام ١٩٥٤ . إذ ظهر تورط الموساد فى خطف بن بركة وقتله .

أثارت قضية بن بركة تحقيقات داخلية فى الحكومتين الإسرائيلية والفرنسية ، وطالب إيسيرهاريل بإقالة عاميت أو استقالة أشكول ، لكن محاولاته باءت بالفشل ، وأدت إلى تزايد هوّة الخلاف مع عاميت وأشكول على حد سواء .

خلال تلك الفترة ، كانت المخابرات المصرية قد اقتفت أثر النقيب طيار عباس حلمى ، وتوصلت لمخبأه فى العاصمة الأرجنتينية بوينس أيرس ، ثم اعتقلته بأحد « البيوت الآمنة »[2] إلى أن تمكنت من تهريبه سرًا ، وإعادته فى صندوق إلى القاهرة لمحاكمته وإعدامه .

كان الطيار الهارب دائمًا تحت أعين رجال الموساد هناك ، ولما اختفى لفترة طويلة حاولوا عبثًا أن يعثروا عليه ، وجاء ذلك متأخرًا ، فقد كان وقتها بالقاهرة يخضع لتحقيقات أمنية لا أول لها من آخر ، وتسرب الخبر لتنشره بعض الصحف الغربية ، وتلزم القاهرة الصمت دون أن تنفى أو تؤكد ، حفاظًا على العلاقات الدبلوماسية بين مصر والأرجنتين .

وكان وقوع النبأ على عاميت كالصاعقة ، وأسرع باستدعاء المنجمة العجوز « يَشًا » ، فنظرت إليه فى إشفاق وقالت :

– ضخ ما بفكرك لـــ « فاردى »[3] وانس ما مضى .

---

(١) المهدى بن بركة : المدرس الخصوصى للملك الحسن الثانى ملك المغرب السابق ، اشترك فى عدة مؤامرات للإطاحة بالملك ، ولما انكشف أمره هرب إلى جنيف ، وحكم عليه فى المغرب بالإعدام غيابيًا مرتين ، وبالاشتراك مع المخابرات المغربية والفرنسية ، استدرجه عملاء الموساد إلى باريس فى ١٩٦٥/١٠/٢٩ ، واختطف من أمام مقهى Lipp ، حيث تعرض للاستجواب داخل إحدى الفيلات بضواحى باريس ، ثم قتل بحضور أوفقير وزير الداخلية المغربى ، ودفن بحديقة الفيلا ، وبعد أسابيع أخذت جثته ودفنت على ضفاف نهر السين . ولما أثيرت الفضيحة أمر ديجول بتحقيق واسع ، وأبعد العديد من رجال الأمن المتورطين ، وحدثت أزمة فرنسية إسرائيلية شديدة .

(٢) البيت الآمن – مصطلح مخابراتى المقصود به مكان لا يثير شكوك رجال الأمن فى الدولة التى تدار العملية على أراضيها ، فقد يكون مكتبًا تجاريًا ، أو شقة يقيم بها زوج وزوجته ، أو عروسان فى شهر العسل .

(٣) راهافيا فاردى : كان مدير قسم الشرق الأوسط فى جهاز المخابرات العسكرية (أمان) عندما تولى عاميت رئاسته ، وأخذه معه إلى الموساد بعد ذلك ، وهو محلل ناشط للأخبار ، ويتكلم بالعربية بطلاقة ، إضافة إلى عدة لغات أوربية أخرى .

دهش عاميت لما تقول المرأة ، فما كان بالفعل يفكر به لهو الجنون بعينه ، ولم يشأ أن يطلع عليه إنسان قط .

فمع النحس الذى لازمه طويلاً ويرفض أن يغادره ، فكر عاميت فى عملية يتفوق بها على سلفه هاريل ، وترفعه إلى مصاف عباقرة رؤساء الموساد ، وطرأت بفكره تفاصيل العملية الخارقة ، فأخذ يرسم خطواتها ويحسب نتائجها ، حتى تحولت إلى هدف ذو قوة دفع هائلة ، تحثه لأن يتخذ خطوات نحو تنفيذها ، مهما كلفه ذلك .

وكانت فكرة عاميت الجريئة السفر إلى القاهرة ، للقاء الرئيس جمال عبد الناصر ، والمشير عبد الحكيم عامر ، والتباحث معهما فى سرية للوصول إلى حل سلمى ، ينهى الصراع العربى الإسرائيلى ، فتحقن الدماء ، ويخف ضغط التسابق التسليحى والحربى ، من أجل النهوض الاقتصادى وأمن الشعوب ورفاهيتها .

لقد أدهشه حقًا ما قالته تلك العجوز المنجمة « يَشًا » ، التى كثيرًا ما لجأ إليها كبار رجال الدولة فى إسرائيل لكشف طالعهم ، وما أدهشه أكثر أنه لم يجلس إليها مع « فاردى » سوى مرة واحدة ، وكان ذلك فى نهاية عام ١٩٦٢ ، عندما كان يترأس جهاز المخابرات العسكرية « أمان » . وما إن انصرفت المرأة ، إلا واستدعى فاردى إلى مكتبه ، وحدثه بما قالته وسأله عن مرات لقاءه بها ، فأوضح له أنها تلك المرة الوحيدة التى كانت بمكتبه فى أمان . فتعجب عاميت للأمر ، وأفضى لمعاونه بما يفكر فيه ، وبرغم غرابة الاقتراح المثير فقد اقتنع به فاردى ، وكان أن شجعه ذلك على المضى قدمًا لعرضه على رئيس الوزراء .

كان مائير عاميت فى واقع الأمر رومانسيًا هادئ الطباع ، يقرأ فى الأدب الفرنسى ويحب الموسيقى الهادئة ، وأكثر ما كان يؤرقه فشله فى الإنجاب . فقد مرت على زواجه إثنتى عشرة سنة ، ولم تتقدم حالته الصحية ، برغم العلاج المكثف والجراحات ، وكأن مصيره أن يبقى هكذا طوال حياته بلا أولاد كشجرة بلا جذور سرعان ما يعطب جذعها ويتهاوى .

هذا الهاجس كان مؤلمًا ومثيرًا لشجنه ، وتؤلمه أكثر نظرات زوجته الحزينة ، عندما تلاطف أطفال الأقارب والأصحاب .

حتى فكرة السفر إلى القاهرة[1] ، كان مبعثها الخوف على أطفال الشعب اليهودى فى إسرائيل ، الذين سيعيشون حياة اليتم حتمًا ، والتشرد ، طالما الحروب مع العرب ستظل مستمرة ولن تنقطع .

---

(١) ذكرت بعض المصادر أن صاحب الفكرة ، هو رجل أعمال يهودى فى أوروبا ، كانت تربطه علاقات صداقة بشخصيات مصرية ، وأنه تحدث مع عاميت بشأنها ، ولرومانسية عاميت اهتم بالفكرة ، وأراد تنفيذها لكى يضمن له تاريخًا مشرفًا يتفوق به على عدوه اللدود إيسير هاريل .

لقد كان عاميت يشعر بحساسية عالية تجاه اليتامى ، ضحية الحروب والدمار ، ويملؤه وجع يتعاظم مع التهديد الدائم بالحرب من قبل العرب ، فها هو عبد الناصر يمرن رجاله فى اليمن على إبادة إسرائيل ، واكتظت مخازن أسلحته بأحدث ما أنتجه السوفييت من طائرات ودبابات وصواريخ . وكان من الواضح ، إنه يكثف السلاح ليستدير ناحية إسرائيل ، ويدكها بمساعدة سوريا والأردن ، ويقذف بشعب إسرائيل إلى البحر .

ويعترف عاميت بأن الرعب من الحرب تملكه لفترة طويلة ، لذلك سعى إلى عرض فكرته على رئيس الوزراء ، ومستشاره الاستخباراتى إيسير هاريل .

وصرخ ليفى أشكول فى وجهه مستنكرًا ، بينما كان هاريل المتحفز دائمًا ، هادئًا لأول مرة ، وقال « إنه الجنون بعينه ، أن يسعى رئيس الموساد إلى الوقوع بين يدى العدو » ، وأشار موضحًا أنه فى حالة إلقاء القبض عليه واستجوابه فى مصر ، فقد يضطر إلى الكشف عن أسرار لا يحلم بها المصريون .

وحاول عاميت جاهدًا إقناعهما ، لكن تأثير هاريل على أشكول كان ذا فعالية ، وقالا إن إجراء مفاوضات مفتوحة مع مصر مسألة مغلفة بالشك ، وعائقة ، ومستحيلة ، وانتصرا عليه فى النهاية .. فسكت على مضض ، وهو يعتقد بحسرة ومرارة ، أنه لو طار إلى القاهرة بصورة سرية ، لأمكن التوصل إلى تفاهم مشترك ، يجنب الشعب الإسرائيلى مغبَّة الدمار والاستئصال .

إلا أنه لم يكن هنالك مؤيدين لاقتراحه ، فى ظل ازدياد التوتر على طول الحدود مع كل من مصر وسوريا بصورة حادة ، إلى أن ظهرت حقائق جديدة ، جاءت مصادرها من إسرائيل نفسها ، ونشرتها صحيفة « معاريف » بتفاصيل نسردها كما هى . وكان ذلك فى ٢١ أبريل ١٩٩٧ .



الفصل الخامس

□□ إن هذا الضابط المصرى .. ربما كان مفتوناً بناصر .. ومن ثم فقد أراد أن يغرر بكبار الدببة الإسرائيليين .. حتى يقدمهم حليقى الرءوس .. مكتوفى الأيدى .. منكسرى الأنفس .. كهدية متواضعة .. يكفى ناصر أن يحس بزهو أجهزته .. وهو يرى نظرات الذل تطفر من عيونهم . !! □□



رئيس الموساد الأسير

« لا .. لابد أن القاهرة نصبت لنا مصيدة .. فمصر لا تحب إسرائيل إلى هذا الحد » .. من شريكنا فى المحادثات ؟ .. أليس من حاول أن يعبىء أشخاصًا داخل صناديق ويرسلهم إلى مصر » .. « إنها قصة خيالية ومن المستحيل ألا نندهش » .. « إذ قبلت مصر أن يتدخل ديجول ويضمن سلامة الوفد .. ساعتها سنصدق » .

هذه العبارات التى تم ترديدها فى اجتماع على أعلى مستوى برئاسة ليفى أشكول ، كانت سببًا فى إحباط خطة مصرية لاستدراج مائير عاميت رئيس جهاز الموساد ، وتسفى دينيشتاين نائب وزير الدفاع الإسرائيلى ، إلى مصيدة فى القاهرة خلال فبراير عام ١٩٦٦ . وفى آخر لحظة كشفت صحيفة معاريف الإسرائيلية النقاب عن هذه المصيدة ، لكنها حاولت من خلالها تكريس وهم مفاده أن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، وافق على إجراء محادثات سرية مع مسئولين إسرائيليين كبار ، وأن مخاوف تل أبيب من تدبير « مصيدة » أعدها جهاز المخابرات المصرى أفشل هذا التوجه .. إليكم القصة من البداية وكما روتها معاريف . فى ١٩٩٧/٤/٢١[1] .

هذه القصة غريبة .. حيث يقوم جهاز تجسس بعمل ظاهره ليس التدبير لحرب أو عمليات عدائية سرية أو علنية ، وإنما الظاهر أنه جهد للتوصل إلى سلام .

بداية الخيط قام به رجل أعمال أوروبى ثرى ، على علاقة وطيدة بجهاز الموساد الإسرائيلى ، وذلك لتجنيد مهندس ماكينات غامض وواسع الخيال ، يقوم فى إحدى العواصم الأوروبية ، وشارك فى برامج مصرية لتطوير الأسلحة .

فى صيف عام ١٩٦٤ اجتمع رجل الأعمال الأوروبى ، بالمهندس الذى كان على علاقة بمصر ، وفاجأه بالقول :

لماذا لا تدير الدفة .. وبدلاً من أن تعمل ضد إسرائيل .. تنضم إليها ؟ .

(١) الأسبوع : العدد (١١) فى ١٩٩٧/٤/٢٨ .

ذهل المهندس المشارك فى تطوير الأسلحة المصرية ، وهنا انزعج العميل الإسرائيلى وسارع بتعديل اقتراحه قائلاً :

« إننى لا أقصد أن تعمل من أجل إسرائيل .. ولكن أن تعرض خدماتك كوسيط بينها وبين مصر » .

بانتهاء هذه العبارة أفاق المهندس (الذى رمزت إليه الصحيفة باسم ستيف) . ورد قائلاً :

إن المصريين سيقصفون رقبتى لمجرد أن أطرح مثل هذا الاقتراح .. كما أن القاهرة وتل أبيب تخوضان صدامًا عنيفًا حول موضوع اللاجئين .

وبعد جلسات سرية متكررة استمرت شهرًا ، اتفق ستيف مع العميل الإسرائيلى على أنهما سيحاولان عرض الفكرة على الطرفين .

وفور الاتفاق سافر عميل الموساد إلى تل أبيب ، وعرض الأمر على قادة جهاز الاستخبارات الإسرائيلى .. فقرر الجهاز محاولة « إيجاد علاقة » مع ستيف ، وتم اختيار اثنين من كبار الضباط ، أحدهما يتصل برجل الأعمال الأوروبى « العميل الإسرائيلى » والآخر يحاول الاتصال بالمهندس المرتبط بمصر .

لكن ستيف رفض الاجتماع مع الضابط الإسرائيلى ، واقترح ألا تتناول الاجتماعات موضوع اللاجئين الذى كان مثارًا فى تلك الآونة ، وإنما تكون ذريعتها تدخل إسرائيل لدى الولايات المتحدة والدول الأوروبية ، حتى تقدم مساعدات اقتصادية لمصر .

وفى زيارة خاطفة قام بها المهندس ستيف إلى مصر ، عرض الأمر برمته على الجنرال عصام الدين محمود خليل ، وهو طيار تولى رئاسة شعبة المخابرات الخاصة بسلاح الجو المصرى ، ثم عمل بعد ذلك مديرًا للمشروعات الخاصة بتطوير الأسلحة المصرية ، وتقول الصحيفة الإسرائيلية :

إن خليل تسلم هذا المنصب الحساس بعد أن قام عام ١٩٥٧ بإحباط مؤامرة وقف وراءها البريطانيون لاغتيال الرئيس عبد الناصر . وتظاهر بالتعاون مع رؤوس المؤامرة وهما وزير الداخلية المصرى ونائب رئيس المخابرات العسكرية المصرية ..(!!) ، وفى الوقت الحاسم نقل كل المعلومات الخاصة بتدبير محاولة الاغتيال إلى الرئيس عبد الناصر ، وسلمه المسئولين المتآمرين ، بعدها أصبح مقربًا من الرئيس .

بعد ثلاثة أسابيع تلقى المهندس ستيف من الجنرال عصام خليل ردًا بعد أن عرض الأمر على المسئولين ، قال الرد :

« لا أستطيع أن أقول لك نعم أو لا » .

لكن ستيف عرض على العميل الإسرائيلي استعداده للمشروع في محادثات مع ممثل إسرائيل بشرط أن يكون رسميًا ، وأن يتم اللقاء في منزل رجل الأعمال «العميل الإسرائيلي» .

في بداية يناير عام ١٩٦٥ ، عقد المهندس (ستيف) أول لقاء مع ضابط من الموساد ، بغرض التعارف ، وقال المهندس أنه بعد تحديد موعد اللقاء تلقى تعليمات من القاهرة بأن يحاول الانسحاب أو التهرب ، وأن الجنرال عصام الدين خليل أكد له أن محدثه سيكون ضابط مخابرات .

وأكمل قائلاً :

« سيحاول تجنيدك لصالح إسرائيل .. ولذا ينبغي عليك أن تكون حذرًا وأن تنتهز أي فرصة لكي « تحلبه » ، بدلاً من أن يحلبك هو » ، وتناول هذا اللقاء الضغوط التي تمارسها إسرائيل على دول الغرب ، حتى تمنع تدفق القروض إلى مصر .

وفي شهر فبراير ١٩٦٥ ، تم عقد لقاء آخر مع الضابط الإسرائيلي ، بين اللقاءين توجه المهندس (ستيف) مرة أخرى إلى مصر ، وقال للإسرائيليين : إن لقاءاته تتم بعلم الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر ، كما عرض عليهم أن تتدخل إسرائيل لدى كندا ، حتى توافق على إمداد مصر بالقمح ، في مقابل شراء ١٠٠ ألف بالة من القطن المصري ..

وتقول الصحيفة : إن عائد ذلك كان سيبلغ حوالي ٢٥ مليون دولار ولم توافق عليها إسرائيل ، لأن هذا العائد سيتم توجيهه إلى تطوير الأسلحة المصرية التي يشرف على مشروعاتها الجنرال عصام خليل .

ومرة أخرى اتصل ستيف بالإسرائيليين ، وطلب منهم أن يساعدوه في الحصول على قرض شخصي قيمته ١,٥ مليون دولار لتنمية الأراضي التي يملكها في كندا ، كما طلب أن تحصل إسرائيل على قرض قدره ١٥ مليون دولار لمشروعات ومصانع الجنرال عصام الدين خليل .. وبعد تقدير للموقف ، وافق الموساد على الطلبين ، لكنه وضع شرطًا مهمًا وهو ألا تذهب هذه الأموال لأغراض عسكرية ، وأن يحصل الجهاز على ضمانات جدية لاسترداد هذه المبالغ .

كان هناك سؤال يزعج الموساد .. وهو : هل لإسرائيل مصلحة فى أن تجرى اتصالات مع مصر بواسطة المهندس ستيف .. فعلاقاته قوية جدًا بالجنرال عصام الدين خليل ، كما أن أحدًا لا يعرف أين ينتهى الجزء الرسمى من المهمة ويبدأ الجزء الخاص ، وربما يخدع المهندس والجنرال المصرى جهاز الموساد ، ويخصصان الأموال التى يحصلان عليها لتطوير برامج تحديث السلاح المصرى التى يشرف عليها عصام الدين خليل ، وتقرر فى النهاية استمرار الاتصال بستيف على شرط اعتباره مجرد وسيلة للاتصال بشخصية مصرية كبيرة .

وبدأت مطالب إسرائيل :

- إطلاق سراح الجواسيس المتهمين فى قضية لافون .
- إطلاق سراح زئيف جور إريا ، ضابط الموساد الكبير الذى دخل مصر على أنه ألمانى يدعى وولفجانج لوتز ، واعتقلته السلطات المصرية .
- بحث عبور السفن الإسرائيلية لمضيق تيران ..
- وسحب المعارضة المصرية لمشروع اقتسام مياه نهر الأردن ، والذى طرحه المبعوث الأمريكى جونسون .

ولعرض هذه المطالب قرر رئيس الموساد ، مائر عاميت ، أن يطلب من القاهرة ، ضرورة التفاوض مع ممثل مصرى له صلاحيات ، وليس مع وسيط ، لكن مصر رفضت هذا الاقتراح .

وبعد جمود استمر عدة أشهر ، عقد المهندس ستيف لقاء مع ضابط إسرائيلى فى ٢١ من سبتمبر ١٩٦٥ ، وروى ستيف أن الجنرال عصام الدين خليل يخشى الحضور إلى أوروبا ، لأنه واثق بأن العالم كله « وبخاصة إسرائيل » يبحث عنه ، رغم تطمينات الموساد بأن أحدًا لن يقدم على المساس به .

لكن المهندس ستيف أكد أن الجنرال عصام الدين خليل سيظهر نهاية الأمر فى أوربا بشكل مفاجئ ، ونصح الضابط الإسرائيلى بأن تعطى له إسرائيل شيئًا دون مقابل ، مثل قرض ببضعة ملايين من الدولارات ، أو علاقة مع هيئة تمويلية ، حتى يمكن للجنرال المصرى دعم موقفه من الرئيس ناصر .

لكن ضابط الموساد رد عليه بالقول : « إن إسرائيل لن تعد بشئ حتى يقعد ضباط الموساد مع عصام الدين خليل نفسه » .

عندئذ : وصل عصام الدين خليل فجأة إلى أوربا ، وأبدى استعداده للاجتماع بضابط إسرائيلى ، لكنه طلب تدبير ٣٠ مليون دولار كقرض تطلبه مصر قبل أن يتم اللقاء . وقال إن مثل هذا الاجتماع يحتاج إلى إعداد دقيق وضوء أخضر ، ويمكن أن يعقد بعد هذا التاريخ بعدة أسابيع .

رجال الموساد فى أوربا قرروا أن يقوموا بعمل مفاجئ ، وببساطة اتصل أحدهم بحجرة الجنرال المصرى فى الفندق ، وعرف نفسه بأنه صديق ستيف ، وأنه يريد التحدث مع خليل بخصوص القرض الذى تريده مصر .

أدرك الجنرال خليل شخصية المتحدث ، وقال إن مصر تريد القرض خلال أسبوعين ، فوعده رجل الموساد بأن تل أبيب ستسعى للمساعدة ، لكن هناك حاجة للقاء حتى يستوضح من المسئول المصرى بعض التفاصيل .

فى النهاية وافق الجنرال عصام الدين خليل ، على إجراء مقابلة غير رسمية فى لوبى الفندق الذى كان يقيم فيه بباريس ..

جلس الاثنان وأحاط بهما أربعة من جهاز الأمن المصرى فى دائرة محكمة .. وكان هذا أول لقاء ، وسأل الضابط الإسرائيلى سؤالين : هل يعلم ناصر بهذه الاتصالات ..؟.. وماذا ينبغى على تل أبيب أن تفعله حتى تتغلب على جو عدم الثقة ؟ .

قال الجنرال خليل : إنه لا يمكن أن يؤكد أو ينفى علم ناصر والمشير عامر بهذه الاتصالات ، أما ما ينبغى على تل أبيب أن تفعله ، فهو أن تعمل على استئناف المساعدات الأمريكية لمصر ، وتساعد على حصولها على قرض قيمته ٣٠ مليون دولار .

وطلب الجنرال عصام الدين خليل أن يحصل من إسرائيل على رسالة خطية ، كما اتفق الضابطان على الاجتماع مرة أخرى بعد بضعة أيام فى عاصمة أخرى بأوربا لتسليم الرسالة المطلوبة .

أعدت إسرائيل الخطاب فعلاً بعد موافقة رئيس وزرائها ليفى أشكول ، لكن خليل لم يحضر الاجتماع الذى كان مقررًا ، واجتمع مع رجال الموساد فى مكان آخر بعد عشرة أيام من التاريخ المحدد .

بعد فترة ظهر المهندس ستيف فى الصورة مرة أخرى ، وقدم خطابًا تلقاه من الجنرال خليل يعينه فيه ممثلاً لشركته ، ويفوضه بتوقيع عقود بدلاً منه .

فى هذه المرحلة أوصى رجال الموساد فى أوربا ، بأن يدخل رئيس الموساد يشحمه ولحمه الصورة .. ووصلت برقيتهم إلى إسرائيل الساعة الواحدة والنصف صباح الأول من فبراير عام ١٩٦٦ ، وبعد بضع ساعات أقلت مائير عاميت طائرة خاصة إلى أوربا ، وبعد الظهر كان يجلس أمام الجنرال محمود خليل فى فيلا يملكها المهندس ستيف .

وتقول الصحيفة الإسرائيلية ، إن خليل عندما سمع أن شريكه فى المحادثات هو الجنرال عاميت ، اجتاحته شكوك ومخاوف من احتمال أن يحدث استفزاز له ، أو أن يتعرض لعملية اختطاف ، لذا كانت هناك حاجة إلى تدابير أمنية منها تقديم موعد الاجتماع بشكل مفاجئ لمدة ساعتين .

ويروى أحد من حضروا هذا اللقاء ، أن خليل كان يبدو خلال الاجتماع فى كامل وجاهته مفعمًا بالنوايا الحسنة .. ظل (لعدم علمه بما ينبغى أن يفعله) يمطر الحاضرين بالابتسامات والنكات والربت على الأكتاف .

قال عاميت إنه ينبغى إزالة الشكوك المتبادلة قبل الخوض فى أية مواضيع ، وأن ما سيتم التوصل إليه سينفذ نصًا وروحًا .

وعلق خليل قائلاً : إذا ما علم أمر هذه الاتصالات فسوف يكون ذلك كارثة حقيقية .

وعرض رئيس الموساد مقترحات إسرائيل .. ومنها أنها مستعدة لمنح مصر قرضًا قيمته ٣٠ مليون دولار عن طريق بنك أوربى بضمان مجلس القطن المصرى .. ومستعدة لوقف الــ « سبوتاج » الذى تقوم به ضد مصر فى الولايات المتحدة ودول أخرى .

فى مقابل ذلك تطالب مصر بإعادة النظر فى مشروع جونسون ، وإقامة خط ساخن للاتصالات ، وخفض الدعاية المضادة لإسرائيل .

نظرات الذل

استغرق الاجتماع ثلاث ساعات ، عاد بعده خليل إلى مصر ، وأرسل ردودًا إيجابية عن طريق المهندس ستيف ، بعد أن أجرى مناقشات طويلة مع المشير عبد الحكيم ، عامر الذى نقل موجز هذه المناقشات إلى الرئيس ناصر (كما تزعم الصحيفة) .

وأعلن المصريون استعدادهم للإفراج عن جواسيس فضيحة لافون ، كما ردوا إيجابيًا على نقاط أخرى ، لكن أهم ما فى الموضوع ، هو وجوب أن يعقد اللقاء الختامى ما بين مائير عاميت رئيس الموساد ، والجنرال عصام الدين خليل ، فى القاهرة بدلاً من أثينا . وكانت الحجة أن عبد الحكيم عامر يخشى على حياة عصام خليل ، ومن هنا نبت اقتراح أن يأتى عاميت ومرافقوه إلى القاهرة بجوازات سفر مزورة ، وأن ينـــزلوا فى فيلا خاصة كى يلتقوا فيها بخليل والمهندس ستيف !! .

بدأت المناقشات بين قادة إسرائيل حول هذا الموضوع حتى قبل عودة عاميت إلى تل أبيب . أولى هذه المناقشات تمت يوم ٣ من فبراير بعد اجتماع رئيس الموساد مع الجنرال المصرى بيومين ، اشترك فى المناقشة ليفى أشكول رئيس الوزراء ، سابير وزير الخزانة ، جولدا مائير (سكرتيرة الماباى فى ذلك الوقت) ، تسفى دينيشتاين نائب وزير الدفاع .. أجمع الكل على أن الأمر « أجمل » من أن يكون حقيقًا ، لكن هذا الاجتماع لم يصل لشىء فرئيس الموساد الذى عاش الأحداث لم يكن موجودًا ! .

وفى الثامن من فبراير هبط عاميت من طائرته فى تل أبيب واتجه مباشرة إلى مكتب رئيس الوزراء .. وأعد أثناء وجوده فى الطائرة ورقة موقف ، كما اقترح تشكيل الوفد الذى يتجه إلى القاهرة بعد أسبوع « ١٥ فبراير » من رئيس الموساد ، ورجل الاتصال العميل للموساد ودينشتاين نائب وزير الدفاع .

عندما وصل عاميت إلى مكتب أشكول وجد هناك إيسير هاريل ، المستشار الخاص للمخابرات والأمن وسلفه فى رئاسة الموساد ، وعاد يافيه المستشار السياسى ، ودينشتاين نائب وزير الدفاع ، ثم انضم إلى النقاش بعدها الوزراء : بنحاس سابير ، ويسرائيل جاليلى ، وزالمان آران ، إضافة إلى آرييه لفافى مدير عام وزارة الخارجية .

وجد رئيس الموساد جوًا معاديًا ومتحفظًا من المشاركين فى الاجتماع .. قاد المعارضة إيسير هاريل الذى قال إن لمحمود خليل حسابًا دمويًا مع إسرائيل (بسبب إضرارها واعتدائها على العلماء الألمان) وأن الضمانات ليست كافية ، ومن يدرى إذا لم يكن خليل قد جاء إلى ناصر قائلاً له : سأتى لك برئيس الاستخبارات الإسرائيلية ، وأن الستار سوف يكون الحديث فى قرض .

وبما أنه ليست هناك ضمانات كافية تكفل أمن وسلامة الوفد الإسرائيلى ، فإنه لا ينبغى السفر مطلقًا إلى القاهرة ، وبخاصة أن الذين سيسافرون يحتفظون بأدق وأهم أسرار الدولة . إنه سيلتقى شخصية غامضة للغاية ومشكوكًا فيها ، علاوة على أنه نصاب دولى (يقصد ستيف) .

وكان اعتراض إيسير هاريل على السفر إلى القاهرة ، ينبع بصفة خاصة من احتمال أن تكون هناك مصيدة ، وتساءل سابير عن سبب عدم الالتقاء فى دولة أخرى .. وقال زالمان آران : « لو كان هذا الأمر جادًا لما اقترح المصريون عقد هذا الاجتماع بالقاهرة ، إلى هذا الحد تحب مصر إسرائيل ، وتريد حضور وفد لها للقاهرة .. ؟ وإن كان ولابد هل يسافر إلى القاهرة أناس من نوع مائير عاميت أو تسفى .. ؟ إن العالم لم ينجب بعد الشخص الذى لا يمكنه أن يعترف بكل شيء إذا تعرض لعمليات ضغط وتعذيب . (!!) ومن هذا الشريك فى المحادثات ..؟ إنه ذلك الذى عبأ أشخاصًا داخل صناديق ليرسلهم إلى مصر[1] فعلى أى أساس نصدقهم ؟؟ .

وكان الوحيد الذى أبدى حماسًا للفكرة ، هو الوزير جاليلى ، إلا أنه كان يخشى هو الآخر فكرة السفر حيث قال : « إنها قصة خيالية ومن المستحيل ألا نندهش ، إن فكرتهم فى حد ذاتها لدليل تقدير لقوتنا ، إننى أقدر جدًا السفر إلى القاهرة ولكن من المستحيل السفر إلى هناك بدون اتخاذ تدابير أمنية ودون أدلة تثير الثقة ، من ذلك على سبيل المثال الإفراج عن السجناء قبل الزيارة » .

وحاول عاميت إقناع المشتركين بأنه أطلع على نوايا المصريين من خلال اتصالاته مع خليل . فقد قال لهم : إنه لا يعتقد أن المسألة مجرد لعبة .

---

(١) يقصد الجاسوس مردخاى لوك الذى حاول المصريون تهريبه من روما إلى القاهر داخل صندوق .

وقال رئيس الموساد : « إنه من الممكن قتل هذا الموضوع وهو فى بدايته ولن يحدث شيئ ، ولكن أرى أن علينا أن نتخلص من الخوف من حدوث مخاطرة ، وأن نزيح جانبًا موضوع النقود وأن نمسك الثور من قرنيه » .

وعقب جاليلى على قوله ساخرًا : « لكن القضية تكمن فيما إذا كان هذا ثورًا أم تيسًا ؟ فأجابه عاميت : « أعتقد أنه ثور » .

وقال رئيس الحكومة ، أنه شخصيًا لا يخطر بباله ، أن ثمة خطر على حياة الأشخاص الذين سيسافرون ، لكنه خلص إلى استنتاج على ضوء ما قاله المشتركون ، وما أعربوا عنه من إحساس مؤداه أنه ينبغى أن يعقد لقاء آخر خارج مصر .

واستمرت المناقشات إلى اليوم التالى بتشكيل مختلف بعض الشيء ، وهناك ورد تبرير آخر خيالى يكشف إلى أى حد وصل إليه المعترضون من تفكير وهو : « ماذا سيحدث إذا ما أفرج المصريون عن أناس آخرين غير السجناء اليهود ؟ » .

وأخيرًا تمت بلورة الرد والاقتراح التالى الذى سيعرض على مصر وهو : إن إسرائيل سوف تودع ٣٠ مليون دولار فى حساب خاص فى سويسرا كدليل على نواياها الإيجابية ، وأن يبلغ ستيف ، بأنه قد تقرر عدم الحضور إلى مصر ، وإن إسرائيل تقترح عقد لقاء آخر بدلاً منه فى أوروبا ، وأن إسرائيل تطلب مجيء الجنرال خليل فى ١٥ من فبراير لعقد اجتماع معهم فى أوربا ، على أن يبلغ بأننا مستعدون للمجيء مستقبلاً إلى مصر ، إلا أن هناك مشكلة الضمانات، وتقترح إسرائيل أن تقدم الضمانات بواسطة الرئيس الفرنسى ديجول ، وأن يبلغه ناصر بأن وفدًا إسرائيليًا سوف يصل إلى القاهرة ، لإجراء مباحثات حول موضوع العبور فى قناة السويس ، وأن يكون ناصر ، شخصيًا ، مسئولاً عن سلامة الوفد ، وعندما تتلقى إسرائيل تأكيدًا من ديجول على أن مثل هذه الرسالة قد وصلته من ناصر ، يمكن للوفد الإسرائيلى أن يذهب إلى القاهرة .

وتوجه عاميت بالرد الإسرائيلى إلى أوربا ، ونقل هذا الرد إلى ستيف ، وطلب إليه أيضًا نقل رسالة إلى الجنرال خليل بأن الجنرال عاميت يريد مقابلته مرة أخرى فى أوربا .

أعرب ستيف عن خيبة أمل كبيرة إزاء القرار الإسرائيلى بعدم السفر إلى القاهرة ، وقال إن هذا القرار يعد تراجعًا كبيرًا من جانب إسرائيل .

ومن هنا أخذت القضية تموت شيئًا فشيئًا ، ولم يفد فى إنقاذها من الموت حتى الرسالة الخطية التى سلمها عاميت لستيف ، والتى تتضمن بالإضافة إلى بنود الاقتراح الإسرائيلى بشأن القرض ، إطلاق سراح السجناء اليهود وغيرها ، والتى ذهب ستيف شخصيًا إلى القاهرة ليسلمها للجنرال خليل ، وعاد ستيف من هناك مكتئبًا قائلاً أن الرسالة أغضبت جدًا خليل الذى قال له ، إن إسرائيل قد جعلته موضع سخرية القائمين ، الذين ظلوا يقولون له طول الوقت أن الأمر لا يعدو أن يكون سوى خدعة إسرائيلية قذرة .

وأضاف ستيف أن المصريين أصبحوا الآن يتشككون بأنه يتعاون مع الإسرائيليين ، بل إن الجنرال خليل قال إنه غير مصدق أن الرسالة التى نقلها ستيف إليه كتبها عاميت بخط يده .

ولأن اصطياد الذئاب الكبيرة تم إفشال خطته فى آخر لحظة ، لم يكن أى شىء آخر مهمًا لدى مصر ، لذلك تم وقف كل شىء وألغيت دعوات زيارة القاهرة .

وخلال الأشهر التالية ، حاول عاميت أكثر من مرة أن يجرب قناة ستيف مرة أخرى ، ولكن دون جدوى .

وآخر مرة حاول فيها رئيس الموساد ذلك كان يوم ١٩ من مايو ١٩٦٧ قبيل حرب يونيو .. فقد بعث برسالة عاجلة إلى خليل ، وطلب منه أن ينقل لعبد الناصر رسالة تهدف إلى إزالة التوتر ومنع نشوب حرب ، لكن كل ذلك لم تكن له جدوى ؛ فقد أفلتت الرؤوس من المشانق ، وبعد ثلاثة أيام من الرسالة أعلن ناصر إغلاق مضايق تيران ، ثم بدأت حرب يونيو ١٩٦٧ بعد هذا الإعلان بأسبوعين .

إن هذا الضابط المصرى ربما كان مفتونًا بناصر ، ومن ثم فإنه أراد أن يغرر بكبار الدببة الإسرائيليين حتى يقدمهم حليقى الرؤوس ، مكتوفى الأيدى ، منكسرى الأنفس ، كهدية متواضعة ، يكفى ناصر أن يحس بزهو أجهزته وهو يرى نظرات الذل تطفر من عيونهم .

« انتهى ما جاء بالصحيفة الإسرائيلية » .

الفصل السادس

□□ كان الأمر أكبر كثيرًا من حدود تفكيره .. وطموحاته .. لكنه استعذب اللعبة .. وما كان يعلم أن إسرائيل كلها .. حكومة ومخابرات .. تنتظر وتترقب .. وساقته سذاجته إلى نهاية مأساوية لم يكن يتوقعها .. ولم تنته بها أبدًا حياة أى طيار عربى آخر .. من قبل .. أو بعد ..!! □□



حارسات الهيكل

الإخفاقات المتتالية لعملية تجنيد طيار عربي ، أذهبت بروعة الحلم الذى راود الإسرائيليون والأمريكان كثيرًا ، وجعلت منه صورة باهتة المعنى مهتزة الملامح . بالرغم من ورود معلومات جديدة من بغداد ، تفيد بأن العراقيين لم يكتشفوا بعد سر اغتيال الطيار شاكر ، ولم تراودهم شكوك مؤكدة حول مقتل ضاحى فى تكساس ، بدليل أن طيارى الميج ٢١ الذين كانوا بأمريكا ، لم يحرموا من قيادة طائراهم ، أو يستبعدوا كاحتياطات أمنية إلى قواعد أخرى بعيدة .

وفى غمرة صراعات مائير عاميت مع نفسه وافتقاده لصديقه العزيز جون ميكون[1] ، وتصاعد حدة الخلافات مع إيسير هاريل ، وصلت برقية مشفرة من أوروبا ، تفيد بوجود طيار عراقى ، يقضى أجازة ترفيهية بمفرده فى فرانكفورت . فلم يجتاحه ذلك الإحساس الذى غمره من قبل ، عندما أخبره جون ميكون بأمر الدورة التدريبية للطيارين العراقيين . وكل ما فعله عاميت ، أنه كتب لمفرزة الموساد فى أوروبا لعمل اللازم ، وعدم إثارة مشكلات مع السلطات الأمنية فى ألمانيا . ففضيحة اشتراك الموساد فى قتل بن بركة ، كانت ما تزال أصداؤها تتردد ، وساءت بسببها العلاقات الفرنسية الإسرائيلية ، بشكل حاد .

إلا أن ياكوف كاروز اعترض بشدة ، وقال لعاميت إن ذلك يعرض رجالهم فى أوروبا للخطر ، إذا ما فشلوا فى إنجاز المهمة ، أو تخوَّف الطيار العراقى وأبلغ الشرطة .

وفى اجتماع مصغر ، اتفقت الآراء مجتمعة ، على أن يغادر إسرائيل فريق عمل ، يضم أمهر رجال الموساد ، يستطيعون من هناك وضع خطة لتصيد الطيار السائح وإغراؤه بالمال ، بناء على الظروف المتاحة ، على أن يراعى تلاشى أية أخطاء ، قد تنجم عنها أزمات هم فى غنى عنها .

---

(١) كان ميكون قد ترك منصبه وتولى بعده وليام رابون لمدة أربعة شهور فقط ، وكان رابون يعمل قبل رئاسته للمخابرات بريجاديرًا فى البحرية الأمريكية بقسم التجسس . لكنه استقال من رئاسة الـ C.I.A سريعًا لعجزه عن إدارتها .

وغادرت تل أبيب فرقة العمليات الخاصة ، لإنجاز المهمة السرية الدقيقة ، ولأنها رغبة عليا ، أحيط أعضاء الفريق علمًا بأن نجاح العملية ، سيحقق أقصى درجات الأمن والحماية لإسرائيل ، وأنهم يأملون فى ذلك مهما تكلفوا من أموال ، وتولى كاروز مسئولية عمل الفريق ومتابعته فى تل أبيب .

أفادت التقارير التى وردت من فرانكفورت ، أن الطيار العراقى يستمتع بأجازته إلى حد الهوس ، ويقضى غالبية وقته ما بين البارات ، وبين الشوارع المشهورة ببيوت الدعارة ، كما لوحظ إهماله للمحاذير المتعارفة لحماية أمنه الشخصى ، ففى حالات سُكْره لا يتورع عن المباهاة بوضعه كطيار حربى ، وسرد أسرارعسكرية هامة تمس سلاح الطيران العراقى ، وقادته، مما أثار انتباه رجال السافاك فى ألمانيا ، الذين بدأوا يحومون حوله .

ملحوظة أخرى هامة تضمنها التقرير ، تشير إلى ولع الطيار العراقى بالنساء ، وسلوكه الغريب نحوهن ، إذ لا يصادق فتاة يومًا بأكمله ، لأنه يهوى التنوع ، ويفضل الفتيات النحيلات ذوات الصدور النافرة .

معلومة كهذه لا يمكن لرجل استخبارات ملاحظتها ، إلا إذا كان واسع الخبرة فائق الذكاء . فرجل عادى لو أتيح له أن يكتب تقريرًا كهذا ، لأوضح أن فلانًا متعدد العلاقات ، أو دائم البحث عن فتيات جديدات ، أو لا يفضل الاحتفاظ بعلاقات نسائية طويلة .

وفى عالم المخابرات والجاسوسية ، يهتم الخبراء بأبسط التفاصيل وأقلها ، ففيها مفاتيح تحليل الشخصية ، وإجابة عن السؤال الهام : كيف سيتم التعامل مع شخص كهذا ..؟ وما هى رخصة اقتحام ذاته من الأغوار ..؟ لقد كان الطيار العراقى إذن من مدمنى الخمر والنساء ، وهذا النوع من الرجال يسهل احتوائه ، والسيطرة عليه ، بواسطة فتاة رائعة الأنوثة والإثارة ، تفوق جملة ما عرفهن من قبل .

إن تاريخ اليهود القديم ملئ بقصص الجاسوسية التى حفلت بالجنس ، ودور المرأة فى العمليات السرية التى خدمت أهدافهم ومصالحهم ، ومنذ قامت الموساد عام ١٩٣٧ اعتمدت عمل المرأة بجسدها ، وأقامت لذلك مدرسة خاصة لتدريب فتياها على فنون التجسس والسيطرة بالجنس ، وأساليب تفكيك الإرادة لدى المطلوب تجنيدهم ، وبرعت فى ذلك نساء عديدات ، كن العامل الأساسى لإنجاح عمليات الموساد فى تصيد الجواسيس ، وصنفن على أنهن دُرر « فدائيات نجمة داود » ، و « حارسات الهيكل »[1] .

---

(١) ألقاب أطلقت على نساء الموساد كنوع من التكريم ، لإضفاء الصبغة الدينية على سلوكهن الفاحش .

وكان إيسير هاريل أول رئيس للموساد ، يتوسع فى استخدام النساء المدربات ، للقيام بمهام تجنيد الخونة ، معتمدًا على نسوة جميلات ماهرات ، آمنَّ بأهمية العمل «المقدس» فى سبيل إسرائيل .

ومن بعده جاء عاميت ، الذى قال فى ذلك :

(نحن نستخدم النساء ، ذوات الصفات الخاصة جدًا ، فى المهام التى تستدعى ذلك ، فالمرأة ذات فوائد عظيمة فى عمل المخابرات ، فهى لا تثير الشكوك حولها ، ويوحى تواجدها مع زميل بأنهما زوجان أو عاشقان ، فلا يجذبان انتباهًا فى عمليات المراقبة .

ويضيف : وتقوم الموساد باستخدام المرأة فى نصب المصائد الجنسية ، ولمرة واحدة فقط ، أحيانًا ، حيث توظف الموساد الجنس كأهم الأسلحة فى عملياتها السرية ، وإنه لتصرف شائع ، أن يتم استخلاص المعلومات من الجواسيس والمخبرين العرب ، الذين تديرهم الموساد أو أمان ، بأخذهم إلى مكان هادئ ، فيكافأون على عملهم بتوفير الفتيات لهم ، ويتم تصوير ممارساتهم لاستخدام الصور للضغط الابتزازى ، لضمان ولائهم لإسرائيل) . !!! .

ولا عجب أن تصل شهرة بعض نساء الموساد إلى الآفاق ، لإجادتهن فنون السيطرة ، ونزف أجسادهن تضحية وحبًا فى أرض الميعاد . ومن أشهر هؤلاء النسوة المدربات المحترفات ، يولاند هارمور[1] التى ولدت فى مصر ، وسيلفيا رافائيل التى اشتركت فى تعقب الفدائى الفلسطينى على حسن سلامة ، وكانت من بين المعتقلين من رجال الموساد فى النرويج ، إثر فضيحة ليليهامر[2] فى يوليو ١٩٧٣ .

---

(١) يولاندهارمور :ولدت فى القاهرة ليهودى مصرى ويهودية تركية وكانت طاغية الجمال ، تزوجت فى السابعة عشرة لأول مرة ، ثم مات زوجها وتزوجت بعده ، وأصبحت أرملة عندما قتل زوجها الثالث. وقد جندها الوكالة اليهودية فى القاهرة عام ١٩٤٧ ، وتغلغلت داخل الأوساط السياسية إلى أعلى المستويات ، حيث تعرفت بتقى الدين الصلح صديق ومساعد عزام باشا أمين عام الجامعة العربية ، ورئيس وزراء لبنان بعد ذلك ، واخترقت السفارة الأمريكية بالقاهرة ، وحصلت على البرقيات السرية التى أرسلها جيفرسون باترسون ، القائم بالأعمال آنذاك ، حول أعداد المقاتلين العرب فى حرب ١٩٤٨ ، وشك بها عزام باشا واعتقلت فى يوليو ١٩٤٨ ثم طردت وماتت بالسرطان بمدريد فى ١٩٥٩ .

(٢) عام ١٩٧٣ ألقى القبض على عدد من عملاء الموساد فى ليليهامر بالنرويج ، بتهمة قتل الجرسون المغربى « محمد بوشيقى » وكانت بينهم سيلفيا رافائيل ، واكتشفت السلطات أن فريق الموساد كان يقتفى أثر على حسن سلامة ، رئيس قسم العمليات فى منظمة أيلول الأسود وأحد مخططى مذبحة ميونيخ ، وكان القتل الخطأ نتيجة التشابه الشديد . وقتها وقيل الكثير عن سيلفيا المحترفة التى عملت لفترة بين الفلسطينيين بالأردن عام ١٩٧٠، وبالمخيمات الفلسطينية أيضًا على أنها صحفية إيرانية ، وتردد أنها قتلت بواسطة عملية جريئة للفلسطينيين بقبرص ، وبقيت جثتها لساعات فوق ظهر أحد اليخوت المختطفة .

أما شولا كوهين[1] ، فكانت أسطورة الجنس بحق ، إذ تمكنت بفضل جسدها المثير من تأسيس شبكة جاسوسية خطيرة فى لبنان ، وتستحق بلا مبالغة لقب « ماتاهارى »[2] إسرائيل ، إلى جانب هؤلاء كانت هناك أيضًا سارة أرونسون وليلى كاستيل ومئات الأسماء التى تزدحم بها ملفات جهاز المخابرات الإسرائيلى ، لنساء يهوديات عملن بإخلاص لنصرة الصهيونية ، وانتصرن فى حروبهن على أَسِرَّة الخونة .

ترى من منهن أرسلت إلى فرانكفورت ، لإذابة الطيار العراقى محمد رغلوب ..؟

صائد الغزلان

غادر صالة مطار فرانكفورت ، وخرج من الباب الدوار المطل على الساحة ، لتلفحه نتف الجليد المتساقطة ، وبرودة الطقس التى سجلت ثلاث درجات تحت الصفر . وبإشارة سريعة توقف التاكسى ، فترك السائق يعبئ حقائبه ودلف إلى السيارة تصطك أسنانه ، برغم البالطو الثقيل المبطن بالفرو ، الذى يرتديه فوق ملابسه .

كان الطيار العراقي قد بذل محاولات مضنية ، ليحظى كالعادة بأجازة يقضيها فى فرانكفورت بمناسبة الكريسماس ، لكن المسألة لم تكن سهلة أبدًا ، ولأول مرة منذ سنوات ، يحرم من بهجة الاحتفالات فى المدينة العريقة الرائعة ، ويحصل بما يشبه المعجزة على أجازة ، تبدأ فى ١٢ يناير ١٩٦٦ ، فيغادر بغداد حانقًا وقد عقد العزم على استغلال كل لحظة فى التمتع ، تعويضًا لحرمانه من مغادرة العراق طوال عام كامل .

لقد عشق تلك المدينة الساحرة ، عروس نهر الراين ، منذ رآها لأول مرة أثناء عمله كطيار مدنى ، بشركة الخطوط الجوية العراقية ، وتردد عليها كثيرًا وكأنما ربطته بها علاقة حب آثرة ، تذكى بداخله عاطفة اللهفة كلما غاب عنها .

(١) شولا أرزاى كوهين جاسوسة يهودية محترفة ، عملت فى لبنان قرابة تسع سنوات (١٩٥٢ – ١٩٦١) وتمكنت من تجنيد الكثير من الخونة اللبنانيين ، وشك بها السوريون الذين كانوا وراء اعتقالها فى أغسطس ١٩٦١ ، وحكم عليها بالسجن عشرون عامًا ، و ١٥ عامًا لزميلتها راشيل رافول ، وعشرون شهرًا فقط لآل العبد الله الثلاثة الذين كانوا من أقرب عملائها .

(٢) ماتا هارى اسم واحدة من أشهر جاسوسات القرن الماضى ، وستظل تحمل لقب ملكة الجاسوسية لفترة طويلة قادمة . كانت تعمل جاسوسة لصالح الألمان إبان الحرب العالمية الأولى ، واستغلت جسدها –كراقصة– فى الحصول على خفايا بالغة السرية، واعتقلها الفرنسيون وأعدموها عام ١٩١٧ بالرصاص.

لذا .. فقد حفظ الشوارع والمتاجر والحدائق ، ورسم بعقله أزقتها ومقاهيها ، ونوادى الليل والدعارة التى تجتذب روادها من سائر القارات ، للاستمتاع بالرقص ، وبفتياتها الجميلات الساحرات اللائى جئن من أوروبا وروسيا ، يعرضن فنون الإثارة والجاذبية .

هكذا جمعت المدينة الكبيرة كل ثقافات العالم ، تتلخص فى زوار متباينو الميول والأيديولوجيات ، فكان ذلك مدعاة لانتشار عملاء أجهزة الاستخبارات المختلفة ، شرقًا وغربًا ، يتربصون بأولئك الذين تصنعوا الوقار فى بلادهم ، وجاءوا إلى فرانكفورت بثياب المجون . ومع هذا الازدواج فى الشخصية تطفو نقاط الضعف ، فيستغلها صائدو الجواسيس بمهارة ، ويجرجرون ضحاياهم من حيث لم يدروا ، إلى مستنقع الخيانة ، وعالم الأسرار والغموض والعجائب .

كانت الساعة تقترب من الخامسة صباحًا ، عندما توقف التاكسى أمام فندق بريمرهافن ، وترجل محمد رغلوب فى دعة ، ومن خلف زجاج نافذته بالطابق التاسع ألقى نظرة على المدينة الساهرة ، حيث كانت الأضواء تتلألأ على ضفتى الراين ، والجليد يغطى الأشجار والأسطح والشوارع ، لكن مواخير الفسق لا تعرف الجليد ، فحرارة الأجساد والرغبات حارقة .. لاسعة .. مؤججة .

ارتمى رغلوب يسعى لنيل قسط من الراحة ، حتى يتهيأ للاستمتاع بأجازته ، ينغص عليه بهجته ضآلة المبلغ الذى تمكن من تحويله بواسطة البنك ، نتيجة القرارات الاقتصادية التى أقرت أخيرًا فى العراق ، وقيدت إلى حد كبير استبدال العملة خارج البنوك ، ففتحت مجالاً أوسع للسوق السوداء ، الذى لم يتمكن رغلوب من اللجوء إليه لضيق الوقت . ونام مرهقًا ينتظر اليوم الجديد ، مستعرضًا فى خياله لياليه الأسطورية فى ألمانيا الغربية ، وفتيات عرفهن من كل لون ، مائسات ، حمر الخدود ، براكين صهدهن فى الشفاه ، إذا تأودن رقص النعيم منجرفًا ، وضج لرنات همسهن الجمود .

كان يمنى نفسه بمغامرات جديدة ، ووجوه لم يألفها من قبل ، فلذة الاستمتاع عنده تتعاظم إذا ما تصيد وجهًا جديدًا ، وما أكثر ما كان يبحث عنه وأسهله . فبعد أيام قلائل فى فرانكفورت ، غرق الطيار العراقى لآخره فى بحور الخمر والنساء ، إلى أن أوقعه حظه فى شرك شاب إيرانى ، سرق معظم ما معه ولم يترك له سوى بضع ماركات ، فأبرق إلى أسرته لإنقاذه بتحويل بنكى من العراق .

ولد محمد رغلوب فى بغداد عام ١٩٣٠ ، وعاش بحى المنصور - أرقى أحياء المدينة - حيث تتجمع السفارات والفيلات والقصور ، وتكثر البساتين والميادين والحدائق . إذ نشأ فى أسرة ثرية متنقلاً منذ صغره بين عواصم أوروبا فى رحلات عائلية ، بدلت الكثير من أفكاره ، لذلك شَبَّ محبًا للسفر ، مدركًا الفوارق بين تقاليد الشرق وانطلاقة الغرب وتحرره ، متمنيًا أن يعيش بقية حياته فى أوروبا .

وبعدما أنهى دراسته سنة بعد أخرى ، تخرج طيارًا مدنيًا فى أمريكا ، وبضغوط شديدة من أسرته ، ترك شركة بان أمريكان وعاد إلى بغداد ، ليلتحق بالخطوط الجوية العراقية ، يجوب مطارات العالم شرقًا وغربًا ، مستغلاً رحلاته فى البحث عن الملذات بين أحضان الحسان ، متذوقًا مغامرًا، يقذف بنفسه أمام كل فاتنة تصادفه ، يساعده شبابه الغض ووسامته ، وثراؤه .

وذات رحلة تجارية للشركة إلى بانكوك ، تجول بين أسواق المدينة ومواخيرها ، فلم ترق له فتيات آسيا النحيلات القصيرات ، وعرج إلى البار بالفندق فشرب حتى الثمالة ، وصعد إلى حجرته مترنحًا وقد عز عليه أن يبيت ليلته بلا مغامرة ، فهرب منه النوم ، وأرقته الرغبة ، ولم يجد حلاً سوى أن يطرق باب حجرة زميلته المضيفة الرومانية ، ليليانا ، التى تبينت سكره الشديد ، ونيته ، فحاولت صرفه بلطف ، لكنه وهو الفاقد العقل اندفع كالثور الهائج ، واغتصبها عنوة . بعدها طرد من الشركة مفصولاً ، تسيِّجه الخيبة والفضيحة ، ولو لم تنظر زوجته بعين الاعتبار لأولادهما الثلاثة ، لطلقت منه غير نادمة . لكنها آثرت البقاء بالبيت لرعايتهم ، حيث لن ينفعهم أب مستهتر ماجن ، تسبقه فضائحه إلى حيث يمشى .

وبمحاولات مستميتة للأسرة والأصدقاء ، حصل محمد رغلوب على وظيفة جديدة بقوات الطيران ، وارتدى البزَّة العسكرية ، يتبختر بها فى منتديات بغداد ، ويتصيد فرائسه من الفتيات المولعات بالضباط والطيارين ، ثم أُرسل فى دورات تدريبية إلى موسكو وبلجراد ، لتكون المحصلة فى النهاية اعتماده طيارًا حربيًا ، أختير بعد ذلك ضمن الطيارين الذين سيطيرون بالميج ٢١ .

وفى دورة تخصصية بموسكو عام ١٩٦٢ ، مارس هناك كالعادة هوايته ، وتعرف على ساناشا الأوكرانية الحسناء ، التى تعمل كسكرتيرة فى سفارة دولة الدومينيكان ، فغرر بها ، ولما حملت منه وتحرك الجنين ببطنها ، وعدها بالزواج إن هى تخلصت من الجنين ، متحججًا بأن أهله فى العراق سيرفضون ، ولن يتمكن من إقناعهم إلا بعدما يرجع إلى وطنه ، حيث يستطيع استدعائها من هناك . لكن الفتاة النحيلة الرقيقة لم تحتمل آلام الإجهاض ، وماتت على سريرها بالمستشفى .

عرف رؤساؤه بالأمر فأعادوه إلى العراق ، وضمَّنوا تقريرهم توصية بمنعه من السفر خارج بغداد فى دورات تدريبية ، لأنه « برغم كفاءته كطيار للميج ٢١ فهو لا يقيم للشرف وزنًا ، ودائم البحث عن نزواته » .

هذه التوصية حرمته من السفر إلى لندن ، وأيضًا حالت دون سفره إلى تكساس لدورة قيادة سرب ، مع زميله شاكر يوسف ، وكان معنى ذلك حرمانه لفترة طويلة من الترقى ، وهو الطيار الوحيد الأكبر سنًا فى مجموعة طيارى الميج ٢١ .

لذلك انتابته حالة إحباط تدهور نفسيًا بسببها ، وتقدم بطلبات للجهات الأمنية ، للسماح له بالسفر إلى ألمانيا الغربية « لظروف مرضية » ، ومع الإلحاح المستمر لعدة أشهر ، ودور الوساطات ، حصل أخيرًا على إذن بالسفر مدته خمسة أسابيع . فغادر إلى فرانكفورت يحلم برحلة رائعة ، تمسح عنه معاناته النفسية المرهقة ، بعيدًا عن مطار كركوك الحربى ، والمشاكل الأسرية التى ضاق بها .

فى ذلك الوقت كانت العلاقات العراقية الإيرانية تبدو طبيعية ، لكن الواقع كان بخلاف ذلك ، فأكراد كردستان المناوئين يسببون صداعًا مزمنًا لشاه إيران ، محمد رضا بهلوى ، ويمدهم العراقيون سرًا بالسلاح ، انتقامًا من الإمبراطور الذى فرض هيمنته على شط العرب ، وغل أيدآ العراقيين فى منطقة يعتبرونها قطعة من أراضيهم .

وبالرغم من علاقات التعاون الوثيقة بين الموساد والسافاك[1] ، إلا أن رغبة الإيرانيين فى استقطاب طيار عراقى ، بطائرته الميج ٢١ ، كانت أمنية غالية لمجاملة أمريكا ، التى تحمى

---

(١) السافاك – SAVAC – جهاز الاستخبارات الإيرانى ، قريب الشبه من SAVAGE أى التوحش والبربرية ، أنشئ عام ١٩٥٣ لمساندة حكم الشاه وتعضيده ، بعد ثورة مارس التى قادها الدكتور محمد مصدق رئيس مجلس الوزراء ، واعتصامه بمبنى البرلمان « بالبيجاما » هربًا من اغتياله . وحكم الشاه إيران بالحديد والنار ، حيث اتبع السافاك كل أساليب الوحشية مع الشعب الثائر من أجل تثبيت حكم الشاه بالقوة .. وطارد السافاك المعارضين بالخارج والداخل ، وتحت هذه المزاعم أباد عشرات الآلاف من الإيرانيين لقوا حتفهم فى سراديب السجون تحت وطأة التعذيب .. وكان رئيس السافاك الثالث والأخير، نعمت الله نصيرى ، يلقب بالمكروه الأول ، ووصف بالسادى المتوحش ، وكانت ميزانية الجهاز تتعدى المليار دولار ، وبلغ عدد موظفيه أكثر من مليونين موظف وعميل ، أما عدد المعتقلون خلال عام ١٩٧٥ فبلغ مائة ألف داخل السجون . وبعد ثورة الخومينى ظهرت حقائق بشعة عن السافاك ، واعتقل رئيسه (نصيرى) وحكم عليه بعد محاكمة سريعة ، بالإعدام رميًا بالرصاص ، ونفذ فيه الحكم فوق سطح المبنى الذى كان يشغله الإمام الخومينى فى مدينة « قم » .

عرش الشاه ، لإطلاعها على أسرارها ، ثم يعيدونها ثانية إلى العراق ، بعد إثارة أزمة دبلوماسية تستغرق فترة معقولة ، يكون الأمريكيون خلالها قد فحصوا الطائرة وتكشّفوا أجهزتها .

ويبدو أن رجال السافاك فى أوروبا ، تعمدوا سرقة نقود الطيار العراقى للإيقاع به ، وهو أسير حالته المادية المتردية ، لكن رجال الموساد كانوا هم الأسرع فى الانقضاض على رغلوب ، قبلما تتخذ السافاك خطوتها التالية .

مصيدة العسل

استعانت الموساد بواحدة من أجمل نسائها ، وهيأتها لاقتناص الصياد الماهر الباحث عن الجمال . ففى غمرة انزعاجه لضياع نقوده لم يشأ أن يغادر الفندق ، وبقى معكر المزاج ينتظر الإمداد القادم من بغداد .

وفى بار الفندق عاوده الحنين إلى المغامرة ، فالفتاة الجالسة قبالته بمفردها ذات وجه ساحر ، قلما صادف جماله فى أوروبا ، فالعينان ناعستان تسكران ، وبفمها انفراجة مجنونة تلهب الأعصاب ، وبجسدها الممشوق أنوثة فتاكة ، متوثبة ، تعلن عن نفسها فى صراحة . ودهش رغلوب عندما رآها توقع فاتورة الحساب ، وهتف « ياللحظ السعيد .. إنها إذن نزيلة الفندق » .

استحضر مواهبه سريعًا وبعد دقائق قليلة كانت تراقصه ، فأذهب عطرها بعقله ، وتحفزت كل مجامعه فى لهفة للارتواء ، وفقد الطيار الذائب اتزانه ، وأعصابه . وغادرا البار ثملين إلى الطابق التاسع ، حيث تقيم الفتاة أيضًا ، وأمام حجرتها انخلع ما بقى فيه من عقل ، ولم يعد بقادر على الصبر ، فدخل معها الحجرة . وبينما يتقلب فى حمم اللذة ، فينصهر صهرًا ، وينجرف ، يعترف لها بأنه تائه ، ثمل ، يكره الإفاقة على فراشها ، ويكشف لها عن شخصيته الحقيقة ، وما حدث له من سرقة نقوده .

ولأنها عميلة منتقاة بعناية لهذه المهمة ، ومدربة على كيفية تفكيك إرادته ، أذاقته أعاجيب الجنس ، وطمأنته عندما قالت له إن بمقدورها مساعدته للتغلب على مشكلة المال ، وفى اليوم التالى عرفته على رجل الأعمال « هرفراتز » الذى يقوم بمضاربات فى البورصة ، وبالحقيقة هو من أمهر رجال فريق الموساد ، الذى طار خصيصًا إلى فرانكفورت لاصطياده .

اصطحبه فراتز إلى سوق البورصة ليضارب مستبشرًا بوجهه ، على وعد بمنحه عشرة آلاف « فرنك » فى حالة تحقيق كسب له . وفى عملية تمثيلية لم ينتبه لها رغلوب ، منحه ضابط الموساد المبلغ « بسهولة » ، واتفقا على معاودة الكرة ثانية فيما بعد .

على هذا .. استسهل رغلوب الثروة التى هلت عليه ، واشترى للحية الناعسة هدايا ثمينة ، وأخذ ينفق عليها بسخاء ، وعندما جاءته الحوالة النقدية على البنك الاتحادى ، أنفق غالبية المبلغ أيضًا عليها وعلى مقامراته ، وأحاطته الموساد بحفنة من الحسناوات تكفلن به ، وعاش بينهن أيامًا كأنها الحلم ، واستطاع فراتز انتزاعه من الفندق ، وأخذه إلى إحدى الشقق الآمنة ، حتى يكون تحت السيطرة الكاملة ، وبعيدًا عن رجال السافاك ، وعن رقابة المخابرات العراقية .

بيد أن محمد رغلوب داوم على سلوكه المعتاد ، فى الإنفاق ببذخ ، حتى خلت جيوبه من آخر مارك ، وجلس ينتظر فى بلاهة لعبة المضاربة التى يجيدها فراتز ، لينقده مبلغًا آخر .

لكن فراتز يخيب آماله ويدعى تعرضه للخسارة ، بل ويطلب من رغلوب أن يفكر معه بصوت عال ، فى كيفية اجتياز هذه العقبة . وتركه يلهث بين أحضان إحدى عاهراته ، فى « مصيدة العسل » الملغمة بالكاميرات وميكروفونات التسجيل ، بينما كان بقية أعضاء الفريق منهمكون فى التصوير ، وقد أخذهم الدهشة أمام فلتان اللسان الذى أصاب الطيار التائه ، وهو يسب قيادته وسلاح الطيران العراقى كله .

وعلى حين بغتة ، ظهر فراتز فجأة وبرفقته ثلاثة آخرين ، وحاول الطيار العارى سحب ملابسه ، وبخطوات محسوبة بدقة ناوله مظروفًا ثقيلاً ، يحوى عشرات الصور العارية لرغلوب ، وضغط على مفتاح التشغيل فانطلق صوت الكاسيت بالسباب الذى تفوه به ، فألجمت الصاعقة لسانه ، وارتعدت عضلات وجهه ، واهتزت لا إراديًا أطرافه ، عندئذ لم يمهله ضابط الموساد لحظة واحدة ليسترد وعيه ، إذ سأله بلهجة فيها الخباثة والوعيد :

- صديقى العزيز .. ماذا ستفعل لو أنك تملك الآن مليون دولار ..

أجابه رغلوب وهو يرتجف متظاهرًا بالهدوء :

- أنا لا أملك الآن مائة مارك .. وتجيئنى بمليون دولار .. ؟ لو أن ذلك حدث بالفعل فسأموت من المفاجأة .. سأموت فى الحال دون أن أستفيد بنصف دولار فقط .

- لدينا عشرات الأفلام وشرائط التسجيل ، واحد منها فقط يقودك إلى الإعدام .. ونحن لا نرغب فى إيذائك طالما سنتفق .
- أنتم من ..؟ وعلام سنتفق ..؟
- نحن أولاد عمومتك .. كلفتنا الموساد برعايتك وإكرامك ، و ....
- موساد ..؟
- وبين يديك الآن مليون دولار .. ستعيش به هانئًا طوال حياتك أنت وأسرتك ، مقابل أن تتعاون معنا .. وهناك ما هو ألذ وأمتع .. فتياتنا .. أجمل نساء الأرض .. كلهن طوع أمرك .
- أنا لا أفهم شيئًا هرفراتز .
- نريدك أن تهرب بطائرتك الميج ٢١ إلى إسرائيل ، وسوف نرتب لك حياة خيالية لا تحلم بها ، سنمنحك فيلا رائعة ، ورتبة عسكرية فى جيش الدفاع ، ومعاشًا سخيًا مدى الحياة لك ولأسرتك ، وستكون ابن إسرائيل المدلل الذى تجاب رغباته بلا نقاش ..

وأما هذا المأزق الصعب لم يشأ أن يرد ، وبعد فترة صمت طويلة أدرك خلالها الحقيقة ، لم يوافق على العرض ولم يرفض ، إنما طلب من فراتز مهلة للتفكير ودراسة الأمر من شتى جوانبه .

كانت الفتاة الأفعوانية العارية ، قد غادرت الغرفة حال دخول فراتز ورفاقه ، فعادت إلى الطيار المزعور ثانية لتهدئته ، وفى الوقت نفسه تشوش عليه أفكاره ، وتدفعه لأن يوافق بتخويفه من المخابرات العراقية ، التى لن ترحمه إذا ما وصلتها نسخة من الأفلام والشرائط .

وبعد ساعتين تقريبًا ، جلس إليه فراتز يشرح له سهولة المهمة ، موضحًا كيفية الهرب بالطائرة عبر الأجواء الأردنية ، التى لا تملك الميج ٢١ ، وسأله عن رده ، فأعلن رغلوب موافقته ، واشترط أن يوضع المليون دولار باسمه فى بنك سويسرى أولاً .

لم يصدق ضابط الموساد أذنيه ، وكادت الدهشة أن تصعقه ، فالصيد الثمين ها هو يتمايل أمامه مرهقًا مترنحًا ، وحتمًا ستخور مقاومته وإرادته ، وكان عليه محاصرته أكثر وأكثر

، وسد ثغرات الهرب دونه . فالحلم الصهيونى أوشك أن يتحقق ، ليفرح شعب إسرائيل ، ولتفخر الموساد برجالها المخلصين ، وبفتياتها الرائعات .

امتدت المفاوضات بينهما وقتًا طويلاً ، فراتز يعده بالمبلغ كاملاً بعد وصوله إلى إسرائيل بطائرته ، ورغلوب أكثر إصرارًا على تنفيذ شرطه أولاً .

فراتز يقول له إنه يفاوضه باسم دولة ، وما يتوصلان إليه هو ميثاق للتعامل ، فيجيب الطيار العراقى بأنه لا يثق فى مواثيق اليهود ، وهو يريد النقود أولاً ..

فيسأله فراتز عن الضمانات فى حالة تسلمه المبلغ باسمه ، فيرد رغلوب متسائلاً عن ضماناته هو الآخر .

يعود فراتز ويعرض عليه اصطحابه إلى إسرائيل ، فيودع المبلغ باسمه هناك ، ثم يعيده ثانية إلى فرانكفورت ، فيقول رغلوب بأنها خدعة جديدة ، فكما صوره فى فرانكفورت ألن يصوره داخل إسرائيل ، ليضطر بعدها إلى الهرب بطائرته بدون مقابل ..

استحكم الأمر بينهما إلى أبعد مدى ، وأغلقت منافذ التفاوض للوصول إلى حل يرضى الطرفين ، وأخيرًا اقترح فراتز أن يرافقه إلى باريس للتفاوض مع رئيسه هناك ، فربما يوافق على شروطه .

نهاية مقامر بحياته

وفى الطائرة إلى باريس ، أغمض عينيه وطار مع أحلامه الوردية ، وهو يسلم المليون دولار للمخابرات العراقية ، ويتسلم قلادة البطولة وشهادات التقدير ، ويحصل على ترقية فورية كمكافأة ، فيرتفع اسمه إلى الآفاق ، وتنـزاح التقارير السيئة فى ملفاته إلى غير رجعة .

استغرقه التفكير أيضًا فى زوجته التى ستسر كثيرًا ، وستتقرب إليه بالود القديم الذى راح ، حتى أولاده ، سيحسدهم زملاؤهم فى المدرسة ، والشارع ، والنادى ، ويتحول محمد رغلوب إلى بطل من أبطال العرب الذين يفخر بهم التاريخ .

أخذ عهدًا على نفسه ألا يتراجع عن مطلبه ، فهم يريدون الطائرة وبأى ثمن ، والمليون دولار مبلغًا يعد تافهًا قياسًا بالطائرة الجبارة ، التى ترهق عقولهم وتخيف مغاويرهم . إنه طيار

حربى يعرف سر التهافت على الميج ٢١ عند الإسرائيليين ، هذا ما سمعه أيضًا من أحد القادة الكبار فى العراق ، يومها أكد القائد بأن إيران تتودد إلى العراق ، منذ وصلت الطائرة السوفييتية الخرافة التى لا يملكون مثلها .

وفى باريس نزل بفندق ضخم بميدان البيراميد ، وفى جناحه الذى هيأوه له بأموال الموساد بقى ينتظر فرانز ورئيسه .

كان مائير عاميت لا يصدق ما يقوله كاروز ، من وجود طيار عراقى تحت سيطرهم ، يتم التفاوض معه فى باريس ، وانتابته من جديد مشاعر الفرح التى ولت ، بفشل العملية 007 فى المحاولتين السابقتين ، وأوصى كاروز بضرورة انتهاز الفرصة هذه المرة ، واستغلالها على أحسن ما يكون، وفكر بالاتصال بعيزرا وايزمن قائد سلاح الجو السابق ، الذى حل محله مردخاى هود ، ليهنئة بقرب تحقيق رغبته ، لكنه غادر مكتبه على عجل لمقابلة رئيس الوزراء ، ليفى أشكول ، وقال له :

– **سيدى الرئيس .. أستطيع أن أؤكد نجاح العملية 007 ، وأن الميج ٢١ ستصلنا عما قريب . فرجالنا يتفاوضون فى باريس الآن مع طيار عراقى ، فضلاً عن ..**

فصرخ رئيس الوزراء غاضبًا :

– منذ متى وأنا أتصور المستقبل كواقع ..؟ كان هاريل يقول لـ بن جوريون « فعلت » .. وأنت تقول لى « سأفعل » ..؟

وخرج عاميت معروقًا خجلاً ، يفكر فى أن يطير بنفسه إلى باريس ، ليتفاوض بنفسه مع الطيار العربى الذى سيخلد اسمه ، ويضعه على قائمة رؤساء الموساد العظماء .

وما إن وصل إلى مكتبه حتى وجد خبرًا عاجلاً نقله إليه كاروز :

– « ريتشارد هولمز[1] تولى منصبه اليوم » .

(١) ريتشارد هولمز هو الرئيس السادس لـ C.I.A خلفًا لوليام رابون ، ويعد هولمز أبرز الجواسيس بعد آلان دالاس . كان يرأس قسم التخطيط والأعمال القذرة ، وخطط انقلاب مصدق فى إيران عام ١٩٥٣ . تخرج من جامعة هارفارد وعمل صحفيًا فى يونايتد برس ، وحصل على أول حديث صحفى عالمى من هتلر عام ١٩٣٨ ، ثم ترك الصحافة ليتجسس لحساب المخابرات المركزية ، ووصلت المخابرات فى عهده إلى قمة طغيانها وتدخلها السافر فى حياة الناس داخل أمريكا وخارجها .. وكوفئ على خدماته للمخابرات بتولى رئاستها من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٢ ، ثم عين سفيرًا لأمريكا فى طهران .

وفى باريس كان محمد رغلوب يحاول بعناد أن يغامر إلى النهاية ، فقد زاره فراتز ومعه ضابط آخر ، بذلا جهدًا شاقًا لإثناءه عن شرط الدفع مقدمًا ، لكنه لم يتزحزح قيد أنملة ، بل إنه ثار عليهما :

– تريدون منى أن أهرب بطائرة قيمتها ٢٥ مليون دولار دون ضمانات ..؟ إنكم فى إسرائيل تريدونها وبأى ثمن لأنكم تجهلون أسرارها .. ضعوا المليون دولار باسمى وسأهديها لكم ، وعندكم لى شرائط وأفلام تستدعى إعدامى رميًا بالرصاص ، تستطيعوا إيذائى بها فى أية لحظة .. ولا تضيعوا وقتكم معى لأن المليون دولار مبلغ زهيد ، فمخابراتنا تدفع الكثير لكل من يخبرها عما تخططه الموساد وتسعى إليه .

وضحت إذن الرؤيا لرجال الموساد ، فالضابط العراقى يحاول ابتزازهم إذا لم يرضخوا لشرطه ، وهذا مستحيل بالطبع ، وكان خطأ رغلوب جسيمًا عندما لوح بتهديدهم بإطلاع مخابرات بلده على نواياهم . وعندما هدده ضابط الموساد بشرائط الكاسيت المليئة بالسباب ، وأفلام الجنس العارية ، ضحك رغلوب ساخرًا وقال إن الرجل وامرأته على الفراش يسبان أهليهما فى فجاجة .

عندئذ أيقن الإسرائيليان أنهما وقعا فى فخ الطيار المفلس العنيد ، فبدلاً من أن يسيطرا عليه انعكس الأمر ، وبات واضحًا أن فشل التفاوض معه وعودته إلى العراق ، فيه كل الخطر على إنجاح تجنيد طيار عراقى آخر ، لذلك حمل رغلوب حقيبته إلى محطة القطارات قاصدًا ألمانيا ، وعنده يقين أنهم سيوافقون ، وسيسعون وراءه فى إلحاح ، عندها ، سيزيد المبلغ إلى الضعف ، وربما أكثر .

لم تكن حساباته بالقطع صائبة ، فقد كان الأمر أكبر كثيرًا من حدود تفكيره ، وطموحاته ، لكنه استعذب لعبة المساومة ، يملؤه اعتقاد راسخ بأن مغامرته سوف تنجح لأنهم بحاجة إليه، وما كان يعلم بأن إسرائيل كلها ، حكومة ومخابرات ، تنتظر وتترقب . فالأمر جد خطير، خطير ، إلى أقصى درجة لا تتصورها مداركه المحدودة .

إذ انصب تفكيره فى متعة المغامرة ، ونتائجها المبهرة فيما بعد ، وساقته سذاجته باللعب مع الكبار إلى نهاية مأساوية لم يكن يتوقعها ، ولم تنته بها أبدًا حياة أى طيار عربى آخر، من قبل، أو بعد .

فأثناء سير القطار بسرعته القصوى فى الأراضى الألمانية ، لم يلحظ رغلوب أن هناك من يلاحقه ، ويتبعه كظله ، فما إن غادر دورة المياه ، خارج عربة النوم ، اصطدم به ثلاثة رجال أشداء، خلطوه خلطًا بين باب الحمام والباب الخارجى ، وقبلما يتمكن من الدفاع عن نفسه، قذفوا به من القطار الدولى السريع[1] .

وفى صباح ١١ فبراير ١٩٦٦ عثرت الشرطة الألمانية على جثته ، متناثرة الأوصال على امتداد كيلو مترين . وجاء التقرير النهائى للحادث : « أن الطيار العراقى كان ثملاً عند وقوع الحادث ، وأخطأ عند خروجه من دورة المياه ، فبدلاً من الاتجاه إلى باب العربة الداخلى ، فتح بطريق الخطأ باب العربة الخارجى ، الذى وجد به خلل ، وسقط من القطار » .

هكذا قامر محمد رغلوب بحياته ، ودفع عمره ثمنًا لمغامرة قصد بها خدمة وطنه ،وتحسين وضعه الوظيفى والاجتماعى ، وطويت بذلك صفحة حزينة ، من ملف الصراع الإسرائيلى الشرس ، لامتلاك طائرة ميج ٢١ عربية .

ترى .. هل توقفت الموساد فى سعيها ..؟

وهل انتهت ، بنهاية رغلوب ، العملية 007 ..؟

★ ★ ★

(١) القطار الدولى السريع تغلق أبواب عرباته وتُؤَمَّن ، وفى حادث رغلوب هناك ما يؤكد شبهة التورط والاتفاق المسبق ، بين أمن القطار وعملاء الموساد ، فمن الصعب عمل مفتاح مصطنع لأبواب عربات القطار فى وقت ضيق ومحدود .

الفصل السابع

□□ فعلها عاميت هذه المرة بذكاء .. عندا اختار فتاة الموساد الرقيقة الناعمة .. ذات الوجه الطفولى البرىء .. الذى جمع الوداعـــة والأنوثة معًا .. فامتزجا بالدلال والإثـــارة والذكاء الخارق .. ولعبت الحية الإســـرائيلية بعقل الشاب المتيم .. وأذابته تمامًا .. تمامًا .. بلا أدنى مقاومة .!!□□



فينوس التى جاءت

.. « أيها الزملاء .. برغم الجهود التى بذلت ، علينا جميعًا أن نواجه الحقيقة ، ونعترف بأننا فشلنا .. ليس نتيجة خطأ تكتيكى فى خططنا .. وإنما لكون هؤلاء الطيارون العرب .. أشد إخلاصًا ووطنية » .

بهذه العبارة استهل مائير عاميت كلمته فى اجتماعه بضباطه ، وقد علت الوجوه علامات اقتضاب ووجوم ، وأكمل عاميت :

« إن أمن إسرائيل لن يكتمل .. طالما امتلك العرب هذه الطائرة التى يتفوقون بها علينا .. ويتهددون أجوائنا .. وسنبقى هكذا ، مهددون بالموت والتشتت .. لو لم نحصل على واحدة منها .. وعندما يتحقق لنا ذلك .. أستطيع أن أؤكد أن إسرائيل قد ولدت من جديد لتبقى .. وأن أذرعها الطويلة ستخنق رقاب العرب .. وتدفن أمنهم إلى الأبد فى الرمال .

أيها السادة .. على عاتقنا تقع المهام الكبرى التى تخدم وجود الدولة .. ومصالحها .. وأهدافها .. وبدون تخطيط ذكى سليم ستكون العواقب وخيمة .. وسنتلقى الفواجع واحدة تلو الأخرى .. ونحن نبكى كالنساء .. ونولول فى حسرة .

وها هى .. عملية تجنيد طيار عربى تفشل للمرة الثالثة.. بعدما كنا قاب قوسين أو أدنى من النجاح . لكننا اعتدنا ألا نيأس .. أو يتسرب إحساس اليأس إلى قلوبنا .. فليس مع اليأس نجاح .. أو عمل مثمر .

وأمامنا اليوم تقرير هام من بغداد .. عن طيار عراقى جديد .. يجب إخضاعه للتحليل الدقيق .. لنتمكن من خلاله من وضع خططنا .. والعمل بإصرار على إنجاح عملية تجنيده .. مقابل أى رقم يطلبه من المال » .

كان عاميت يتكلم وقد غلف صوته رنين الثقة .. فالأنباء السارة التى جاءته من بغداد ، زرعت بداخله مجددًا الأمل فى النجاح . وزاد من تفاؤله أن رقم (٤) يمثل فى حياته رموزًا

هامة ، فقد ولد فى شهر «٤» وكان ترتيبه « الرابع » بين أخوته ، وقاد عام ١٩٤٨ المجموعة « الرابعة » فى منظمة الهاجاناة الإرهابية ، وكان « الرابع » على دفعته أثناء دراسته للاقتصاد فى نيويورك عام « ١٩٥٤ » ، وكانت زوجته هى الأخرى من مواليد شهر «٤» ، و هى الفتاة رقم «٤» التى أحبها ، ويبدأ رقمه العسكرى برقم «٤» ، ونجا من الموت « أربعة » مرات خلال خدمته العسكرية .

ولما سأله أحد معاونيه عن الاسم الكودى للعملية ، وضرورة تغييره من « 007 » إلى اسم جديد ، رفض عاميت مرددًا أن ملفات الموساد فى عهده لن تتضمن اسمًا لعملية فاشلة، وأنه على ثقة من أن « 007 » فأل حسن ، ولن يغيره .

المعلومات السرية الأخيرة التى بثها عملاء الموساد فى بغداد ، أوضحت بأن الطيار العراقى منير روفا – الذى سبق رصده فى تكساس – على علاقة بفتاة أرثوذوكسية عراقية ، وأنه دائم الالتقاء بها بمنزل صديقه يوسف منشو ، وهو تاجر يهودى مفلس ، يطالبه الدائنون بمبالغ كبيرة . وقد ارتبط هو الآخر بعلاقة قوية بالشقيقة الكبرى لصديقة روفا .

ووضعت – على أساس المعلومات المعطاة – خطة أولية لاصطياد منير روفا ، بواسطة صديقه المفلس ، عن طريق إغراؤه بالمال . وفى محاولة « جس النبض » أظهر يوسف منشو يهوديته التقليدية ، عندما وافق على التعاون مع الموساد مقابل تسديد ديونه ، ومساعدته فى الهجرة إلى إسرائيل .

لم يكن هناك أدنى مشكلة إذن ، فالتاجر اليهودى الذى حصل على المال ، كتب تقريرًا وافيًا عن صديقه روفا ، كشف عن جوانب شخصيته ، ونشأته ، وظروفه ، وهذه كلها معلومات قيمة ، ساعدت على تحليل الطيار الشاب نفسيًا ، ودراسة أفضل الطرق للتسلل إليه ، لاجتذابه أولاً ، ثم الانقضاض عليه .

وطُلب من يوسف منشو الظهور بمظهر التاجر الثرى ، الذى تمكن من عقد صفقة تجارية مربحة ، وأن يتولى الإنفاق بسخاء على صديقه ، وإقراضه للإنفاق على صديقته ومغامراته النسائية المتعددة .

كان للمال فعل السحر عند التاجر اليهودى ، لذلك فقد انصاع لأوامر الموساد بصدق وإخلاص ، وعمل جاهدًا على إثبات ولائه ، عندما ساعد على الدفع بفتاة يهودية حسناء ،

فى طريق الشاب الباحث عن المتعة ، فسعى للفوز بها بلا فائدة . ومن أجل التغلغل إلى عقلها أغدق عليها بالهدايا ، وكانت هداياه الثمينة قد أرهقته ماديًا ، لكن يوسف – بأموال الموساد – كان لا يبخل عليه بشئ ، ويمده بين حين وأخر باحتياجاته منها ، فضمن بذلك ولاء الطيار المغيب الوعى ، والاستحواذ عليه . وسرعان ما تحول التاجر المفلس إلى صياد ماهر ، أجاد اقتناص الفرصة للإيقاع بفريسته ، طمعًا فى المزيد من المال .

إن صناعة الخونة والجواسيس عملية معقدة جدًا ، تتداخل فيها عوامل كثيرة وأحداث عجيبة ، يقوم عليها خبراء مدربون ، عندهم الصبر والحنكة وأعلى درجات المهارة والذكاء ، بحيث يجدُّون فى إثر ضعاف النفوس ، أولئك الذين يسعون وراء أوهام المجد والثراء ، أو ممن اعتقدوا بضآلتهم فى أوطانهم . وعندما يقع هؤلاء فى براثن صائدو الخونة ، فهم يُحَاصَرُون من كل صوب ، وتغلق دونهم أبواب النجاة .

ففى الوقت الذى كان فيه الطيار الشـــاب ، غارقًا فى مطاردة الفتاة اليهودية الحســـناء – الطُّعم – وفى ديونه ليوسف ، كان الأخير قد استعاد نشاطه التجارى بتوسع ، وقام بمعاونة الموساد ، بتصدير صفقة تمور إلى إيران ، فى باطنها عملية تمويهية لإظهار الثراء ، والالتقاء بأحد خبراء الموساد هناك . حيث أطلعه يوسف على تطورات أحوال روفا ، ونقاط ضعفه ، ولتدارس خطة محبكة وضعت خطوطها العريضة فى إسرائيل، تقضى بأن يسافر روفا إلى باريس ، وهناك سيتولى آخرون أمره .

رجع يوسف منشو إلى بغداد ، وأخبر روفا – حسب الخطة – بأنه بصدد عقد صفقة تمور ضخمة مع شركة إنجليزية ، سيصل مندوبها قريبًا إلى بغداد للتفاوض معه وتوقيع العقد ، طالبًا منه أن يقوم بعملية الترجمة بينهما عند وصوله .

كانت الموساد تبذل كل ما فى وسعها لإنجاح العملية هذه المرة ، واستعدت لها بكامل إمكانياتها البشرية والمادية ، وفى سبيل تحقيق ذلك أعدت دراسة مستفيضة شملت كل جوانب حياة منير روفا ، اعتقاداته ، وأحلامه ، ومبادئه ، ونقاط ضعفه ، واحواله المادية والأسرية والمهنية ، وخلصت إلى نتيجة مفادها أن خير سبل الإيقاع به ، يكمن فى فتاة أسطورية الجمال والأنوثة ، يقف عاجزًا أمام مقاومتها . فلأنه عاشق مغرم بالنساء ، ومتعدد العلاقات ، لن تصلح للمهمة سوى فتاة طاغية الفتنة والإثارة ، لم يصادف مثلها من قبل .

وجرى البحث بين فتيات الموساد عن تلك الفتاة ، الأمل ، التى اشترط عاميت أن تكون ملمة باللغة العربية ، على ألا تستعملها ، وأن تكون ذات خبرة سابقة فى عمليات مصائد العسل ، وتم بالفعل اختيار إحداهن ، حيث جرى تلقينها خطوات العملية التى ستتم فى بغداد ، لاستدراج الطيار العراقى إلى باريس، بتقمص دور مندوب شركة إنجليزية ، تعمل فى مجال التجارة الدولية ، ثم ربطه بعلاقة خاصة لا يستطيع الفكاك منها .

وفى الثالث والعشرين من مارس عام ١٩٦٦ ، وصلت « ليزا برات » إلى مطار بغداد الدولى ، تحمل جواز سفر بريطانى ، وتفويضًا من الشركة الوهمية ، بالتوقيع على عقد تصدير شحنة من التمر العراقى إلى لندن .

أنهى ضباط الجوازات والجمارك إجراءات الفاتنة الإنجليزية ، وهم فى دهشة أمام جمالها الطاغى ، وكان بانتظارها يوسف منشو ، الذى كان ممسكًا بيافطة تحمل اسمها ، ومن بعيد وقف منير روفا ، يتأمل فينوس الساحرة التى جاءت ، وقد جفت عروقه عشطًا لرواء أنوثة أشلت عقله ، وسلبت إرادته منذ النظرة الأولى ..!!

الطيار التائه

فى عام ١٩٣٤ ولد منير حبيب روفا ببغداد ، لأسرة مسيحية أرثوذوكسية فقيرة ، أقامت بحى المستنصرية الشعبى الفقير ، وكان ترتيبه الثانى ضمن تسعة أبناء لموظف بسيط ، يعمل بأرشيف وزارة الزراعة ، عانى كثيرًا بسبب كثرة الأولاد وقلة الدخل ، ودفعته مشاكل المعيشة إلى إدمان الخمر العراقى « العَرَقْ »[1] ومطاردة النساء ، لذلك استغل عمله فى الحصول على الرشوة من جمهور المترددين ، وكانت نهايته الفصل من الوظيفية ، والحبس لعدة أشهر .

وبعدما انتهت مدة حبسه واجهته المحن كالطوفان ، فتعاظمت معاناته إلى حد اليأس ، وذاقت أسرته الكبيرة صنوف الجوع والفقر والحاجة ، ولجأ إلى الهرب من دائنيه إلى أقصى الخليج العربى ، حيث إمارة دبى ، التى كانت واقعة آنذاك – عام ١٩٥٣ – تحت السيادة البريطانية ، حيث عمل بالتدريس لأبناء البدو ، وكانت إلى القرب منه هناك موظفة هندوسية ،

(١) العرق : نوع من الخمور المحلية يصنع من التمر المخمَّر ، وهو مشهور بالعراق .

سرعان ما غرق فى حبها ، فأنسته زوجته وأبناءه التسعة ، ولم يتصور للحظة مدى معاناتهم وحاجتهم إليه ، وإلى الجنيهات الاسترلينية الغير منتظمة التى كان يحولها لهم .

إلا أن الزوجة ، لم تقف مكتوفة الأيدى أمام سلبية الأب الغافل ، فخرجت إلى سوق العمل ، وكافحت فى استماتة ، وذاقت من الذل ما لا يتحمله بشر ، كى تنجو بأبنائها من براثن التشرد ، وتنأى بهم عن مصير مظلم يتربص بهم ، ودفعت بابنها الثانى – منير – للالتحاق بكلية الطيران .

وبرغم حجم الكراهية التى كان منير يكنها لوالده ، كانت أمه تحاول دائمًا تنقية صورة الأب الملوثة المهترئة ، معللة أسباب اغترابه الطويل بعيدًا عنهم ، مكذبة ما يأتى به العائدون من عنده من أخبار علاقته بالهندوسية وإنفاق مدخراته عليها فى بذخ ، ومداومته على شرب الخمور .

يقول منير روفا فى مذكراته الشخصية :

« كان أبى كالمحيط فى تقلباته وثوراته المدمرة ، فرسائله تجيئنا صاخبة ، يسمم أبداننا فى الاستهلال ، ويلعننا فى كل سطر ، ويختم متوعدًا بحرماننا من المال الذى لا يكفى معيشتنا لخمسة أيام ، فكُنَّا نبيت جرحى مع وصول رسائله ، نلعق الدموع ونجرع الأسى .

كم كنت أشعر بآلام تنهش عقلى وكبدى ، وأنا أرى أمى تتألم ، وتعمل فى مثابرة لإطعامنا ، وأحلم باليوم الذى أستطيع فيه تخفيف معاناتها ، لكن مشاكلنا وحاجاتنا كانت تزداد يومًا بعد يوم ، وذلك القابع بين أحضان الهندوسية ، لا يرسل لنا إلا اثنى عشر جنيهًا كل شهرين . لذلك فقد حاصرتنى أحلام اليقظة ، أحلام مليئة بالثراء والشبع ، اتخذتها مهربًا لى من سموم أبى ومنغصاته » .

وفى كفاح مرير من أجل أن يحيا آمنًا ، تفوق منير تفوقاً ملموسًا فى الكلية الجوية ، وتخرج منها طيارًا ليخدم فى سلاح الجو العراقى . ومن الراتب الضخم الذى تمنحه الدولة لطياريها ، استطاع أن يساعد أخوته ، ويدخر بعضه ليتزوج من حبيبته « مريم » ابنة الأسرة الثرية ، التى تعلق قلبه بها .

كانت مريم فتاة خمرية مليحة ، درست الأدب الإنجليزى بجامعة بغداد ، وأثناء دراستها تعرفت بشقيقة منير – رفيدة – زميلة الدراسة ، ومن خلالها ارتبطت عاطفيًا بمنير روفا ، وعلى استحياء ، اتفقا على الزواج . وبعد عودته من الدورة التدريبية الأولى فى موسكو عام ١٩٥٧ تزوجا فى حفل عرس جميل ، وأقاما بإحدى شقق حى الديوانية ، وأنجبا يوسف وناجى عامى ١٩٥٩ ، ١٩٦١ على التوالى .

بيد أن منير روفا أوفد فى بعثة طويلة إلى الاتحاد السوفييتى ، للحصول على دورة تدريبية لقيادة الطائرة ميج ٢١ ، الانقضاضية الشرسة ، واعتقد روفا أنه سينتقل أخيرًا من القاعدة الجوية بالقرب من كركوك ، لكنه أبقى مكانة على مسافة ثلاثمائة وخمسة عشر كيلو مترًا من بغداد ، برغم الطلبات العديدة التى تقدم بها لقيادته ، لنقله إلى قاعدة الرشيد الجوية القريبة من العاصمة . وظل بمكانه حتى بعد عودته من الدورة الأخيرة فى تكساس .

لم تكن رغبة روفا فى الانتقال إلى بغداد ، نابعة من حبه لبيته ولأولاده ، بقدر ما كانت مطلبًا حيويًا له ، حيث يستطيع ممارسة هوايته المفضلة فى العاصمة المزدحمة ، ألا وهى مطاردة الحسناوات الفاتنات ، اللائى يبهرهن زيه العسكرى كطيار ، فيداعب أحلامهن بوسامته وشبابه، وينتقى من بينهن من تروق له ، متخذًا من شقة صديقه اليهودى يوسف منشو ، مسرحًا ومرتعًا لنزواته ، ووكرًا أكثر أمنًا للقاءاته النسائية .

وعندما حلل خبراء الموساد شخصية الطيار الشاب ، اكتشفوا أن هوايته فى مصاحبة النساء ، كانت نوعًا من الهرب من معاناته النفسية ، اتخذت منذ بدايتها – وكان وقتها طالبًا بكلية الطيران – طابع التعدد والتباين ، ويبدو أن مسلكه هذا يعود فى الأساس إلى نشأته بحى المستنصرية ، حيث تكثر به الكوليات[1] إلى جانب حى الديوانية أيضًا ، الذى أقام به عش الزوجية .

ومن خلال تحليل شخصيته وتشريحها بدقة ، فالمسمى العلمى لهوايته هو إصابته بانحراف جنسى ، يطلق عليه فى علم الطب العقلى والنفسى « PSYCHIATRY » هوس الجنس[2] .

---

(١) الكولية : بيت تمارس فيه الدعارة بأجر .

(٢) هوس الجنس عند الذكور SATYRIASTIC – أو شره الجماع SATYRIASIS فهو ما نعرفه فى دون جوان وكازانوفا وغيرهما ، وسيكولوجيا هو نوع من الهرب من مشاكل أو متاعب حياتية ، فتغيير شريك الحب شبيه بمواعيد المراهق الغرامية الكثيرة ، والمريض بهذا المرض يجد لذة ممتعة فى تنوع علاقاته وتعددها ، لإثبات قيمته الإغرائية SEDUCTIVE والبرهنة على ذكورته .

لذلك .. ما إن تقابل مع ليزا برات فى المطار ، حتى أوشك على الانهيار أمام جبروت جمالها ، الذى لم يصادفه من قبل فى موسكو أو تكساس . ووقف حائرًا يتأمل تلك المخلوقة الرائعة المثيرة ، ممنيًا نفسه باغتراف فورانها البركانى المدهش .

رحلة الجنون

لم يكن يوسف منشو يعرف جملة إنجليزية واحدة ، وكان على منير روفا مهمة ملازمته بمكتبه ، للاتفاق مع المندوبة الإنجليزية الحسناء وتوقيع العقد . ووجدها روفا فرصة رائعة للتقرب إليها ، خاصة وقد كانت تتعامل معه بدلال أنثوى محبب ، أضفى الثقة الزائدة بشبابه وبوسامته .. ومواهبه .

لقد كان من الصعب ، بل من المخاطرة ، أن يصطحب طيار حربى عراقى ، فتاة أجنبية فى نزهة خلوية ببغداد . لذلك .. فقد حرص روفا على إفهامها حقيقة وظيفته ، والسبب فى عدم قدرته على الخروج معها . فأبدت تفهمها للأمر ، وأهدته ساعة يد ثمينة وهى تشكره على اهتمامه بها ، ومساعدتها فى إنجاز عملها خلال زمن قياسى . ففى اليوم التالى لوصولها كان قد تم الاتفاق ، المبدئي ، ووقع على العقد بعد ثلاثة أيام ، وعندما أراد يوسف الاحتفال بالمناسبة بأحد الفنادق الكبرى ، كانت عميلة الموساد هى الأسبق فى الرد . إذ رفضت أن يتم ذلك خارج المكتب ، لكى لا يتعرض روفا لأية مشاكل .

وفى المساء .. أقيم بالمكتب حفل عشاء ، وتأخر روفا بمنزله قليلاً بسبب مرض صغيره ناجى ، ولما طرق باب المكتب ، صاحت ليزا برات من الداخل وهى تهرول :

- إنه روفا .. لا شئ هنا رائع بدونه .

كان روفا يقف بالباب مبهوتًا ، وكأنه يراها لأول مرة ، فقد ارتدت ثوبًا عاريًا ذو لون أزرق ، فضح أنوثتها المتوثبة ، ولفحه عطرها الناعم المثير الشذى .

جذبته إلى الداخل بأصابع حانية رقيقة ، وأرسلت لعينيه شعاعات عينيها الناعستين ، فسرت ببدنه رجفة يعرف كنهها ، ودون أن يشعر سحب يده من يديها ، وضمها فى لهفة مجنونة مشبعة بالرغبة ، وانقض كالظامئ بشفتيه يحسو عبير رضابها ، ويمتص وهج حريق

شفتيها نهمًا ، ويداه تجوبان ذراعيها وكتفيها ، تحرثان اللحم الدافق بالرغبة ، الموشى بالأنوثة الفتاكة المجنونة .

فى دهشة مصطنعة ، استسلمت ليزا لأحضانه وقبلاته الملتهبة المتسارعة ، وعندما أفاق قليلاً ، حاول أن يعتذر بكلمات منتقاة ، لكنها بدلال آسر اقتربت منه ، وأذاقته الجحيم السرمدى فى قبلة لهفى ، فأججت لسعة جوعه وفجرت براكينه ، وندت عنها آهة متحسرة وهى ترتجف ملتاعة وتردد :

- مونير .. أنت .. أنا .. لا أعرف ماذا أقول .
- لكننى أعرف أيتها الفاتنة الساحرة الدفيئة ..
- تعرف ماذا ..؟
- كل خلاياى وحواسى تحبك ..
- مونير ..
- لم تهزنى قبلك امرأة بمثل هذه السرعة .. ولم تهزمنى مشاعرى قبلما أراك أبدًا .
- أنت عاطفى أكثر من اللازم ..
- أنا عابد فى محرابك .. لأننى من عبدة الجمال والحب ..
- أنت تفتت إرادتى ..
- وأنتِ أجمل نساء الكون .. أحبك ..
- أخشى ألا تكون صادقًا فيما تقول ..
- لم أكن صادقًا إلا معك ..
- أتحبنى كل هذا الحب .. ؟
- أحببتك منذ رأيتك بالمطار .. وتمنيت أن تجئ اللحظة التى أكاشفك فيها بحبى ..
- أحبك .. (!!)

« وهى تجهش بالبكاء وتحتضنه بقوة » :

- لكنى سأغادر بغداد ظهر الغد ..

- سأطير ورائك إلى أقصى بلاد الأرض ..
- مونير .. أنت .. تكاد تكسر ضلوعى ..
- ليز حبيبتى .. إبق معى أربعة أيام حتى تنتهى أجازتى .. سأجن إن رحلت غدًا ..
- أنا التى سأجن لو لم تجيئنى بباريس .. أتشوق لأن نخرج معًا إلى الشانزليزيه تطوق يداك خصرى .
- فقط ..؟
- وأن أنام على صدرك وتتخلل أصابعك شعرى ..
- أوه أيتها الفاتنة ..
- سأظل أحلم وأحلم حتى أراك بباريس ..
- سأتقدم بطلب ليسمحوا لى بأجازة ..
- وهل هناك صعوبة فى ذلك ..؟
- الأمر يستغرق بعض الوقت لا أكثر ..
- سأنتظرك ..

كان يوسف منشو قد غادر المتب قبل مجئ روفا ، لتهيئة المناخ المناسب للصياد والفريسة، فأثمر اللقاء المنفرد بينهما خطوة هامة ، ولأول مرة يهجر منير روفا بيته فى أحد أيام أجازاته ، ليبيت بالمكتب مع ليزا برات ، بدعوى أنه فى مأمورية عمل .

فى تلك الليلة العاطفية الساخنة ، أظهرت عميلة الموساد براعة تفوق التخيل ، فى إظهار عواطفها تجاه الطيار العاشق ، ونستطيع أن نقول أن منير استشعر يومها ، بأنه تحول إلى مخلوق آخر ، يفكر بعقل عشيقته ، ويرى بعينيها ، ويمشى حسبما تسحبه أو تقوده .

فعلها عاميت هذه المرة بذكاء ، عندما اختار فتاة الموساد الرقيقة الناعمة ، ذات الوجه الطفولى البرئ ، الذى جمع الوداعة والأنوثة معًا ، فامتزجا بالدلال والإثارة والذكاء الخارق . كل هذه الصفات نادرًا ما تجتمع فى امرأة واحدة ، لكنها اجتمعت بدقة فى الحية الإسرائيلية ، التى أجادت استخدامها بحرفية خارقة ، لإذابة مقاومة الطيار المهووس ، دون أن تمنحه سوى قطرات ضـــئيلة من قطف القبل ، لتتركه يلهث محمومًا ثائر الرغبـــة ، على وعد بإغراقه فى

محيطها ، وإذاقته لذائذ جسدها اللاسع ، بهضابه ، وسهوله ، وأغواره ، وهذا لن يكون أبدًا ، ولن يتحقق إلا خارج العراق .. بباريس .

وظهر اليوم التالى ، عندما غادرت عميلة الموساد مطار بغداد ، أجزمت بأن روفا لن يهنأ له بال ، حتى يلحق بها . فمذاقات النشوة التى أذاقته بعض قطراتها ، كفيلة بأن تغيِّب عقله وتشتته ، وتقذف به إلى عوالم أكثر متعة ، لم يألفها طوال حياته ، ولا وجود لها سوى بين أحضان ابنة الموساد المدربة .

وما إن عاد منير روفا إلى عمله ، حتى تقدم بطلب صحى لعرضه على الأطباء ، بدعوى أن الصداع النصفى يفتك برأسه ، ويكاد يصرخ منه ألمًا .. وفشل الفحص الطبى فى علاج الصداع المزعوم أو تحديد أسبابه ، مما عجل بالموافقة على التصريح لروفا ، حسب رغبته ، بالسفر إلى باريس فى أجازة لمدة أسبوعين للراحة وللعلاج .

وفى ١٩ أبريل ١٩٦٦ طار منير روفا إلى باريس ، فى رحلة مثيرة كانت بداية لرحلة أخرى أكثر إثارة .. وجنونًا ..!!

الفصل الثامن

□□ لم يكن عاميت قد صادف شـــيئًا كهذا من قبل .. فمشاعره بلا شك انصبت فـــى اتجاهـــات أخرى .. غير تلك التى حـــيرت رجاله .. وبذا فقد ضَمَّت الحجرة أحاســـيس متبايـــنة .. تولدت أمام المشهد العجيب.!! □□



الحنان الزائف

لم يصدق مائير عاميت ذلك الخبر الصادر عن بغداد ، عن حجز منير روفا تذكرة سفر إلى باريس على الخطوط الجوية العراقية . وقال فى دهشة .

« هؤلاء الأغبياء يفركون أعصابى .. سحقًا لهم . » .

ولما خُبِّر بميعاد مغادرته ، ورقم الرحلة ، توسم خيرًا ونطق وجهه بالبهجة ، وعقد اجتماعًا طارئًا ضم كبار رجال الموساد ، لتداول الخطة التى وضعها ثلاثة من الخبراء ، لمكاشفة روفا ومحاصرته ، وإغراؤه بالهرب إلى إسرائيل بطائرته الميج ٢١ .

قال مساعد عاميت ياكوف كاروز :

– سيدى .. نحن بحاجة إلى خبراء فى الطيران والممرات الجوية للتعامل مع روفا .

أجاب عاميت :

– بالفعل نحن بحاجة إليهم .. لكن ليس قبل إتمام الاتفاق مع الطيار العراقى .

كاروز :

– وماذا لو أن روفا طلب مبلغًا كبيرًا ليس بخطتنا ..؟

عاميت :

– علينا أن نتمسَّك بشدة بمبلغ المليون دولار فقط ، ولا مانع إذا زيد إلى النصف ، أو الضعف ، فصديقنا هلمز[1] سيكون إلى جانبنا على أية حال .

أحد الخبراء :

– كحل افتراضى .. ماذا سنفعل إزاء رفض الطيار العراقى الاتفاق معنا ..؟

عاميت :

(١) ريتشارد هلمز : المدير الجديد للمخابرات المركزية الأمريكية C.I.A .

- برغم ثقتى فى نجاح العملية 007 هـــذه المـــرة .. فإن الطيران إلى السحاب فى صمت [1] متعة مريحة ..

غادرت عميلة الموساد – ليزا برات – تل أبيب إلى باريس ، بانتظار العاشق الذائب ، يحدوها الأمل فى السيطرة عليه ، وتطويعه للقيام بتنفيذ عملية الهرب إلى إسرائيل ، بدون إثارة أية مشكلات فى فرنسا .

لم تكن ليزا وحدها فى تلك الرحلة المثيرة ، فقد صحبها ستة ضباط من الموساد ، بينهم أحد خبراء الاستخبارات الجوية الإسرائيلية .

وعند تقاطع شارعى جيرمان وميشيل ، فى منتصف المسافة ما بين حديقة لوكسمبورج ونهر السين ، يقع فندق ديكلونى الشهير ، المواجه لجامعة السوربون ، حيث أعد جناح بالطابق السابع لاستقبال الضيف العزيز ، تم زرعه بكافة أجهزة التنصت والتصوير ، وجُهِّزت الغرفة الملاصقة لتكون مركزًا للمراقبة والتسجيل ، بإشراف فريق من ثلاثة فنيين ، بينما نزل ضباط الموساد بعدة بيوت آمنة ، لا تبعد كثيرًا عن الفندق .

كان اللقاء بالمطار حارًا مدهشًا ، إذ تناثرت صرخات ليزا الصاخبة عندما فوجئت بروفا أمامها . هو أيضًا كان يحتضنها فى شوق مجنون ، وكان الأكثر لهفة للقاء الذى تحايل لأجله ، يغشاه حنين ممتزج بالعشق لفتاته الحسناء المثيرة ، وروعة المغامرة معها فى باريس ، بعيدًا عن أعين المخابرات العراقية ، وضجيج العمل الرتيب فى القاعدة الجوية .

أخذته ليز – كما كان يناديها – إلى الفندق ، ومكث معها عدة أيام يلعق فورة حمم الرغبات ، ويصل معها إلى آفاق اللذاذات منتشيًا .

ولأنها العميلة الماهرة المختارة بعناية ، استدرجته للحديث عن حياته ، ونشأته ، وأسرته ، وعمله ، وقادته ، وحكومته ، فأفاض فى سرد تفاصيل قصته منذ الصغر ، والفقر الذى لازم أهله طويلاً ، وكيف عاد أبوه من دبى مريضًا لا يقو على العمل ، حتى إذا ما تطرق إلى أمه بكى منير روفا بحرقة ، وهو يصف معاناتها فى تربيتهم وتعليمهم ، فبكت ليزا لأجله ، وأحاطته بحنان زائف خادع . وسألته عن الحكومة العراقية ، وكيف لا توفر حياة كريمة للمواطنين ، فانطلق الطيار المُعَنَّى فى سُباب لاذع لحكومته ، ولعن حظه التعس لكونه عراقيًا .

---

(١) إشارة تعنى أنه من الضرورة تصفيته فى صمت .. أى قتله .

انتهزت عميلة الموساد الفرصة ، وعرضت عليه أن يظل إلى جانبها ، فهى لا تطيق فراقه مرة ثانية ، مع وعد بتوفير عمل مجز له ، وحياة معيشية واجتماعية أفضل له ولأسرته .

أبدى منير روفا استحسانه لرأيها ، وبعد تفكير عاد فسألها عن ظروف العمل الحر فى فرنسا ، والدخل الشهرى التقريبى الذى يكفل له حياة كريمة .

دهشت الفتاة ، وسألته عما إذا كان يفكر بالهرب من العراق ، إذا ما أتيحت له فرصة مناسبة ..؟

أجابها بنعم ، وأردف بأنه يفكر جديًا فى تحسين وضع أسرته المعيشى ، لكن الظروف دائمًا ضده ، وفى حالة تواجد فرصة مغرية له بالخارج ، فلن يتوانى لحظة فى استغلالها ومغادرة العراق بأهله إلى الأبد .

عند ذلك سألته :

- لماذا لا تفكر إذن بالعيش فى إسرائيل ..؟

فوجئ روفا ، وأجاب فى دهشة :

- إسرائيل ..؟ (!!) .

قالت فى نبرة يشوبها الهدوء :

- لقد سمعت أنهم فى إسرائيل يعرضون مليون دولار ، على أى طيار عربى يلجأ إليهم ..

وكأنه بهت :

- مليون دولار .. ؟ يالها من ثروة .. أهذا خبر أكيد ..؟

أردفت :

- أكيد جدًا .. فلى أصدقاء إسرائيليون هنا فى باريس ، تطرقوا إلى الحديث أمامى منذ أيام عن هذا الأمر .

قال وكأنه لا يصدق :

- وهل ستكونين معى فى إسرائيل إن وافقت ..؟

ارتمت بين أحضانه تقبله بحرارة وهى تهمس :

- سأكون معك فى إسرائيل وفى أى مكان تحب .. هل تريد منى استدعاء أحدهم ليتكلم معك ..؟!

ضمها بقوة وتاه فى قبلة طويلة منحتها له ، وكانت أحمى من قرص الشمس .. ثم نظرت بحنان إلى عينيه وهى تقول :

- مونير تعلم إننى يتيمة الأبوين ، وأختى الوحيدة تعيش بعيدًا فى أستراليا ، وليس لى الآن إلاك ، فأنت الحبيب والأهل .. وأريد أن أكون معك .. فى أى مكان .. ولو كان فى إسرائيل .

ضغط فكيه فى تحد وقطب حاجبيه وهو يقول :

- لكن .. لماذا يدفعون فى إسرائيل مليون دولار من أجل طيار عربى ..؟

قالت متغابية :

- أنا لا أعرف بالضبط .. وإن كنت أعتقد بأنهم يبحثون عن طيارين أكفاء .. هل تفكر بالأمر يا حبيبى ..؟

لسعة الخوف

كاد أن يصرخ فرحًا ، أن يخترق الجدار الفاصل بينهما ليعانق ليز ، ويسجد ضارعًا متوسلاً أمام روفا ، هاتفًا :

« هلم .. هلم أيها الطيار البائس إلى إسرائيل ، ولك مليونا دولار لا مليون .. قل فقط .. نعم .. أوافق ..(!!) » .

إنه مائير عاميت ، رئيس الموساد بشحمه ولحمه ، نهشه غول الخوف من الفشل فطار إلى باريس ، ليسمع بنفسه ما يقوله منير روفا ، وما تصنعه به العميلة البارغة الذكية ، ابنة الموساد المخلصة .

كان بالحجرة المجاورة معروقًا يرتجف ، واضعًا السماعات على أذنيه ، ويشاهد روفا وعميلته بدون ملابسهما الداخلية ، يتعاطيان الحنان ، بعد جرعة الجنس العنيفة التي أسكرت الصيد الثمين .

لحظتها .. طلب من فريق الفنيين تغطية الشاشة ، وتثبيت زووم الكاميرات ، قائلاً :

« إن فتاتنا تؤدى عملاً مقدسًا واجب علينا احترامه ، والنظر إليها بكل تقدير ممكن . فهي تهب الوطن – إسرائيل – الأمن ، وتبذل جسدها رخيصًا في سبيله . هكذا تفعل فتياتنا بلا خجل لكي نحيا ، وتبقى أرض الميعاد زاخرة بالرخاء » .

لقد تحول رئيس الموساد أمام مشهد « التضحية » ، إلى رجل دين ينثر وصاياه ويلقى مواعظه ، وطاف الغرفة يستطلع وجوه رجاله ، وقد تسمروا كالأصنام أمام تحوله الفجائى إلى حاخام ، فقد كانت تلك هي المرة الأولى ، التي يشاهد فيها عاميت مصيدة العسل ، وهي تطبق أذرعها الناعمة « الفولاذية » ، فتعتصر الفريسة بلا رحمة ، أو شفقة ، وتمتص فيها قوتها ومقاومتها ، حتى تحيلها في النهاية إلى قطعة عجين ، يستطيع طفل وليد أن يُشكّلها ، ويصنع بها ما يشاء .

كان روفا بين أحضان ليز لا حول له ولا قوة ، إذ أجهزت عليه تمامًا وأسبغت حوله جوًا صافيًا من المتعة ، وهيأت له بخبرتها – دون أن يدرك – فكرة الهرب من العراق . فكان تارة ينصت إليها راضيًا ، وسرعان ما يتراجع تارة أخرى . هكذا دواليك لخمسة أيام متعاقبة ، لم يغب منها عاميت يومًا واحدًا ، فكان ينتشى مع رضاء روفا وموافقته ، ويكبو عقله متحسرًا عند تراجعه .

وأعطيت الأوامر لابنة الموساد ، أن تنتهز أول فرصة لمواجهته ، والضغط عليه بقوة في اللحظة المناسبة . فالطيار العراقي تعلق بها تعلق الطفل بأمه ، ولم يعد بإمكانه الإفلات من قبضتها المطبقة .

وعندما كان عاريًا يمارس هوسه الجنسي في شراهة الجائع سألته :

– **ألم تفكر بعد في مستقبلنا معًا .. ؟ ألا تريد المليون دولار ..؟**

هتف الغارق الثمل :

– لن أدعك تبتعدين عني بعد اليوم ..

وهى تدفن وجهها بصدره :

– أتعدنى ..؟ حتى وإن كنت بإسرائيل ..؟

ضمها فى لهفة وهو يقول :

– سأهرب إليكِ وإن كنتُ بإسرائيل ..

كانت مازالت بحضنه :

– أخاف أن تنسى ليز وأنت تملك المليون دولار ..

فى نبرة مشحونة بالصدق :

– سأثبت لك أننى أحبك .. ولو كانت أموال العالم ملكى .

– وهى تقصد استثارته :

– إذن هل أدعوهم الآن لمقابلتك ..؟ أم أنك مازلت تشعر بالخوف ..؟

أجاب دون تردد :

– أنا أخاف ..؟ ممن ..؟

– غمزت بعينها فى رقة وهى تقول :

– من مواجهتهم

فى غيظ :

– من ..؟

– وهى تنظر فى عينيه فى جدية وقد غلفت صوتها بالحنان :

– أصدقائى الإسرائيليين .. الذين سيؤكدون لك ما قلت .

– اعتصرها بشدة وهو يقول :

– سأحبك وإن كنت إسرائيلية .. وسأحب أصدقائك أيضًا .

هتفت :.

– أوه .. مونير .. إنهم يطرقون الباب .. لقد جاءوا .

كان عاميت يستمع إلى الحوار الدائر بينهما ، وأعطى إشارته بالدخول عليهما . فتأخرت ليز قليلاً ريثما يرتديان ملابسهما ، وفتحت الباب .

بدا منير يرتجف فرقًا عندما أطل رجلان ، أنس قليلاً إلى ابتسامتيهما ، وقام مصافحًا ، فحياه كل منهما بالعربية السليمة .

- أنا أبو داود .. رجل أعمال ومولود فى بغداد .

- وأنا أبو موسى .. صديق أبو داود .. وولدت فى تل أبيب .

- تلعثم روفا ولم يدر بما يتكلم ، فبادرت ليز :

- وهذا النقيب طيار منير روفا من بغداد .

فى دهشة تكلم منير سائلاً أبو داود :

- قلت أنك من بغداد ..؟

ملأت وجهه ابتسامة عريضة وأجاب :

- نعم .. أنا عراقى ولدت فى بيت جدى بجوار مسجد الكاظمية ، عند دكانة جابو

بدهشة صاح منير :

- دكانة جابو ..!! أنا أعرفها فمازالت قائمة خلف المسجد .

وكأهم أصدقاء قدامى يتذكرون ما فاقم ، قال أبو داود :

- ألا تعرف شارع نعوم فى المستنصرية ..؟

صاح منير متعجبًا ..؟

- أوتعرفه ..؟ إننى من سكانه .. أهلى مازالوا هناك ..

قال الضيف وهو يبتسم بشوشًا :

- كانت عمتى روزينا الحائكة تقيم به حتى ماتت .

ارتفع حاجباه دهشة وهو يقول :

- يا إلهى .. العمى روزينا ..؟ لقد تربيت فى حجرها وكنت أزورها لتعطينى الحلوى .. إن والدتى بكت خلف جنازقا ، أما أنا فقد كنت مازلت طفلاً .

كان عاميت خلف الجدار يصفق بيديه منشرحًا ، وينصت باهتمام عبر السماعات إلى حديث روفا وأبو داود . لقد امتص أبو داود لسعة الخوف الأولى التى انتابت الطيار المذعور ، واستطاع بهدوئه الذكى المعهود أن يكسبه إلى صفه ، وأن يعيد إليه توازنه النفسى المهتز ، خلال لحظات قليلة من اللقاء .

كان أبو داود دبلوماسيًا فى الحوار ، تغلف صوته نبرة محببة تأسر قلوب مستمعيه . أما أبو موسى فقد أصيب بالدهشة وسكت عن الكلام ، حيث لم يترك له زميله الفرصة ليستعرض مواهبه ، خاصة والحوار يدور حول ذكريات وأماكن لا يعرفها فى بغداد .

وبعد مرور ساعتين تقريبًا ، كان طقس اللقاء المثير مريحًا حقًا ، وأضفى تواجد ليزا بينهم ألفة أحاطت روفا بالطمأنينة ، وأخرجته بسهولة من دائرة الارتباك ، حتى أن ضحكاته الرنانة العالية ، كانت خير مؤشر لسكينته .

عندما بكى عاميت

وفى غرفة المراقبة ، كان ضباط الموساد والفنيين فى دهشة حقيقية أمام الموقف المؤثر ، فإنها المرة الأولى ، طوال عملهم فى نصب مصائد العسل ، التى لا يصاب فيها « الصيد » بصدمة المفاجأة ، الصاعقة ، بل إنها المرة الأولى أيضًا التى يطرقون فيها الباب ، ويدلفون بهدوء كأصدقاء.

لم يكن عاميت قد صادف شيئًا كهذا من قبل ، فمشاعره بلا شك أنصبت فى اتجاهات أخرى ، غير تلك التى حيرت رجاله ، وبذا فقد ضمت الحجرة أحاسيس متباينة ، تولدت أمام مشهد عجيب .

تطرق أبو داود فى حذر ذكى لمسألة الهرب إلى إسرائيل ، مقابل مليون دولار تدفع فورًا فى تل أبيب ، وكان حريصًا على ألا يذكر الميج ٢١ مطلقًا ، لتهيئة روفا نفسيًا أولاً ، نائيًا به عن إحداث صدمة ترتد بمشاعره ، وتتطلب ترميمًا يستغرق وقتًا لرأبه .

قال أبو داود :

إن إسرائيل هى أرض الكتاب المقدس ، والوطن التاريخى للشعب اليهودى ، الذى تعرض على مر العصور لهجوم تلو الآخر من جانب أعدائه ، فتشتت شمله

بهدف القضاء عليه جسديًا وروحيًا ، وأجبر اليهود على ترك أرض إسرائيل أكثر من مرة عبر التاريخ .

ففى عام ٧٢٠ قبل الميلاد طرد الآشوريون اليهود من أرضهم ، وطردهم البابليون من بعدهم عام ٥٨٦ ، ثم طردهم الرومان عام ٧٠ ميلادية ، وتعرضوا لأعمال الاضطهاد والطرد فى أماكن وعصور أخرى ، كان أبرزها فى انجلترا عام ١٢٩٠ ، وفى أسبانيا ١٤٩٢ ، وفى روسيا عام ١٨٨١ ، وجاء هتلر وأقام لهم المحارق التى التهمت الملايين منهم . والآن يتربص العرب بنا فى وطننا التاريخى ، ويحاربون عودة اليهود المشتتين إلى أرض إسرائيل ، ويتوعدوننا بمحارق أخرى تلتهم بقيتنا لكى لا تقوم لنا قائمة .

إننا لم نعود إلى أرضنا لكى نحارب العرب ، لأننا بطبعنا أناس مسالمون نسعى للعيش فى أمان ، ونمد أيدينا لجيراننا بالسلام لكنهم يخططون لإبادتنا ، ويعملون فى الخفاء على تقوية جيوشهم وتسليحها بأحدث الأسلحة السوفييتية ، ولا نملك إزاء ذلك إلا التحرز لاتقاء ضرباهم ، وحماية أطفالنا الأبرياء من مستقبل مظلم نتوقعه لهم ، طالما هناك نوايا سيئة تجاهنا من أبناء عمومتنا العرب .

أيها الأخ العزيز العربى الشهم ، إن بلدكم الطيب – العراق – كان دائمًا ومازال رمز المحبة الخالصة ، ففيه عاش عشرات الألوف من اليهود العراقيين ، جنبًا إلى جنب مع المسيحيون والمسلمون ، وهاجر العديد منهم إلى إسرائيل وبقلوبهم نبض الحب باق للعراق .

هؤلاء اليهود الطيبين الذين جاوروكم فى أنحاء العراق ، وأحبوكم ، وأنت تعرف بعضهم ، إنهم يطلبون منك الحماية ، ويرفعون أياديهم ضارعون إليك لتساعدهم ، فهم بمسيس الحاجة إلى رحمتك وعطفك وشهامتك .

كان أبو داود الممثل البارع قد امتقع وجهه وارتجف بدنه ، وبكى ، فأبكى عاميت تأثرًا فى حجرة المراقبة ، وأدمعت عيون رجاله المستترون معه .

ليزا أيضًا كانت تلاصق روفا ، وتضغط بحنان وتأثر على كفه ، ينساب على خديها خطان من الدموع إلى ذقنها . وشهقاتها الملتاعة رسمت خطوطها بوجهها ، فبدت عاطفية تفيض شفافية مزيفة ، وهى تنهش بنظراتها الحانية الراجية عينى روفا ، وتقول له فى توسل :

« إفعل شيئًا لأجلى » .

لقد كانت اللغة العربية هى لغة الحوار بينهم ، ما عدا ليزا ، التى أمرها عاميت بعدم التفوه بها ، وكانت تخاطب روفا بالإنجليزية لتأكيد دورها وهويتها .لكنها تأثرت جدًا بخطبة أبو داود بالعربية ، وأوشكت أن تنكشف إذا ما أفاق روفا ، وحلّل تفاصيل اللقاء بدقة .

وأمام المشهد الابتهالى الصعب ، الذى أبدعه أبو داود ببراعة ، خيم الوجوم على عقل الشاب المحاصر ، وتساءل فى حيرة عما يملكه ليقدمه لهؤلاء ..؟

وقرأ رجل المخابرات أفكاره ، فقالها بوضوح هذه المرة :

- سيدى النقيب روفا .. إن رغبتك الشجاعة فى العيش بإسرائيل مع هذه الفتاة الحسناء ، شرف لإسرائيل ولكل الشعب اليهودى . وإنه لفخر لنا أن تقيم بيننا وأن تمنح حقوق المواطنة كاملة ، فضلاً عن المزايا الأسطورية التى ستسبغ عليك .. و

- قاطعه روفا مجاملاً بأدب :

- إن إسرائيل لدولة رائعة .

أكمل أبو داود :

- سنمنحك سيدى النقيب مليون دولار أمريكى ، وسنهيئ لإقامتك فيلا ساحرة ، ومنصبًا عسكريًا يليق بك كطيار كفء ، مقابل أن تزودنا بها .

سأل الطيار المحاصر متعجبًا :

- أزودكم بماذا ..؟ أنا لا أفهم ماذا تقصد .

- أجاب أبو داود بينما كانت ليزا تعتصر كف منير روفا وتقبله :

- الميج ٢١

صاح الطيار كأن حية لدغته :

- الطائرة الميج ..؟

ضاعفت ليزا ضغطاها وقبلاها بحنان ورجاء ، وأردف ضابط الموساد :

- نحن نريدها سليمة فى إسرائيل ليتعرف طيارونا عليها عن قرب .

وأضاف وقد وشم صوته بطمأنينة زائدة :

- إن العرب منذ زودهم السوفييت بها يرهبوننا ، ويدعون بأنها تفوق طائراتنا الحربية قدرة ومهارة ، إنها تحلق يا أخى بأمان فى أجوائنا ، وتخترق فى دعة حاجز الصوت فوق مدننا ، وكأنها تطلق لسانها ساخرة من طائراتنا وأجهزة دفاعاتنا الجوية . لذلك نريدها سيدى النقيب لنتكشف خباياها ، وأعتقد حينئذ ، أن إقامة تمثال لك بكل شبر في إسرائيل تكريم ضئيل سيدى النقيب ، لأن شعبنا سينظر إليك كبطل أسطورى خارق ..!!

الفصل التاسع

□□ وكان لدموعها وهى تحكى له عن معاناتها المزيفة .. الأثر الواضح فى ارتباطه بها .. وتأثره أمام مشاعرها .. فكان تأثره هذا مدعاة لأن يفقد تركيزه .. وينساق خلف أوهام هواجسه .. التى قادته إلى طريق الخيانة .. بلا تفكير ..!! □□



شروط صفقة الخيانة

كانت الأنفاس فى تلك اللحظة محتبسة قلوقة ، والوجوه غشاها إرهاق الخوف والاضطراب ، وتوقفت عقارب الزمن تزيد العقول جنونًا ، وبدا عاميت فى أحلك لحظات حياته ، التى سيتحدث بعدها مصيره بين رؤساء الموساد على صفحات التاريخ . فهتف لأحد ضباطه أن يذهب إلى الحجرة الأخرى ، عارضًا على الطيار العراقى مليون دولار أخرى ، وإن استدعى الأمر مليونان .. ثلاثة ملايين .. لا يهم ..!!

أبو داود نفسه كان يملك قرار مضاعفة المبلغ ، لكنه فضَّل الانتظار وترقب رد الفعل عند روفا . وكان فى داخله أيضًا يعيش تلك اللحظات العصيبة ، التى يعيشها عاميت ورفقاؤه .

أخيرًا نطق أبو موسى ، أراد هو الآخر أن يصنع لنفسه مجدًا ، ربت على فخذ الطيار التائه وقال :

– سنؤمن لك طيرانًا آمنًا عبر الأجواء الأردنية .. وستكون طائراتنا الميراج فى شرف استقبالك ، ومن أجل حمايتك فى الجو .

أطلق روفا هواء رئتيه بصوت مسموع صحبه صفير كالفحيح ، وكأنما كان يستقرئ الأمان فى عينى ليزا الناعستين ، إذ نظر إليها طويلاً بإمعان ، وكانت يداها مازالتا تحتضنان كفه وتعصرها ضغطًا . عندئذ هزت رأسها بحركة خفيفة ، ترجوه صمتًا أن يوافق .

فاستدار ناحية أبو داود ، الذىاستدعى – برغم ارتجافه – ابتسامة بذل جهدًا خارقًا لإبرازها ، وقال روفا بصوت مرتعش أتى من قرار بعيد :

– هل أنتما من المخابرات العسكرية ..؟

أجاب أبو داود على الفور :

– لا .. لا .. نحن نعمل فى مكتب رئيس الوزراء ، ليفى أشكول ، « وبعد برهة » مندوبا علاقات دولية واتصال .

علق روفا مندهشًا :

– إن ما تقومان به من صميم عمل أجهزة المخابرات .

صحح ضابط الموساد فى خبث وقد ارتفع حاجباه :

– المخابرات الإسرائيلية لها مهام أخرى سيدى النقيب روفا ، وما قَصَدْنا فى النهاية إلا السرِّية حفاظًا على أمنك الشخصى .

بعد لحظات صمت طويلة ، قال روفا مترددًا :

– ومن يضمن لى المليون دولار بعدما أهرب ..؟

تنفس الجميع الصعداء وهتف أبو داود :

– رئيس الوزراء شخصيًا .. إننا ندعوك لقضاء عدة أيام بإسرائيل ، وسيسر رئيس الوزراء بلقائك ، ولسوف تسمع منه تأكيدات الضمان .

أجاب روفا .

– أخشى أن أكون مراقبًا من أحد رجال مخابراتنا ، فقد جئت إلى باريس بدعوى الفحص الطبى والعلاج .

قال أبو موسى بثقة :

– ليس للمخابرات العراقية نشاط ملموس فى فرنسا ، سنؤمن لك وثيقة سفر ولن يشعر أحد بغيابك عن باريس ، فضلاً عن الأوراق الطبية التى تؤكد أن رحلتك لفرنسا كانت للعلاج .

وأضاف أبو داود :

– وفى إسرائيل ستختار بنفسك الفيلا التى تروق لك ، وليتكلم معك فنيو سلاح الجو ، بخصوص الممر الجوى الذى ستسلكه ، والتردد اللاسلكى للاتصال بهم ، وكذا القاعدة الجوية التى ستهبط بها .

غمغم الطيار العراقى وهو يزفر :

– أعتقد أن المسألة شبه مستحيلة .. فهناك مشاكل عديدة لا حلول لها .

فاردًا ذراعيه صاح أبو موسى :

– سـنذلل العقـبات التى تؤرقك .. ولن نترك مشكلة واحـدة – ولـو تافهة – إلا وناقشناها معك .. ووضعنا لها حلولاً .

طوقته ليزا بحرارة وهى تقبله بحنان ، وبعينيها دموع تترقرق ، وقالت :

– مونير .. أحبك .. إن عمرى كله لك ..!!

تجاهلها روفا وتوجه بكلامه إلى ضابطى الموساد :

– أنتما لا تعلمان بأننى لم أحصل بعد على ترقية قائد سرب ، وأننى مقيد بالطيران لمسافات قصيرة ، حيث أحصل على وقود لمسافة ٥٠٠ كيلو متر فقط .. وعند ترقيتى تُضاعف كمية الوقود ، أى أستطيع الطيران لمسافة ألف كيلو متر . وفى جميع الحالات لن أتمكن من الوصول إليكم ، لأن المسافة تزيد على الألف كيلو متر بين كركوك وأقرب قاعدة جوية فى إسرائيل .

كان منير روفا يتكلم بصدق فعلاً ، مما أكد لعاميت ورجاله غباءهم ، إزاء النظم المعمول بها فى الطيران العراقى . وأحس أبو داود بما يشبه اليأس أمام تلك المشكلة المعقدة . فصرامة القيود فى العراق تحول دون لجوء روفا لطرق ملتوية – سواء بالرشوة أو التحايل – لملء خزان وقوده .

وفى غرفة المراقبة المجاورة ، ساور عاميت الإحساس نفسه ، وعندما استحكمت الأزمة وخيم الوجوم ، تخطى عاميت محظورات الأمن ، وسمح لضابط مخابرات سلاح الجو المرافق أن يتصل بأبو داود ، بواسطة تليفون الفندق الداخلى .

تناول أبو داود سماعة الهاتف من ليزا ، وظل منصتًا لا يرد ، ثم وضع السماعة جانبًا وهو يسأل روفا :

– ألم تبذل محاولات لنقلك إلى بغداد ..؟

أجاب روفا :

- تقدمت بطلبات عديدة للانتقال إلى قاعدة الرشيد الجوية بالقرب من بغداد ، متعللاً بظروف والدى الصحية ، ووعدونى أكثر من مرة بالنقل ، ومنذ شهر تقريبًا علمت أن نقلى مرتبط بترقيتى فعليًا لقائد سرب ، وهذا لن يكون قبل مرور شهرين على الأقل من الآن .

وعقب أبو موسى :

- وعند ترقيتك ونقلك إلى بغداد ، بإمكانك إذن ..

قاطعه روفا قائلاً :

- لو أن ذلك حدث بالفعل ، لانتهت إذن مشكلة مسافة الطيران ، لكن بقيت مشكلة لا أرى حلاً لها ، وهى تتصل بعائلتى .

- تساءل أبو موسى وقد قطب جبينه :

- عائلتك ..؟

تنهد روفا وأجابه :

- إن شرطى الوحيد للجوء إليكم ، هو إخراج عائلتى من العراق أولاً ، فالسلطات العراقية لن تهدأ حيالها .. ولن يهدأ بالى أيضًا حينما أعيش ، بدونها ، فى إسرائيل .

كان شرط منير روفا إذن ، يحمل موافقة لا تقبل الشك ، على الهرب بطائرته إلى إسرائيل . فعند ذلك عمت تباشير الأمل ، وتهللت الوجوه فى زهو ، وارتمت ليزا على صدر منير روفا ، تشبعه عناقًا مشوبًا بالرضا ، وهتف عاميت فى مخبأه :

- أنتم حقيقة عقول الموساد النابضة .. وفخر إسرائيل .. وعزها .. (!!)

طيار عراقى فى إسرائيل

كان الطقس ربيعيًا يميل إلى البرودة ، عندما انطلقت السيارة الرينو السوداء ، تجتاز شوارع باريس المتلألئة مساء ٢٥ أبريل ١٩٦٦ ، باتجاه الجنوب .

بالمقعد الخلفى قبع الشاب الشاحب ، الذى بالكاد يسحب ابتسامة باهتة ، تتخلل أصابع يمناه شعر الفتاة الحسناء التى دفنت رأسها بصدره ، بينما شرد عقله فى رحلة ما أطولها . فقد طار بخياله إلى بغداد ، يجوب على عجل شوارعها وميادينها ومبانيها ، ووقف على شاطئ دجلة يتأمل وجهه المرتعش على صفحة الماء ، وفرطت المويجات الهادئة ملامحه ، فانسحب فى رفق إلى الجسر القديم ، وعبر إلى حى المنصور يشتم رائحة العراق القديم ، يطالعه وجه أمه الدامعة العينين ، وتتشبث به أيدى طفليه وزوجته ، فيطوف برأسه صراخ حاد ، يشبه صوت هدير صاخب ، يضرب أعماقه الجوفاء القاحلة ، ويكاد ينخر جمجمته .

لم يتذكر طوال الطريق إلى المطار ماذا كانت تقول ليز ، حتى وهو داخل طائرة العال الإسرائيلية ، اجتاحه إحساس بغياب حواسه ، واتزانه ، وتركيزه ، كأنما ألقى به داخل كبسولة فضائية ، يسبح مجدفًا فى ذلك النطاق الضيق الخانق .

كان فى قرارته لا يعرف بالضبط ماذا يريد ..؟ أكان يسعى خلف فاتنته ليزا ..؟ أم طمعًا فى المليون دولار ..؟

صحيح إن ليزا أعطته الكثير ، وتفوقت على كل من عرف من النساء ، للدرجة التى يشعر معها بأنه لم يتلذذ من قبل أو ينجرف ، سابحًا خلال ذلك المحيط الرائع الواسع ، الحار الدفق والمتع . لكن هل هذا فقط ما دعاه إلى السفر لإسرائيل ، للتخطيط لعملية هروبه من العراق بطائرته ..؟ ولو أن المال كان مطلبه ، ألا يُؤَمِّن الراتب الضخم الذى يتحصل عليه فى العراق ، الحياة والمستقبل لأسرته ..؟

كان يدرك تمامًا أن حكومته تنفق على الطيارين بسخاء ، وتضمن لهم راتبًا عاليًا وحياة رغدة بلا منغصات ، وأنه استطاع – بواسطة راتبه – إخراج أسرته من بوتقة الفقر ، وتعليم بقية أخوته فى المدارس والجامعات ، وعالجت الحكومة والديه – مجانًا – بأكبر المستشفيات

العسكرية ، واستثنت أخوته من شرط مجموع الدرجات ، وألحقتهم بالمدارس والجامعات حسب رغباتهم .

لماذا إذن يخون العراق ..؟ وماذا فعل به قادته لكى يخونهم ..؟ لقد قبلوه بكلية الطيران وهو الشاب المعدم ذو الأسرة الفقيرة ، وأنفقت عليه الدولة مثل وزنه أموالاً لتعلمه ، وبعثوا به إلى الخارج فى دورات تدريبية ليرتقى فنيًا كطيار حربى ، وعاملوه بكرم شديد وبحب كبير ، دون أن يفرقوا بينه – وهو المسيحى – وبين زملائه المسلمين فى المعاملة . بل إنهم كانوا أكثر تساهلاً معه ، حتى لا يدعى حاقد وضيع بأضطهاد المسيحيين فى الجيش العراقى .

لماذا إذن وكل الأمور طيبة يخون ..؟

إن عقله يكاد يجن وهو يبحث عن إجابة تريحه ، وتريح ضميره الذى غاب ، بلا فائدة . كل ما يعرفه أنه انقاد وراء ليزا بلا وعى ، ووافق على فكرة الهرب بطائرته دون تحسب للعواقب ، وها هو يطير إلى إسرائيل كالمغيب وإلى جواره ليزا الغارقة فى حبه ، يحمل جواز سفر باسم « عزرا موران بارزكاى » ، فى رحلة لن يتمكن بعدها من التراجع أبدًا .

كان مائير عاميت قد أسرع بالعودة إلى تل أبيب ، ليزف البشرى لرئيس الوزراء ، تاركًا روفا مع رهط من رجاله ، تكاتلوا عليه ، وحاصروه ، ولم يتركوا له فرصة كافية ليختلى فيها بنفسه ليفكر أو يتراجع ، بل أغرقوه بالإغراءات والوعود ، ملوحين أحيانًا بلطف شديد ، بالأزمات التى سيواجهها فى العراق إن لم يهرب .

وفى مطار اللد كان الوضع مدهشًا ، إذ استقبل بحفاوة بالغة أذهلت عقله ، وعومل ، منذ لحظة نزوله سلم الطائرة ، كشخصية هامة للغاية ، وجذبته صائدته الماهرة ، لتبتلعهما الليموزين السوداء ذات الستائر ، تخترق شوارع تل أبيب قرب الفجر .

كانت دقات قلبه المتسارعة تزيد من اضطرابه ، برغم التصاق ليزا به ، وصوت الكاسيت الذى يردد أغنية « الورد جميل » لأم كلثوم .

أزاح الستار قليلاً بيده ، وراح يتأمل اللافتات العبرية ، والأضواء ، والشوارع شبه الخالية إلا من رجال الأمن وسياراتهم ، وثمة إحساس مؤلم بالغربة يعتصره ويذهب بأعصابه .

وأمام فيلا مسيجة بالحرس وبالسور الحديدى وأشجار البونسيانا ، توقفت السيارة للحظة ، ثم انفتح الباب على مصراعيه ، فانطلقت إلى داخل السور ، ليظهر بناء داكن اللون ذو طابقين ، على سلّمه الرخامى الأبيض وقف أربعة رجال ، تبين فيهما أبو موسى وأبو داود ،

اللذين عانقاه بحرارة مهنيئين بسلامة الوصول ، وحاولا قدر جهدهما إخراجه من غلمة هواجسه وخوفه ، وظنا أنهما نجحا .

إلا أن الليل الساكن وهمسات ليزا الملتهبة ، ساعدا على تسكين روعه كثيرًا ، وطفق يحسو نعيم القبل ، عله يطفئ براكين فكره بلظى الجسد الظامئ ، وما بين ضربات النشوة الطاحنة ، ودبيب الخدر بأوصاله ، تناسى روفا موقعه وواقعه ، وغاص يستمرئ اللذاذات لعله يتوه ، ويذوب فى قعر الانتشاء لائذًا .

قبيل الظهيرة زاره أبو داود واثنان آخران من ضباط الموساد ، واصطحباه إلى شارع شاؤول ، حيث يقع المبنى الرئيسى الجديد لجهاز الموساد ، وكان بانتظاره مائير عاميت وكبار مستشاريه وضباطه .

لم يناقشوه فى أية مسائل فنية تتعلق بعمله فى العراق ، أو بمسألة هروبه إلى إسرائيل بطائرته ، إنما انحصر حديثهم معه حول الطقس الرائع فى تل أبيب ، وعيد البوريم[1] الذى احتفلوا به منذ أيام . ثم تطرقوا إلى الأقليات فى الدولة العبرية ، وكيف أن المسيحيون العرب ثانى أقلية كثافة فى إسرائيل ، إذ يبلغ عددهم نحو ١٣٠ ألف مسيحى ، يشكلون حوالى نصف سكان الناصرة ، وثلثى العرب فى حيفا .

تحدثوا معه أيضًا عن حرية العبادة فى إسرائيل ، التى كفلها دستور الدولة لجميع الديانات ، حيث يحق لكل طائفة أن تمارس عقيدتها وشعائرها ، وأن يكون لها مجلسها ومحاكمها الشرعية ، التى تتمتع بسلطة قانونية فى إدارة شئونها الداخلية والدينية .

وكان عاميت ذكيًا بما فيه الكفاية ، عندما استقدم بعض الضباط اليهود عراقيو الأصل ، لحضور لقاءه بالطيار الشاب . وكان يرمى من وراء ذلك ، إفساح المجال أمام روفا للتحلى بالأمان بين أناس يتكلمون بلهجته ، وإبعاد أية إحساسات بالخيانة قد تهاجم أفكاره . وأضفى

(١) عيد البوريم : أشهر الأعياد فى إسرائيل ، يبدأ الاحتفال به فى ١٣ مارس ، وفى ١٥ مارس يصل الاحتفال إلى ذروتـه ، حيث الرقص وشرب الخمر طوال الليل فى الشوارع ، وما يصاحب ذلك من فسق ومجون بشكل علنى وفى حماية الشرطة . ويرجع هذا العيد إلى أيام السبى البابلى لليهود ، حيث استطاعت استير اليهودية إنقاذ اليهود ، بحثها الملك – زوجها – على العفو عنهم .

هؤلاء الضباط على اللقاء ألفة ، هيأت روفا للقاء آخر شديد الخصوصية ، كان من المهم بمكان أن يتم مساء اليوم نفسه .. فى كيريا .

وتبعًا لتوصيات علماء النفس فى الموساد ، الذين قرأوا ملف منير روفا ، وراقبوه منذ دخل الفيلا المعدَّة لإقامته ، ورأوا من خلال الكاميرات تفاصيل سلوكه فى حجرة النوم ، كان على ليزابرات ألا تفارقه للحظة ، وأن تحيطه بعواطف جياشة زائدة عن الحد ، فى فترة هو أحوج فيها إلى الحب والامتزاج ، أكثر من أى وقت مضى .

لم تكن ليزا المدربة الذكية تجهل ذلك ، إذ انصب تركيزها على إغراقه بمشاعر الحب ، وبالعاطفة الملتهبة المشبعة بالعطاء والتفانى . وكان مدخلها إلى عقله وقلبه قصة يُتْمها المختلقة ، التى كانت سريعًا ما تحرك مشاعره ، وتثير فيه نخوة الشرقى العاطفى .

إن التحليلات النفسية للعرب التى اعتمدها الإسرائيليون ، انصبت على أهم أناس عاطفيون ، يثقون بالآخرين بسرعة ويتبسطون معهم بلا تحرز ، ومن السهل اقتحامهم بإثارة مشاعرهم .

وكان لدموع ليزا وهى تحكى لروفا معاناتها النفسية المزيفة ، الأثر الواضح فى ارتباطه بها، وتأثره أمام مشاعرها . فكان تأثره هذا مدعاة لأن يفقد تركيزه ، وينساق خلف أوهام هواجسه ، التى قادته إلى طريق الخيانة بلا تفكير .

لن يراها أبدًا ..!!

دقق عاميت النظر إلى ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى منتصف السابعة مساء ، عندما سأله رئيس الوزراء :

- وهل وضعتم حلولاً أكيدة ..؟

أجاب عاميت المملوء بالثقة والاعتزاز :

- لم نعتمد بعد خطة نهائية لتهريب عائلته ، وأثق بأننا سنتدبر الأمر بحكمة .

وعلق نائب وزير الدفاع شيمون بيريز :

- ستكون أروع عملياتك يا عاميت ..

فقال رئيس الأركان إسحاق رابين :

– بل أروع عمليات الموساد على الإطلاق ..

وبزهو أضاف عاميت :

– فى آخر حوار لى معه ، قال هولمز[1] : « إنكم أناس كسالى » .. ولسوف يفاجئ ..

قال مردخاى هود قائد سلاح الجو :

– أخشى أن تعترضه الميج السورية فيضيع حلمنا إلى الأبد ..

صاح به رئيس الوزراء :

– ما فائدتك إذن يا مردخاى ..؟ أستعلق الفشل على الآخرين ..؟ أنت فى هذه الحالة تعرض نفسك للتحقيق والمساءلة ، والفصل النهائى من الخدمة العسكرية ، فحماية الميج العراقية ، حتى وهو فوق الأجواء الأردنية ، ستكون مهمتك أنت وحدك ..!!

تمتم مردخاى هود بكلمات مبهمة ، عندها دخل مدير مكتب رئيس الوزراء ، يخبره بوصول الضيف .

كان مكتب ليفى أشكول ، عبارة عن بناية حجرية من ثلاثة طوابق ، تقع بين بيوت متشابهة فى كيريا ، وهى المنطقة العسكرية المحصنة فى تل أبيب ، التى تضم هيئة الأركان العامة للجيش ، والمقر القديم للموساد .

وصل روفا برفقة كاروز وليزا وأبو داود ، وعند نهاية الممر المؤدى لمكتب رئيس الوزراء، اصطف ثمانية عشر جنرالاً فى شرف استقباله[2] ، أدوا له التحية العسكرية . ووقف ليفى أشكول يصافح الطيار العراقى ويعانقه ، وأجلسه إلى جواره وهو يقول مبتسمًا :

---

(١) كان ريتشارد هولمز رئيس المخابرات الأمريكية C.I.A يرى أنه من الأفضل عدم توريط الولايات المتحدة فى عملية اختطاف طائرة ميج ٢١ سوفييتية ، تسئ إلى مركز أمريكا المنشغلة بالحرب الباردة مع الروس . كان هذا أيضًا رأى سلفه جون ميكون ، الذى عمل جاهدًا على تسهيل مهمة الموساد ، أثناء تواجد الطيارين العراقيين فى تكساس ، دون أن يزج بالمخابرات الأمريكية فى العملية تحسبًا لأى خطأ ، يشعل أزمة دبلوماسية تكشف وجه أمريكا القذر .

(٢) يبدو أنه تقليد متبع ، فقد استقبلت بعد ذلك الجاسوسية المصرية هبة سليم بعشرة جنرالات أمام مكتب جولدا مائير ، وكانت طائرتان ميراج حربيتان قد رافقتا طائرتها حتى المطار كما يحدث مع الملوك ورؤساء الدول . (أنظر كتابنا : جواسيس الموساد العرب) .

– مرحبًا بك فى وطنك.. أراهن على أنك ستحب إسرائيل أكثر من أى مكان آخر[1] ..

تولى عاميت بنفسه تقديم رجالات الجيش إلى روفا ، بالإضافة إلى جون هادن – مدير الـ C.I.A فى تل أبيب – الذى دعى لحضور للقاء .

وبعد كلمات التعارف والترحيب ، غادر الجميع المكتب إلى حجرة جانبية ملحقة ، تاركين روفا وعاميت وأبو داود مع رئيس الوزراء . وقال أبو داود متوجهًا بعبارته إلى الضيف :

– وعدتك سيدى النقيب فى باريس أن تلتقى بالسيد رئيس الوزراء .. وها أنا ذا أبر بوعدى لك ..

هتف ليفى أشكول فى بشاشة :

– إنه ليوم طيب بالنسبة لى ..

وملتفتًا إلى عاميت :

– إن ما وعدتموه به أمر لا يقبل المناقشة ..

وهو ينظر إلى روفا :

– أعدك بشرفى .. كن متأكدًا .. فنحن نضحى لإرضاء أصدقائنا المحبين لإسرائيل .. كن متأكدًا (ونطقها هذه المرة «بالعبرية»[2]: هايه نا بطواح) .

قال عاميت :

– سيدى الرئيس .. إن النقيب روفا رجل شجاع ومخلص .. لقد وثق بنا وستكون ثقته فى محلها .. وسيلقى منا كل رعاية .

رد ليفى أشكول :

– نعم .. نعم .. ونحن نقدّر له شجاعته وإخلاصه أيما تقدير .

---

(١) عبارة دبلوماسية مهذبة ، فيها إشارة مستترة القصد منها العراق بالطبع ..!!

(٢) دار الحوار بالإنجليزية ، وكانت التنبيهات قبل اللقاء واضحة ، بألا تنطق جملة عبرية فى وجود منير روفا ، الذى لا يعرف منها كلمة واحدة .. وهذه لفتة مقصودة ولها مغزاها .

انضم الآخرين بعد ذلك للقاء الذى استغرق نصف الساعة ، وخرج روفا من مكتب رئيس الوزراء ، مطمئن البال على المكافأة التى وُعد بها .

وعلى مدار خمسة أيام فى إسرائيل ، اجتمع به خلالها مردخاى هود قائد سلاح الجو ، حيث صحبه إلى القاعدة الجوية التى سيهبط بها ، وتناقشا معًا حول المسائل الفنية المتعلقة بالممر الجـــوى ، والارتفاع فوق الأجـــواء الأردنية ، والتردد اللاسلكى ، وأسلوب التعامل – كاحتياط – مع الطيران السورى فى حالة تدخله ، والسرعة اللازمة لتفادى الاحتكاك والمواجهة . كذلك شرح له كيفية مباغتة زملائه الطيارين العراقيين ، والهرب منهم باتجاه الأردن .

بعد ذلك طُوِّف به فى أنحاء تل أبيب ، حيث شاهد المسارح والملاهى والحدائق ، وعلى مسافة عشرة كيلو مترات – فى مستعمرة بات يام – اختار بنفسه فيلا حديثة الطراز تطل على البحر ، لتكون سكنًا له ولأسرته فى إسرائيل ، لكنه عندما زار مدينة ريشون ليتسيون – أول مستعمرة يهودية على أرض فلسطين – غير رأيه ، فالفيلات البديعة ذات الأسوار والحدائق ، كانت مثار دهشته وإعجابه . وعلق على ما رآه قائلاً :

– كنت أعتقد بأن إسرائيل أرض صحراوية جدباء .. ولكن .. الآن عرفت أنها « الجنة » الخضراء على الأرض .

كان حتى تلك اللحظة يعرف أن ليزا بريطانية تحبه ، ولم يكن فى صالح الإسرائيليين أن يظن غير ذلك ، فانكشاف هويتها الحقيقية ، سيصيبه بانتكاسة لا محالة ، نتيجة الخدعة الطويلة التى صدَّقها .

لذا فقد أبقى الأمر سرًا ، وتعامل الجميع مع ابنة الموساد أمامه على أنها ضيفة إنجليزية ، واختاروا لها – حسب رغبته – فيلا أخرى تقع على مقربة من مسكنه ، لكى تبقى إلى جواره فى إسرائيل .

وفى صباح الأول من مايو ، غادر « عزرا موران بارزكاى » تل أبيب ، بطائرة العال الإسرائيلية إلى باريس ، ترافقه حبيبة الفؤاد ، التى أكدت على أنها ستبقى معه بفرنسا إلى أن يسافر إلى العراق ، ثم تعود إلى إسرائيل ثانية لتنتظره بفيلتها .

وقبلما يغادر روفا تل أبيب ، سلَّم عاميت قائمة بأسماء « ٢١ » فردًا ، هم أفراد عائلته ، وعائلة زوجته ، الذين سيتم تهريبهم خارج العراق يوم هربه بالطائرة الميج . وضمت القائمة والداه وأخوته الثمانية ، وزوجته وولديه ، وحمواه وأولادهما الستة ، وسجل رسائل صوتية لهم ، وكتب رسائل مذيلة بتوقيعه ، يطلب منهم مرافقة حامل شريط الكاسيت أو الخطاب ، دون سؤاله عن وجهته ، أو معارضته .

كذلك تم ترتيب أسلوب الاتصال به حين طلبه ذلك ، بعدما يتم نقله إلى قاعدة الرشيد الجوية ، وعندما يحدد المواعيد المقترحة بفراره .

أمضى روفا يومان فى باريس بصحبة عميلة الموساد ، أذاقته خلالهما مالذ وطاب من المتعة ، وأكدت له كل لحظة أن حياتها ابتدأت معه ، وفى إسرائيل سينعمان معًا بالدفء ، والحياة الرائعة الزاخرة بالسعادة .

وفجر الثالث من مايو ١٩٦٦ طار روفا إلى بغداد ، يحدوه الأمل فى العودة ثانية لأحضان حبيبته ، حيث لن يفارقها هذه المرة إلى الأبد ، أما ليزا برات ، فكانت تضحك فى نفسها ، ذلك لأن مهمتها قد انتهت ، ولن ترى روفا بعد ذلك أبدًا .. وعادت فورًا إلى تل أبيب تنتظر مهمة جديدة .. مثيرة ..!!

الفصل العاشر

□□ انحرف بطائرته ناحية الغرب .. منطلقًا بأقصى سرعة .. مستخدمًا المحركات الصاروخية المساعدة .. فابتعد كثيرًا عن زميله فى الطائرة الأخرى .. وتجاهل نداءاته عبر اللاسلكى .. منشغلاً بضبط التردد الذى يمكنه من الاتصال بالإسرائيليين .. لكنه فشل .. ومع ذلك واصل اندفاعه .!!□□



طيارى الميراج الجبناء ..!!

كانت لدى مائير عاميت خطة واحدة ، لا بديل لها ، لإخراج عائلة روفا من العراق ، حال تأكده من إيجاد الفرصة المناسبة . والخطة تعتمد ببساطة شديدة على أذون مزورة بإحكام، بمغادرة « ٢١ » فردًا إلى إيران للاصطياف . (وليس كما روَّج الإسرائيليون بعد ذلك ، وسنتناول كل هذه الادعاءات الكاذبة فى حينه) .

تقدم منير روفا لقيادته بالأوراق الطبية – المزيفة من قبل الموساد – تفيد بأن صداع الرأس HEAD ACHE الدائم هو نتيجة معاناة نفسية منشؤها القلق ، مطالبًا بضرورة نقله إلى بغداد ، حيث يعانى والده من عدة أمراض ، والأمر يستدعى ضرورة تواجده إلى القرب منه .

اقتنع الأطباء العسكريون بما جاء بالتقرير ، وجاءت التأشيرة الطبية توصى بنقله ، تجنبًا لإصابته بالانهيار العصبى BREAK-DOWN . واستغرق بحث التوصية طوال شهرى مايو ويونيو ، وفى آخر يونيو أخبر بأن هناك كشوف ترقيات ستعلن خلال أيام ، ورد اسمه بها ، وعندها سيتم نقله على الفور إلى بغداد .

وفى ١٣ يوليو حصل على أجازة لمدة أسبوع ، وحاول خلاله إفهام أسرته وأسرة زوجته مريم ، بأنه ينتظر النقل إلى قاعدة الرشيد الجوية ، لظروف الصداع التى كان قد أقنعهم بها ، وفى هذه الحالة سيأخذهم جميعًا ، على نفقة الدولة ، لقضاء عدة أيام على شاطئ بحر قزوين فى إيران ، وأوصاهم بعدم إعلان ذلك تحت أية ظروف ، لأنه أبلغ أسماؤهم فقط لقيادته ، ولن يسمح باصطحاب آخرين .

كان منير روفا قد تأهل نفسيًا للقيام بمهمته ، وينتظر اليوم الذى يجمعه بليزا ، بفارغ الصبر ، حيث يستطيع ، وهو يمتلك مليون دولار ، أن ينفق عليها بسخاء ، فترى فيه إلى جانب فحولته رجلاً آخر سخيًا كريمًا .

ذات ليلة .. أراد أن يستطلع رأى زوجته ، فأظهر تبرمه من الحياة بالعراق ، مبديًا رغبته فى اصطحابها مع الأولاد للحياة الدائمة فى باريس . ضحكت مريم قائلة إنها تتمنى ذلك ، وستكون معه فى أى مكان .

وعلى حين فجأة صدر فى ٢٥ يوليو قرار ترقيته إلى قائد سرب ، الأمر الذى شجعه على استعجال طلب نقله ، وتم ذلك بالفعل فى ٤ أغسطس . فذهب من فوره إلى قاعدة الرشيد الجوية ، وتسلم عمله ، وبدأ العد التنازلى للعملية 007 .

فى ٦ أغسطس نشر إعلانًا بجريدة الثورة ، عن فقد مظروف أبيض متوسط الحجم ، به تقارير طبية هامة ، وكان رقم التليفون به خطأ متعمد .

وفى تمام السابعة مساء دق جرس التليفون بشقته :

- آلو ..

- نعم ..

- حضرتك صاحب الإعلان ..؟

- نعم ..

- أنا المهندس شاكر .. والمظروف عثر عليه ابنى بالأمس ..

- أشكرك جزيل الشكر .. متى أستطيع مقابلتك ..؟

- كيفما ترى ..

- الساعة العاشرة مساء الغد بشارع الحمادى .. أمام محل أورفو .. أيناسبك الوقت والمكان ..؟

- لا مانع ..

- هل بالإمكان تمديد الموعد ساعة أخرى إن كان هذا يناسبكم ؟ ..

- لا بأس يا سيدى .. مع السلامة .

هذه المكالمة[1] البريئة جدًا فى ظاهرها، حوت رسالة شفرية بالغة الأهمية ، كان قد تم الاتفاق عليها مسبقًا فى إسرائيل .

- المهندس شاكر = « كلمة السر » .
- الساعة العاشرة = أى رقم (١٠) مضاعفًا ، ويطرح عدد (٣) قبل التضعيف .
- مساءً = صباحًا
- الغد = هذا الشهر
- شارع الحمادى = قاعدة الرشيد الجوية .
- محل أورفو = إخراج العائلة من العراق .
- تمديد ساعة = مهلة ساعة .

وببساطة شديدة ، فترجمة الحوار الشفرى كالتالى :

سأطير ابتداء من يوم ١٠ إلى ٢٠ أغسطس ، من قاعدة الرشيد ، ما بين السابعة إلى الثامنة صباحًا ، ومطلوب الإسراع بنقل العائلة خلال هذا التوقيت .

انقلبت الموساد إلى خلية نحل ، فالرسالة التى بثها عميلهم السرى فى بغداد كانت مدوية، لذلك طُلب منه إعادة بثها مرة ثانية ففعل ، وجاءت كما هى فى المرة الأولى بلا أخطاء .

استدعى عاميت على الفور الجنرال مردخاى هود ، قائد سلاح الجو ، ونقل إليه تفاصيل الخبر العاجل ، فكاد هود أن يطير فرحًا ، أما ليفى أشكول فقال « لن ينسى لكم التاريخ ذلك » .

اجتمع هود بكبار ضباطه ومعاونيه ، وتشاوروا حول القاعدة الجوية التى سيهبط بها روفا، من حيث طلعات أسراب طائراتها الروتينية ، ووقت طيران روفا ، والطيارين الذين

---

(١) قد يتساءل البعض : لماذا لا يكون هناك لقاء بين عميل الموساد ومنير روفا بدلاً من مكالمة شفرية قد يشوبها خطأ ما ..؟ وللإجابة نقول : إن هذا التصرف من صميم عمل أجهزة الاستخبارات . فالموساد تتوقع كافة الاحتمالات إذ قد يكون فى الأمر خدعة ما ويعتقل عميلها المدرب لوشاية من روفا (الغير موثوق به حتى تلك اللحظة) أو قد يكون تليفونه مراقبًا فيعتقل الاثنين معًا ، أو قد يكون عميلهم مكشوفًا للمخابرات العراقية ، وترك حرًا تحت المراقبة لاصطياد شركائه .

يضمهم جدول الطلعات ، ومدى تماسكهم أمام ظهور الميج ٢١ أمامهم ، إذ كانوا يرهبونها لكثرة الأساطير التى حيكت عنها ، وكان من بين الطيارين المقرر طيرانهم الروتينى خلال ذلك التوقيت ، النقيب « موشيه ران » بطل الألعاب الجوية فى الاحتفالات القومية ، وهو طيار محترف مندفع ، مغامر لحد الجنون .

وفى إسرائيل صدرت الأوامر لعملاء الموساد فى العراق ، بالإسراع فى نقل عائلة روفا إلى إيران ، وأحيط أيضًا عملائهم فى إيران بالأمر ، وأجريت اتصالات مع رجال السافاك ، لتسهيل خروج العائلة جوًا إلى إسرائيل .

كانت عقارب الزمن تتحرك ببطء ، والأعصاب المرهقة المشدودة فى غليان فوار ، وابتداء من ٨ أغسطس وطيارى الميراج يقتربون كثيرًا من الأجواء الأردنية ، ما بين السابعة والثامنة صباحًا ، دون أن يعرفوا سببًا لذلك .

ومساء اليوم التالى أقام مردخاى هود إقامة كاملة فى قاعدة حاتسريم الجوية ، واستيقظ صباح يوم ١٠ أغسطس مبكرًا ، واجتمع بالطيارين وقال لهم :

- هناك طائرة ميج ٢١ تحمل الشارات العراقية .. ستقترب من أجوائنا عبر الأردن .. إنها طائرة مسالمة لا تصيبوها بأذى .. نحن نريدها سليمة .. ولسوف يتبعكم قائدها بلطف إلى هنا .. أكرر . إياكم والحماقة .. لا أريد تهورًا من أحدكم .. ولا تنزعجوا من العلم العراقى على دفَّتها .. أو الصواريخ أسفل جناحيها .

وما إن أقلع سرب الميراج إلى السماء ، حتى انطلق صوت هود فى اللاسلكى :

- أنا قائدكم مردخاى هود .. أعرف أنكم تحفظون صوتى جيدًا .. لا أريد منكم تصرفًا صبيانيًا .. أريدكم عقلاء كما أتوسم فيكم .. كونوا هادئين بلا انفعال ..

- وتكرر هذا النداء صباح اليوم التالى .. والذى يليه .. و .....

الحصار فى طهران ..!!

كانت السيارة الجيب العسكرية تذهب غالبًا فى الصباح الباكر إلى بيت روفا ، وتعيده مرة أخرى عند العصر . وفى ١١ أغسطس أخبر أهله وأهل زوجته ، بالاستعداد للسفر إلى إيران فجر ١٣ أغسطس[1] ، حيث سيتحركون بالباص مع أحد زملائه ، بينما يطير هو إلى طهران برفقة قائد عراقى كبير ، ليمكث معهم عدة أيام على الشاطئ .

وفى ١٢أغسطس ودع روفا أهله ، بدعوى أنه فى مهمة سرية مع القائد العام ، ولن يراهم إلا فى إيران بعد أيام ، وأوصاهم جميعًا بمرافقة زميله ، وتنفيذ ما يطلبه منهم لأجل سلامتهم وأمنهم . وحمل حقيبته الصغيرة متجهًا إلى قاعدة الرشيد ، بنية الابتعاد عن أفراد أسرته حتى يطمئن على سفرهم أولاً ، ومن ثم يطير من بعدهم إلى إسرائيل .

لقد زُوِّدَ كقائد سرب بوقود يكفيه لمسافة ألف كيلو متر ، وتبلغ المسافة بين قاعدتى الرشيد فى العراق وحاتسريم فى إسرائيل نحو تسعمائة كيلو متر ، معنى ذلك أن الطائرات السورية لو تصادف وطاردته ، فوقوده سوف ينفذ فى الجو لا محالة .

لذلك .. كان المطلوب لإنجاح خطة هروبه الارتفاع الشديد أثناء الطيران لتقليل استهلاك الوقود ، والإفلات السهل من السوريين وصواريخهم الأرضية . أما الأردنيون فقد كانت دفاعاتهم متواضعة ، إضافة إلى خلو سلاحهم الجوى من الميج ٢١ .

وصباح الثالث عشر من أغسطس ، توقف الباص أمام بيت روفا ، وركبت مريم وولديها ، واتجه بهم الباص إلى المستنصرية حيث والديه وأخوته ، فركبوا جميعًا ، وعند أهلها فى الأعظمية اكتشفت وقوع حادث لوالدها ، إذ انزلقت قدمه على الدرج فالتوت وتورمت ، ووافق أربعة فقط من أخوتها – شاب وصبى وفتاتين – على السفر معها .

سويعات قليلة وعبر الباص البوابة العراقية بالأذون المزيفة ، بداخله سبعة عشر فردًا من أهل روفا ، إضافة إلى قائد الرحلة ، الذى كان فى حقيقة الأمر أحد عملاء الموساد فى العراق .

عاد روفا إلى شقته وعرف بما حدث لوالد زوجته ، فغضب كثيرًا ، وفى السابعة مساء دق جرس التليفون :

---

(١) كان قد حدث اتصال ثان من عميل الموساد ، وكان هذا التوقيت نتيجة للاتفاق بينهما .

- آلو ..

- نعم ..

- أنا المهندس شاكر ..

- اتصلت بك سبعة عشر مرة لأطمئن عليك .. (إشارة إلى عدد أفراد أسرته) ..

- أنا بخير .. وما أحوال أسرتك ..؟ (يقصد أسرته هو) ..

- إنهم بأحسن حال .. ويتشوقون إليك ..

- متى ستأخذهم إلى بيت العائلة ..؟ (يقصد إسرائيل) ..

- ليس قبلما تسبقهم أنت أولاً .. (أى أنهم سيطيرون بعد وصولك لإسرائيل بالميج ٢١) .

- سأقضى معكم إذن ستة عشر يومًا لا أكثر ..!! (أى أنه سيهرب بالطائرة يوم «١٦» و « لا أكثر » نافية للتضعيف .) ..

- إننا جميعًا ننتظرك .. (ننتظرك فى إسرائيل) ..

- لن أتأخر عن ميعادى ..!! (أى أن يوم ١٦ هو لحظة الصفر) ..

- هل أجازتكم حقًا « ١٦ يومًا » .. ؟

- نعم .. ١٦ يومًا .. (لتأكيد الميعاد) .

- سنجهز لك وليمة رائعة .. (سيكون هناك استقبال حافل) .

- أنت تعرف الأصناف التى أحبها .. (يقصد أنه لا يريد سوى ليزا .. ولأنه عميل مقيم بالعراق لم يفهم ما يقصده . لذلك أجاب) :

- ستسر جدًا يا صديقى بيننا .. إلى اللقاء ..

- إلى اللقاء ..

نزلت مريم وبقية أفراد الأسرة ، حسبما أراد مرافقهم ، بأحد فنادق طهران ، وكانت قد تعجبت من أمر ذلك التغير الذى طرأ على الرحلة ، فقد كان المخطط البقاء على بحر قزوين لا فى العاصمة . وأمام تساؤلاتهم الملحة ، لم يكن المرافق يجيب سوى برسالة روفا إلى زوجته ، التى يطلب فيها أن تطيع الرجل ولا تكثر من الأسئلة .

أمر هذه الرسالة ذات الأوامر كان يشعرها بإحساس غامض ، يقترب بها من حافة الشكوك والريب . وضاعف من قلقها تلك الوجوه التى تحيط بهم داخل الفندق ، وأثناء تجوالهم فى الحدائق والأسواق .

بقية أفراد الأسرة – أخوة منير وأخواتها – لاحظوا مثلها تلك التصرفات أيضًا ، وتحدثوا فيما بينهم ، حتى إذا ما أفكهم تفسير ما يروه ، انكبوا على مريم يسألونها ، ويستفسرون عن سبب بقائهم فى طهران ، فكانت تقول اسألوا منير عندما يجئ .

وفى ١٥ أغسطس كان منير قد استُهلك عصبيًا ، وأخذ يأتى بتصرفات لا إرادية غريبة ، فتارة يضحك عاليًا ويقهقه ، وتارة أخرى يتجهم لوقت طويل ملتزمًا الصمت . وشوهد طوال يحادث نفسه ، مصدرًا أصواتًا هوائية مبهمة ، مفضلاً الانعزال بعيدًا عن زملائه . وعند المساء أغلق عليه باب حجرته مبكرًا ، وقضى ردحًا من الزمن فى سهوم وتفكير .

بعد ذلك قام إلى دولابه وأخرج أوراقًا وقلمًا ، وانشغل بكتابة رسائل لأصدقائه ، لكنه تخوف من أن يؤدى ذلك إلى حرمانهم من الطيران ، فمزق أوراقه وحرقها ، وانفرد بنفسه فى الشرفة لقرب منتصف الليل ، ثم أوى إلى فراشه موهمًا نفسه بسعادة كاذبة ، لقرب لقاءه بالحبيبة ليزا ، لكن تفكيره فى المليون دولار كان يشغله فى الحقيقة أكثر وأكثر ..

ونام روفا نومًا متقطعًا ، مضطربًا ، تخللته أحلام منغصة عن انكشاف أمره واعتقاله ، وضياع حلم الإثراء الافاحش ، والعشيقة المتيمة .

ومع انبعاث صوت آذان الفجر من مسجد القاعدة الجوية القريب ، هب من فراشه كالملسوع ، وارتدى على عجل ملابسه الرياضية ، وأسرع بالخروج ..!!

العملية 007 ..

وكنز يبكى على الممر ..!!

كان يوم ١٦ أغسطس ١٩٦٦[1] ، أكثر الأيام حزنًا فى تاريخ العرب ، وأشده وطأة على النفوس ، قبيل نكسة يونيو ١٩٦٧ بأقل من عام .

ففى فجر ذلك اليوم الحزين ، استيقظ منير روفا مصابًا بدوار اللامبالاة ، وأخذ يعدو بملابسه الرياضية لنصف الساعة ، ثم شرب كوبًا من اللبن ، وتوجه إلى غرفة الملابس فساعده الجندى المنوط على ارتداء بزّة الطيران ، وأقلته الجيب إلى حيث تقف طائرته الميج ٢١ فى شموخ ، وهيئ له للمرة الأولى منذ طار بها ، أن جناحاها المستقيمان المثلثان قد انضما إلى جسمها ، تعبيرًا عن مدى الخوف والرفض له .

انزلق داخل الكابينة الفقاعية ، وألقى نظرة متلهفة على مبين الوقود ، فتهلل وجهه ، فالطائرة زودت بوقود يمكنه من الوصول إلى إسرائيل ، ورفع يده محيًا الضابط الفنى ومساعديه ، وأخذ إذن الإقلاع .

انطلقت الطائرة الجبارة فى سرعة البرق إلى السماء ، وكانت الساعة وقتئذ تشير إلى الثامنة إلا ربعًا ، ومن زجاج الكابينة الشفاف لمح زميله يطير إلى جواره . وألقى نظرة أخيرة على المطار ، ولمح بيوت بغداد من بعيد ، يلفها الضباب ويسربلها حزن خفى دفين .

وعندما ارتفعت الطائرة لمسافة ٨٠٠٠ قدم ، انحرف منير روفا بطائرته ناحية الغرب ، منطلقًا بأقصى سرعته ، مستخدمًا المحركات الصاروخية المساعدة للارتفاع والانطلاق ، فابتعد كثيرًا عن زميله فى الطائرة الأخرى ، وتجاهل نداءاته عبر اللاسلكى ، منشغلاً بضبط التردد الذى يمكنه من الاتصال بالإسرائيليين ، لكنه فشل فى ذلك ، فأغلق اللاسلكى مواصلاً اندفاعه باتجاه الأردن .

---

(١) فى أغسطس ١٩٦٦ ، أيضًا ، وفى مفارقة غريبة ، اختطف رجال المخابرات العامة المصرية ، الطيار المصرى عباس حلمى ، الذى هرب بطائرته إلى إسرائيل ، وشحنوه فى صندوق خشبى من الأرجنتين إلى المملكة المغربية ، على ظهر إحدى السفن المصرية ، ومن المغرب نقل إلى القاهرة بواسطة طائرة حربية مصرية ، حيث استجوب وحوكم أمام المحكمة العسكرية ، التى عاقبته بالإعدام رميًا بالرصاص .

إن ما كان يخشاه لحظتئذ هو الطيران السورى ، فالسوريون يمتلكون الميج ٢١ أيضًا ، وعند محاولة اعتراضه كان بنيته المبادأة ، وتحقيق المفاجأة فى الهجوم ، مستعينًا بالمدى التكتيكى الذى فى صالحه ، لتوجيه ضرباته ، وفتح ثغرة يخترقها باتجاه إسرائيل .

هكذا ظل روفا متحفزًا لضرب أية طائرة سورية تعترضه ، منتبهًا لشاشة رادار الذيل حيث المخروط الخلفى ، الذى يكشف المقاتلات المهاجمة من ورائه .

لقد كان يعرف الكثير عن كفاءة الطيارين السوريين ، وأساليب تدريباتهم ومهاراتهم ، ولكى يفلت من شباكهم كان من الضرورى أن يختار أنسب اتجاه هجومى ، واضعًا فى حسبانه ظروف الرؤية وخواص التسليح ، ووضع طائرته على قوس التنشين مع إطلاق النيران فى ذات الوقت ، وبكثافة تضمن له الغلبة .

لكنه مع دراسته لكل الظروف والاحتمالات ، واستعداده المهارى للمناورة والاشتباك ، واصل طيرانه بالسرعة القصوى على ارتفاع كبير ، إلى أن اخترق المجال الأردنى ، واكتشفت رادارات دفاعه الجوى تسلل الطائرة عبر الأجواء الشمالية ، لكن ارتفاعه الكبير حال دون إصابته بصواريخ الأرض / جو ، أو بصواريخ الطيران الأردنى المتواضع ، الذى فشل فى مطاردته .

أما الطيار العراقى الآخر ، زميل روفا ، فقد طارد طائرة روفا لبعض الوقت ، ولكن الطيار الهارب تمكن من الإفلات من مطاردته بدخوله المجال الأردنى ، وعندها رجع زميله إلى قاعدته الجوية ، لا يجد تعليلاً لما حدث .

وعلى الجانب الإسرائيلى ، كان مردخاى هود قائد سلاح الجو ، مايزال مرابضًا بقاعدة حاتسريم الجوية ، عندما أبلغ باقتراب الميج ٢١ ، وكان سربًا من طائرات الميراج الإسرائيلية بانتظارها فى الجو . عندها أخذ هود يصيح باللاسلكى فى رجاله ، وللمرة المائة :

إياكم وأن تمسوها بسوء .. أو تلعبوا دور البطولة .. نحن نريد هذه التحفة يا رفاق .. كل إسرائيل تريدها .. إن طيار الميج سيتبعكم بلطف .. إنه صديق لنا فى مهمة مُرَتَّبة .. لا تخافوا من الشارة العراقية على الطائرة .. أنا قائدكم هود وأنتم تعرفون صوتى .. و ... و ....

اقترب منير روفا من الطائرات الميراج ، وخفّف قليلاً من سرعته ، مترنحًا بطائرته ذات اليمين وذات الشمال ، مدللاً بذلك على نواياه السلمية ورغبته فى الهبوط ، مشيرًا فى ذات الوقت بإبهامه لأسفل[1] ، فتبادل معه طيارو الميراج الإشارات لكى يتبعهم .

وبكامل تسليحها من صواريخ K-13 ومدافع، فى الثامنة ودقيقتين تقريبًا ، انزلقت الميج ٢١ العراقية إلى الممر ، فشهق الإسرائيليون لبديع رشاقتها الانسيابية ، وانطلقت فى إثرها العشرات من سيارات الجيب والإطفاء ، إلى أن توقفت تمامًا ، وهى تسحب آخر نقاط الوقود من خزاناتها ، ورفع روفا غطاء كابينته ، وأدام النظر إلى الحشد الواقف من حوله ، ثم أرخى أحزمته وقفز إلى الأرض .

مشدوهًا .. أدى له مردخاى هود التحية العسكرية ثم جذبه إلى صدره معانقًا ، هكذا فعل أيضًا كبار ضباطه، يملؤهم جميعًا الزهو والذهول والدهشة ، أمام التحفة الفنية الثمينة[2] ، وجرأة الطيار العراقى وجسارته .

أخذ روفا فى الحال إلى أحد المبانى بالقاعدة الجوية ، بينما أحيطت الطائرة – التى كانت تبكى على الممر – بجُدَيْلة حمراء ذات قواعد نحاسية ، لامعة وبشريط آخر من الحرس العسكرى ، فى انتظار عاميت وكبار العسكريين فى الدولة .

كان روفا شاحب الوجه وقد امتُقِعَ لونه ، وبدت رجفة فشل فى كبحها تنتاب أطرافه . وسأل عن أسرته فأجابه هود بأن عاميت يطير الآن لاستقباله ، فهو الذى يعرف الإجابة . لقد كانت المسافة طويلة جدًا على رئيس الموساد – ٨٥ كيلو مترًا – ما بين تل أبيب وقاعدة وحاتسريم[3] ، فقد كان اشتياقه لرؤية الطائرة – التى ستخلد اسمه – لا يوصف ، وانشغل فى الهليوكوبتر مع كاروز وبقية مساعديه ، فى مناقشة الترتيبات القادمة .

---

(١) علامة دولية متعارف عليهات فى عالم الطيران ، القصد منها الرغبة فى الهبوط .

(٢) زعمت مصادر إسرائيلية أن إسرائيل دفعت مليون دولار لمسئول كبير فى بولندا ، عام ١٩٨٨ ، من أجل سرقة طائرة ميج ٢٩ ، وتم تفكيك الطائرة وشحنها فى صناديق لإسرائيل حيث تم تجميعها من جديد ، لمعرفة خباياها ، ولمواجهة مثيلتها السورية ، واكتشف الأمر فى بولندا بواسطة السوفييت ، وقبلما تتحول القضية إلى فضيحة دولية ، أعادت إسرائيل الطائرة لبولندا ، وقدمت اعتذارًا رسميًا .

(٣) قاعدة حاتسريم «HAZERIM» الجوية ، تقع على مسافة ثمانية كيلو مترات تقريبًا غربى مدينة بئر سبع ، وهى أكبر القواعد الجوية فى النصف الجنوبى من إسرائيل ، وتقع بها كلية الطيران .

حاول مردخاى هود تخفيف حدة التوتر الزائدة عند روفا فسأله :

– هل ضايقك الأردنيون ..؟

أجاب روفا باقتضاب :

– لا .. لا ..

قال هود :

– كنا نتظرك بشوق أيها الصديق المخلص .. إن العيش بإسرائيل سيكون متعة لك .. فالحياة هنا لها مذاق رائع ، خاصة وسط أهلك وأحبائك ..!!

ودون أن ينتظر تعليقًا منه أردف :

– لقد صدرت الأوامر صريحة جدًا لطيارينا .. بأن يعملوا على حمايتك .. ولو بإسقاط الطائرات السورية التى قد تعوقك .

لم يجب روفا وازداد ارتجافه بشكل ملحوظ ، وتنفس هود الصعداء عندما حطت طائرة عاميت ، وتوالى من بعده وصول جنرالات مجتمع المخابرات : أهارون ياريف رئيس الاستخبارات العسكرية ، أمان ، ويوسف هارملين رئيس شين بيت ، وإبراهام أهيتوف رئيس الشئون العربية فى الشين بيت ، ومساعده النشط يهودا أربيل ، وأيسيرهاريل رئيس الموساد السابق ، الذى كان يطفح حقدًا لنجاح عاميت وتفوقه .

من بعدهم توافد وصول جنرالات الجيش ، موشى ديان ، وعيزرا وايزمن قائد سلاح الجو الأسبق ، الذى قال عنه الجاسوس المصرى جان ليون توماس فى اعترافاته ، بأنه كان لحوحًا فى طلب تجنيد طيار مصرى ، يقبل الهرب بالميج إلى إسرائيل .

وبوصول عاميت وأبو داود اطمئن روفا قليلاً ، عندما أخبر بأن عائلته ستصل مساء على طائرة خاصة من إيران .

دعى الملحقون العسكريون فى جميع السفارات بتل أبيب لمشاهدة الطائرة عند منتصف النهار ، ودعى أيضًا الصحفيون والمراسلون الأجانب ، لحضور مؤتمر صحفى مع الطيار العراقى فى بئر سبع .

وفى بغداد .. حل الصمت .. ولم يصدر عنها بيان رسمى ، أو تصريح عسكرى بشأن هروب الطائرة . فقد كانت المأساة مروعة .. مريرة[1] ..!!

---

(١) فى ١٠ أكتوبر ١٩٨٩ هرب خائن عربى آخر إلى إسرائيل ، وهو الرائد طيار « محمد عادل بسام » ، السورى الجنسية ، بطائرته الميج ٢٣ الأخطر والأشرس والأقوى . بدعوى الرغبة فى العيش ببلد ديمقراطى ، وصرح السوريون بأن بسام كان قد تم تجنيده فى سوريا قبل أربعة سنوات من هروبه ..!!

نهاية المدفون حيًّا ..!!

عندما تأكد لرجال الموساد فى إيران وصول روفا إلى إسرائيل ، أعلنوا الخبر لزوجته ووالديه ، وأخبروهم بأن طائرة إسرائيلية فى الطريق إلى طهران جاءت لتقلهم إلى تل أبيب .

صرخت مريم غير مصدقة ، وصرخ أخوة روفا وأخوها ، بينما وجم أبواه فى البداية ثم انهارا فى بكاء أليم .

وفى حين أصَرَّت مريم أن تحادث روفا تليفونيًا ، تمسك أخوها الأربعة بالعودة إلى العراق ، بالرغم من محاولات تخويفهم من قسوة ما سيلقونه من تعذيب فى بغداد ، على أيدى المخابرات العراقية .

وأمام إصرار مريم لم يكن هناك بد من إتمام ذلك ، ومن مقر الموساد فى بئر سبع حدث الاتصال بإيران :

روفا :

– آلو

مريم :

– منير .. ماذا حدث ..؟

« كانت تبكى فى صراخ »

روفا « وقد تهدج صوته » :

– أنا فى إسرائيل يا مريم .. تعالِ .. تعالوا كلكم لأن العراقيين سيفتكون بكم .. ويمثلوا بأولادنا يا مريم .. و ...

مريم « كان صراخ ولديها وَمَنْ حولها مسموعًا » .

– ماذا فعلت فى العراق ..؟

روفا : « وقد أوشك على الانهيار » .

– لا تضيعون الوقت .. لقد هربت بالطائرة ولن تستطيعوا العودة ..

مريم : « صرخت فى هلع »

– هربت بالطائرة ..؟ أيها المخبول ضَيَّعْتَنا .. ضَيَّعْتَنا ..

« صراخ هستيرى من الجميع » .

انتهت المكالمة بانهيار الطيار الهارب ، وأوشك عاميت أن يأمر باستدعاء ليزا على وجه السرعة ، بيد أنه تريث فى اللحظة الأخيرة حتى لا يبدو كاذبًا ، إذ أخبر روفا بأنها فى زيارة لأختها المريضة فى أستراليا . وجاهد أبو داود باستماتة لكى يعيد روفا إلى هدوئه ، منفردًا به وحده فى ركن قصى .

وبحديثه التمثيلى المؤثر استطاع السيطرة على الشاب المذعور ، بل وأقنعه بمواجهة كاميرات الصحفيين وأسئلتهم ، لكى يبدو ثابتًا وبأعصاب سليمة ، أمام العراقيين .

عمت البهجة جهاز المخابرات المركزية C.I.A ، وأقلعت من نيويورك طائرة تقل ٥٠ خبيرًا فى هندسة الطيران ، لفحص الطائرة الميج ٢١ فى إسرائيل . تزامن ذلك مع وصول الملحقين العسكريين إلى قاعدة حاتسريم ، ووقف الملحق العسكرى الفرنسى – الكولونيل كاترو – فى حالة هى أشبه بالذهول الكامل ، وكل ما تفوه به هو أنه قال :

– مدهش .. إنها ممشوقة القوام Elle a la taille svelte .

وهتف الملحق العسكرى الأمريكى وهو يتحسس الطائرة :

– أنا أول أمريكى يلمس هذه الجوهرة[1] .

أما الميجر تومبسون الملحق العسكرى الإنجليزى ، فقد وقف يتأملها مصعوقًا .. وأخذ يتمتم بكلمات غير مفهومة .

---

(١) بعد أيام قليلة من الاستيلاء على الميج ٢١ ، أهدتها إسرائيل إلى الولايات المتحدة لتفحصها وكشف أسرارها . وفى الحقيقة كانت الطائرة من طراز معدل أدخلت عليه بعض الإضافات ، واستطاع الأمريكان فهمها وتبين نقاط قوتها ، وتحسين أداء طائراتهم الفانتوم وسكاى هوك ، واستفادوا من العقلية السوفييتية فى تطوير صناعة طائراتهم إلى حد كبير .. وعندما قامت حرب ١٩٦٧ كانت الطائرات الأمريكية التى لدى إسرائيل ، مزودة بإمكانات هائلة حديثة مكنتها من التفوق الجوى ، والاشتباك الجوى مع الطيران العربى دون خوف من مواجهته .

وفى القاعة المعدة للمؤتمر الصحفى ، كان التزاحم شديدًا لصحفيين ومراسلين من كل أنحاء الدنيا ، إلى جانب طاقم التليفزيون الإسرائيلى من فنيين ومذيعين ، وجنرالات الجيش ببزّاتهم ذات الشارات اللامعة ، وقد رسموا ابتسامات الزهو فغلفت وجوههم ، مستسلمين للأسئلة التى انهالت عليهم كالمطر :

كيف حصلتم على الطائرة ..؟

هل جاءت مصادفة أم بعملية مخابراتية ..؟

هل جاءت بأسلحتها أم كانت خالية من السلاح ..؟

هل اختطفتها طائراتكم وأجبرتها على الهبوط بإسرائيل ..؟

ما عمر الطيار تقريبًا ..؟

و ....

و ....

بطبيعة الحال ، لم يكن مصرحًا لهم بالإجابة عن أية أسئلة ، ففى الكواليس الإسرائيلية تطبخ المسائل بما يخدم أغراضها . لذلك بقيت عقول المتواجدين بالقاعة تلهث بحثًا عن إجابات، إلى أن دخل منير روفا محاطًا بعشرات الضباط العسكريين ، فومضت مئات الفلاشات المتحفزة، وسلطت الكشافات المبهرة بقوة ، وارتبك الطيار العراقى الذى تم تلقينه الإجابات بالداخل ، وانصبت عليه فيضانات الأسئلة ، فازداد ارتباكه وارتجف فكه السفلى هذه المرة بوضوح شديد ، أما أطرافه فلم يعد بإمكانه الإحساس بها ، ولمحه عاميت المستتر بعيدًا لا أحد يراه ، فأمر بسحبه إلى الداخل فى الحال .

ولما فشل فى إعادته مرة ثانية إلى القاعة ، بسبب التدهور الحاد الذى أصاب تماسكه ، وبكاءه المتصل وهياج ردود أفعاله ، كان هناك حل آخر بُدء فى تنفيذه على الفور .

دخل القاعة الناطق الرسمى بلسان الجيش الإسرائيلى – سهيل بن زف – وكان يمسك بورقة بيضاء ، ادعى بأنها رسالة بعث بها منير روفا إلى إسرائيل ، عندما كان بباريس فى أبريل الماضى ، يبلغهم فيها برغبته فى اللجوء إلى إسرائيل ، هربًا من الاضطهاد الذى يعامل به المسيحيون فى العراق ، وبسبب التمييز المذهبى ضد أكراد الشمال ، وأخذ يقرأ بضع فقرات من الرسالة .

هكذا فكر ونفذ عاميت ، لتشويه وجه الحكم فى الدول العربية ، وإظهار الأقليات بها بصورة مغايرة للحقيقة ، وللتدليل أمام وسائل الإعلام العالمية ، أظهر بأن الطيار الهارب من جحيم العراق ، ما فر بطائرته إلى إسرائيل إلا لثقته فى ديمقراطيتها ، واحترامها للأديان .

وبواسطة طائرة هليوكوبتر ، أخذ منير روفا إلى الفيلا التى اختارها لنفسه فى ريشون لتسيون[1] ، ووصلت من طهران الطائرة التى أقلت أهله ، بينما تسلمت السفارة العراقية أخوة مريم الأربعة ، وأعادهم على كفالتها إلى بغداد .

كان العراقيون يعرفون أن لا ذنب لكل من يمت للطيار الخائن بصلة قرابة أو صداقة . وأدركوا بعد فوات الأوان أن روفا تم تجنيده أثناء رحلة باريس ، وأن يوسف منشو ، الذى هرب بجلده إلى إسرائيل ، كان اليهودى القذر الذى ساعد على خيانته ..

وفى إسرائيل كانت المواجهة عصيبة بين روفا وزوجته وبقية أسرته ، فالمأزق الذى وضعوا فيه كان أكبر من مدى استيعابهم ، وأحس غالبيتهم بمدى غبائهم ، حينما وافقوا على السفر إليه فى إسرائيل . وكانت أمه أشد الرافضات لغدره ومن بعدها أختيه ، أما أبوه فكان على قناعة بأنها « ضربة حظ » سترفع كثيرًا من شأنهم . فالمليون دولار ، مبلغ خيالى أدار عقله ، وسلبه نعمة التفريق بين الحلال والضلال ، وبين الإثراء والخيانة ، وكان كثير الثناء على ابنه الخائن وتصرفه « السليم » فى مواجهة الفقر ، وتأمين مستقبل مضمون للجميع .

مريم هى التى بوغتت ، فمع مكالمة منير الهاتفية فقدت الوعى ونقلت إلى عيادة مجاورة للفندق ، وبقيت على حالها لساعات وما أفاقت إلا وهى بالطائرة الإسرائيلية ، تطير غصبًا عنها لإسرائيل . ومن حولها كان ولديها وشقيقات زوجها وأمهم ينتحبون ، ويجهشون بالبكاء طوال رحلة الطيران .

ولخوفهم مما كان سيجرى لهم ببغداد – حسبمًا أُبلغوا – وأمام الأمر الواقع ، خضعن ، وبحلقومهن غَصَّة مشبعة بالوجيعة ، وبقلوبهن وخز كالإبر .

تسلم روفا شيكًا على بنك هاتسوفيه الإسرائيلى بمليون دولار ، وبعدما طال بحثه عن المعشوقة ليزا دون جدوى ، اكتشف أن المسألة منذ بدايتها كانت خدعة كبرى ، رتبت

---

(١) ريشـــون لتســـيون Rishon Le Ziyyon – « الصهيونيون الأوائل » – أول مستعمرة يهودية أقيمت فى فلسطين عام ١٨٨٢ .

بإحكام لاختطاف الطائرة ، وما كانت ليزا سوى اسم وهمى لإحدى عميلات الموساد ، قامت على تصيده والسيطرة عليه بدعوى الحب ..

هذه الخدعة الخبيثة جعلته يحتقر ذاته ، وما كان له إلا أن ينسى ليزا فلا طريق أمامه دون ذلك .

ولأنه وقع فى المصيدة ، مضطر للاندمج شيئًا فشيئًا داخل نسيج المجتمع اليهودى ، ورفضًا استلام جواز سفر إسرائيلى باسم جديد، كذلك فعلت بقية أسرته ، حيث كان الخوف – وما يزال – يسيطر على عقله ، وقال لهم فى يأس :

« لست بحاجة إلى جواز سفر.. لأننى دفنت نفسى ها هنا حيًا.. إلى الأبد..».

هكذا عاش الخائن مرعوبًا بين أعداء وطنه وأمته ، لا يحس بالأمن ليلاً أو نهارًا ، ويرى الاحتقار بادٍ على وجوه من يعرفونه أو يحيطون به ، ولا يلقى منهم أى احترام أو تقدير . فقد كانوا يعرفون أنه جبان ، خائن ، باع وطنه بثمن بخس ، وأن من باع وطنه فلا أمان له ولا عهد .

كيف إذن يعيش الخونة العرب فى إسرائيل[1] ..؟ وكيف يعاملون ..؟ وهل يثقوا بهم هناك ..؟

---

(١) تفاصيل حياة الجاسوسة الأردنية « أمينة المفتى » فى إسرائيل جاءت بكتابنا : « أمينة المفتى .. أشهر جاسوسة عربية للموساد » . وبالكتاب أيضًا قصة لقائها بالطيار منير روفا ووصف لحياته فى إسرائيل .

أما الجاسوسة المصرية انشراح موسى وأولادها الثلاثة ، ففى كتابنا أيضًا «جواسيس الموساد العرب» سرد مطول لحياة الجوع والفقر والتجاهل ، التى يلقونها فى إسرائيل ، وصراخاتهم على صفحات الجرائد الإسرائيلية التى تفضح دعايات الموساد الكاذبة ، وتصف بدقة كيفية معاملة الخونة العرب الذين يلجأون لإسرائيل ، دولة الإباحية والبهتان والعنصرية .

ختام لابد منه

□□ الكتب التى تصدر – عن قصد – من إسرائيل .. للترويج لعبقرية جهاز الموساد .. يجب أن تمنحنا فرصة التدريب العقلى .. لفحص ضلالات الكذب .. ومعرفة حدود الحقيقة فى الخيال .. وذلك بقياس الأدلة المعلنة .. والوقائع المعروفة ..!! □□



واكب حادثة هروب منير روفا بطائرته إلى إسرائيل ، دعاية مغلوطة لقصص خرافية روجت لها الموساد ، لإضفاء صفة الإعجاز على عملياتها ، التى درجت الدعاية على نعتها بالأسطورية الخارقة .

وأستطيع أن أؤكد ، بما لا يدع مجالاً للشك ، أن مزاعم الإسرائيليين التى جاءت بصور مختلفة عن العملية 007 ، كلها محض خيال وأكاذيب ، قصد من ورائها الترويج لبطولات زائفة هشة ، وتوظيف « بروبا جندا » الإشاعات لإثارة الخيال ، والإساءة المغلفة لأجهزة المخابرات العربية ولعقول رجالاتها ، التى أنهكت مخابرات إسرائيل فى عمليات بارعة ذكية ، لا يملك العرب صراحة أساليب الدعاية الكافية لنشرها بكل اللغات ، فضلاً عن أن مخابراتنا تنأى عن كشف أسرارها ، وتلتزم الصمت إزاء العديد من العمليات التى تقوم بها ، حرصًا على الأمن القومى ، وسرية عملها الاستخباراتى وأساليبه .

ففى مصر وحدها يعيش العديد من العملاء من الأجانب والإسرائيليين ، الذين جندتهم مخابراتنا وعملوا داخل كيان الدولة العبرية لسنوات طويلة ، تمت مبادلة بعضهم ، والبعض الآخر جاءوا إلى مصر بمحض إرادتهم ، بعد انقضاء مدة عقوبتهم فى سجون إسرائيل ، كلهم يلقون الأمن والاهتمام والرعاية بين المصريين .

وهل يتذكر أحد منكم اسم « إسرائيل بير » ..؟ لقد كان أحد الكبار فى إسرائيل ، أوكل إليه رئيس الوزراء ديفيد بن جوريون كتابة تاريخ حرب ١٩٤٨ ، وعمل مستشارًا لبن جوريون نفسه ، وكان مكتبه فى وزارة الدفاع بجوار مكتبه . واتضح فيما بعد أنه جاسوس يعمل لصالح المصريين ، وحكم عليه عام ١٩٦٢ بالسجن ومات بعد أربعة أعوام من سجنه .

وهناك كيبوراك يعقوبيان الذى عاش فى إسرائيل باسم إسحق كوكوك ، وعمل فى الجيش الإسرائيلى إلى أن تم اكتشافه ، واستلمته مصر عام ١٩٦٦ فى عملية مبادلة .

أيضًا مردخاى كيدار ، وشموئيل باروخ ، وأليسبياديس كوكاس ، وأورليخت شنيفت ، أو أولريتش ، وتيودور كروس ، والكسندر بولين ، كلهم عملوا لصالح المخابرات المصرية ضد إسرائيل ، بخلاف القائمة الطويلة من العملاء الشرفاء ، من المصريين والعرب .

إن قصص العملاء الذين عملوا مع المخابرات العربية ضد إسرائيل ، أكثر من أن تحصى ، تتناثر بعضها هنا وهناك ، وجاء أغلبها فى كتب الجاسوسية التى تنشرها إسرائيل ، بشكل مضلل ، هذه القصص تلقى التجاهل من وسـائل إعلامنا ، وكُتّاب الجاسـوسية الذين « انقرضوا » هربًا من الكتابة فى هذا الاتجاه البالغ الصعوبة .

ونعود ثانية لتفنيد مزاعم الإسرائيليين وأكاذيبهم ، حول حادثة هروب الطيار العراقى منير روفا ، وسنكتشف معًا التخبط الذى جاء بمصادرهم وكتبهم ، وهو الدليل الذى ساقوه إلينا لنحكم بأنفسنا على تفاهة هؤلاء الأغبياء ، أدعياء العمليات المخابراتية الأسطورية الخارقة :

★ زعموا كذبًا فى بعض كتبهم أن عملية تجنيد روفا تمت فى بغداد بواسطة عميلة أمريكية . عندما أبدى لصديقه يوسف رغبته فى الهرب لإسرائيل . وأنه سافر إلى روما مع العميلة ومن هناك إلى تل أبيب للاتفاق ، ثم سافر بعد ذلك إلى باريس ليخبرهم بالموعد المقترح للهرب . (!!)

★ زعموا كذبًا فى كتب أخرى أنه جُند فى فلوريدا بأمريكا ، أثناء دورة تدريبية له هناك . (!!)

★ زعموا كذبًا أيضًا أن عائلته تم تهريبها فى عدد (٢) أتوبيس بواسطة أكراد العراق الذين سهلوا لهم العبور إلى إيران .. وهذا مستحيل لأن الهرب عن طريق جبال كردستان بأتوبيس معناه الموت الأكيد لاحتمالات لا حصر لها كالأعطال ونقص الوقود والمؤن والسقوط من المرتفعات الشاهقة ، فضلاً عن جهل عائلة روفا بالأصل بنوايا هروبه . (!)

★ وزعموا فى روايات أخرى أن عائلته وأقاربه تمكنوا من الهرب إلى إيران يوم هربه ثم طاروا بعد ذلك إلى إسرائيل (أى أنهم كانوا على علم بخطة هروبه) . (!)

★ قالت المصادر الإسرائيلية أن منير روفا يهودى عراقى ، أبدى رغبة فى الهرب بطائرته مقابل نصف مليون دولار . (!!)

★ مصادر أخرى زعمت أنه مسيحى أرثوذوكسى ، جندته عميلة أمريكية أرسلت إلى بغداد .

★ ادعت مصادرهم أيضًا أن الملحق العسكرى الأمريكى فى بغداد ، أقنعه بالهرب إلى تركيا لأن الطائرة ستأخذها أمريكا . (!!)

★ قالت مصادر إسرائيلية أيضًا أنه هرب إلى تركيا ومنها إلى إسرائيل . (!!)

★ مصادر أخرى قالت أنه هرب إلى إسرائيل عن طريق الأردن ، وأن الأردنيون اعتقدوا بأن الميج ٢١ سورية فى إحدى طلعاتها . (!)

★ وفى روايات أخرى أيضًا ادعوا بأنهم سلموا منير كبسولة تحوى مادة مجهولة تصيب ابنه بأعراض غريبة لا تجد حلاً طبيًا فى العراق ، فتسافر زوجته إلى لندن لعلاج ابنها وبصحبتها الطفل الآخر ، ثم تطير للحاق بزوجها فى إسرائيل . وهذه رواية هزلية تفضح سذاجة الدعاية وخلوها من أية مصداقية . (!!)

★ زعموا بأن روفا كان مستاء من سياسة حكومته ضد الأكراد . وإجباره على ضربهم بالصواريخ والمواد الحارقة للتنكيل بهم ، وهو لذلك قد كره العيش بالعراق . (!!)

★ فى مصادر إسرائيلية أخرى ادعوا بأنه كمسيحى كان يحرم من الترقيات كزملائه المسلمين ، وتزود طائرته بكمية من الوقود أقل منهم شكًا فى ولائه ..(!!) والكذب المقصود الهدف واضح جدًا فى هذا الادعاء ، لأن روفا كان يعامل معاملة طبيعية بعيدة عن التزمت العقائدى والمذهبى ، بدليل سفره إلى الاتحاد السوفييتى وأمريكا ، كزملائه المسلمين ، لحصوله على دورات تدريبية لزيادة الكفاءة تؤهله للترقى . والواقع أن كمية الوقود التى كانت تزود بها الطائرات فى العراق ، كان قد تم تحديدها لكل طيار – حسب درجته وإجادته – ولم تكن تمنح عبثًا ، ليلهو الطيارين بالجو وقد بهرهم الطائرة الحديثة الجبارة ، التى لم يروا إمكاناتها وسرعتها الخارقة من قبل . هذه القيود كان يعمل بها حتى داخل الاتحاد السوفييتى نفسه ، وتتبعه دولاً عديدة فى العالم الثالث استحدثت طائرات سلاحها الجوى بالديون والقروض والفوائد .

وإننى أرى .. أن منير روفا قد تم تجنيده فى باريس من خلال نقطة ضعفه ، جنونه الجنسى ، بدفع عميلتهم المدربة الحسناء لاصطياده ، وتلبية رغباته الجامحة . واستطاعت العميلة إخضاعه والسيطرة عليه بدعوى الحب والارتباط والعاطفة ، وكانت رغبة الإثراء عنده أقل حدَّة من الجنس ، ذلك أن حكومته قد منحته راتبًا سخيًا ، ومركزًا اجتماعيًا يحسد عليه ، ومن فائض مرتبه كان ينفق على بيته ، والديه ، وأخوته ، ونزواته ، بما يعطى مؤشر الطمع فى المال الترتيب الأدنى .

هذا وأنصح كل من يقرأ كتب الجاسوسية التى تروجها إسرائيل ، ألا ينخدع فيما تزعمه هذه الكتب ، وما تتضمنه من أحداث ووقائع ، ذلك لأن أغلبها أكاذيب وتضليل وسراب .

ولكى أدلل على أكاذيب الموساد ، التى سردت قصة الطائرة الميج ٢١ بأكثر من رواية ، أشير إلى الكتب بعض الإسرائيلية التى نشرت ، وترجمت إلى العربية ، وجاءت بها القصة بأشكال مختلفة لا رابط بينهما ، ابتدعها خيال الدعاية المريض :

- كتاب : « الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية » ص ١٨١ : ١٨٤ .
- كتاب : « الموساد » ص ٢١٧ : ٢١٩ .
- كتاب : « جواسيس جدعون .. التاريخ السرى للموساد » ص ٥٢ : ٥٧ .
- كتاب : « أمراء الموساد » ص ١١٥ : ١١٧ .

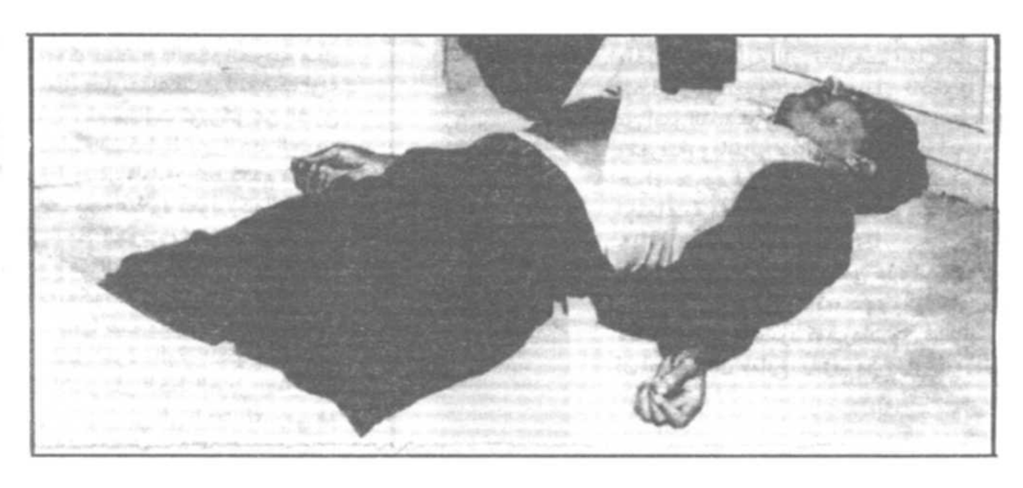
وعشرات الكتب الأخرى ، كتبها ضباط سابقين فى الموساد ، مهمتهم الترويج لعمليات الموساد وتضخيمها ، لأسباب كلنا نعرفها ، ونعرف مغزاها القذر . فإن هذه الكتب التى تصدر عن قصد ، يجب أن تمنحنا فرصة التدريب العقلى .. لفحص ضلالات الكذب ، ومعرفة حدود الحقيقة فى الخيال ، وذلك بقياس الأدلة المعلنة بالوقائع المعروفة .

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته ،،،

ملحق

صـــور العملية 007





النقيب طيار شاكر يوسف .. قتيل بإحدى الشقق ببغداد .. والصورة له
وقد سحبت الشرطة جثته من أسفل السرير



نقيب طيار منير روفا .. نشرت الصورة صحيفة معاريف الإسرائيلية .. وقد نكّس رأسه عارًا وخزيًا فى إحدى المناسبات العسكرية فى إسرائيل



محمد رغلوب .. الطيار المغامر ..
الذى طار عمره فى القطار



الأفعى اليهودية التى أوقعت بالطيار الخائن منير روفا .. وأهدت بفضل جسدها طائرة الميج ٢١ إلى إسرائيل



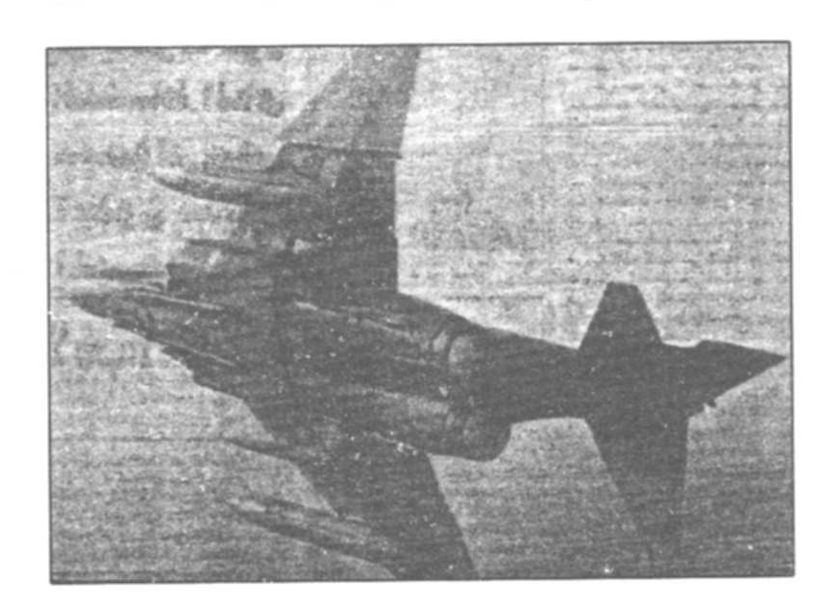
منير روفا أمام فيلته فى ريشون لتسيون بإسرائيل



البريئة الطفولية الوجه .. عميلة الموساد التى قتلت الملازم أول طيار حامد ضاحي .. أذاقته جسدها فنبذها



كروثر هلكر .. عميلة الــ C.I.A.. التى فشلت فى السيطرة على الطيار شاكر يوسف .. فقتلته فى بغداد .. ثم اغتيلت فى لندن لكى يدفن السر معها !!



الطائرة الأسطورة الخرافية – ميج ٢١ – التى أرهبت أمريكا وإسرائيل .. بالإمكانيات والميزات المذهلة التى زودها بها السوفييت .. وزودوا العرب بها



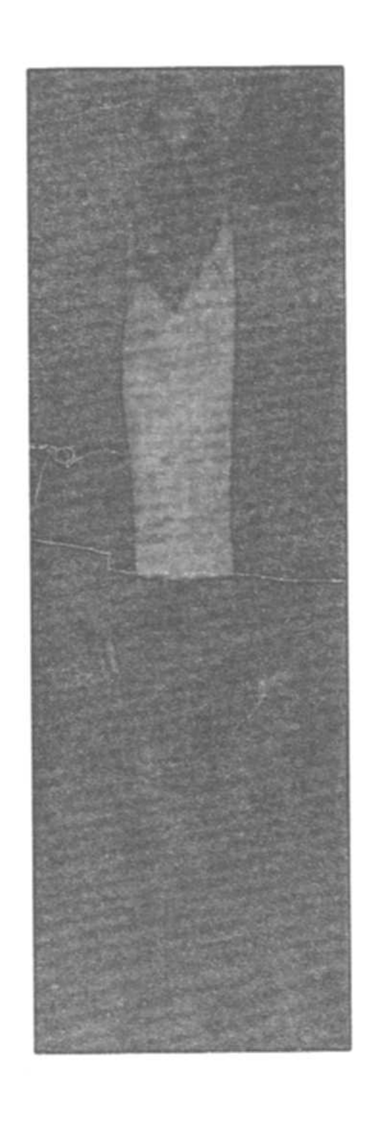
منير روفا الطيار الخائن فى أحد معسكرات
جيش الدفاع الإسرائيلى مع إحدى المجندات ..
وإحدى عميلات الموساد أيضًا .



روفا يمارس الرياضة بحمل ألواح الثلج
فى معسكر إسرائيلى



جاليلى وسابير .. أثناء مناقشة اقتراح عاميت بالسفر إلى القاهرة .. ومن سيضمه الوفد المرافق .



رئيس الموساد مائير عاميت .. كان جبانًا يخاف قوة العرب العسكرية .. وهو
أول من فكر بالمجيء إلى القاهرة لمقابلة الرئيس عبد الناصر – عام ١٩٦٦ –
يعرض سلامًا .. خوفًا على أمن إسرائيل .

صدر للمؤلف

★ أمينة المفتى .. أشهر جاسوسة عربية للموساد .

★ جواسيس الموساد العرب .. أشهر ٢٥ جاسوسًا .

★ العملية 007 – وهروب أول طائرة حربية عربية لإسرائيل .

يصدر قريبًا :

★ أحمد الحلاق .. أول جاسوس أعدم فى لبنان .

★ قصتى مع الموساد .. مذكرات جاسوس الإسكندرية .

★ عائلة الجواسيس .. القصة الحقيقية لآل شاهين .

★ سيكولوجية الجاسوس .. تشريح مرض الخيانة .

★ الملف الأسود .. تفاصيل عمليات الموساد القذرة .

★ مصيدة العسل .. وكيفية التحكم بأعصاب الجواسيس .



المحتويات

